أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٥١٤) ذو الحجة ١٤٣٣ هـ / أكتوبر - نوفمبر ٢٠١٢م

د. القاسمي يكتب:
حصاد السنين..
ثلاثون عاما من العمل
الثقافي في الشارقة

- فقه الرحمة عند النبي ﷺ
- الإسلاميون من الدعوة إلى الدولة
- رجال عاطلون.. ظاهرة أم واقع تحياه البيوت؟!
- مشكلات المقاصد .. ما ذكره العز بن عبدالسلام نموذجًا

القرآن دستور حياة

ملف العدد

مجانًا مع العدد «براعم الإيمان»

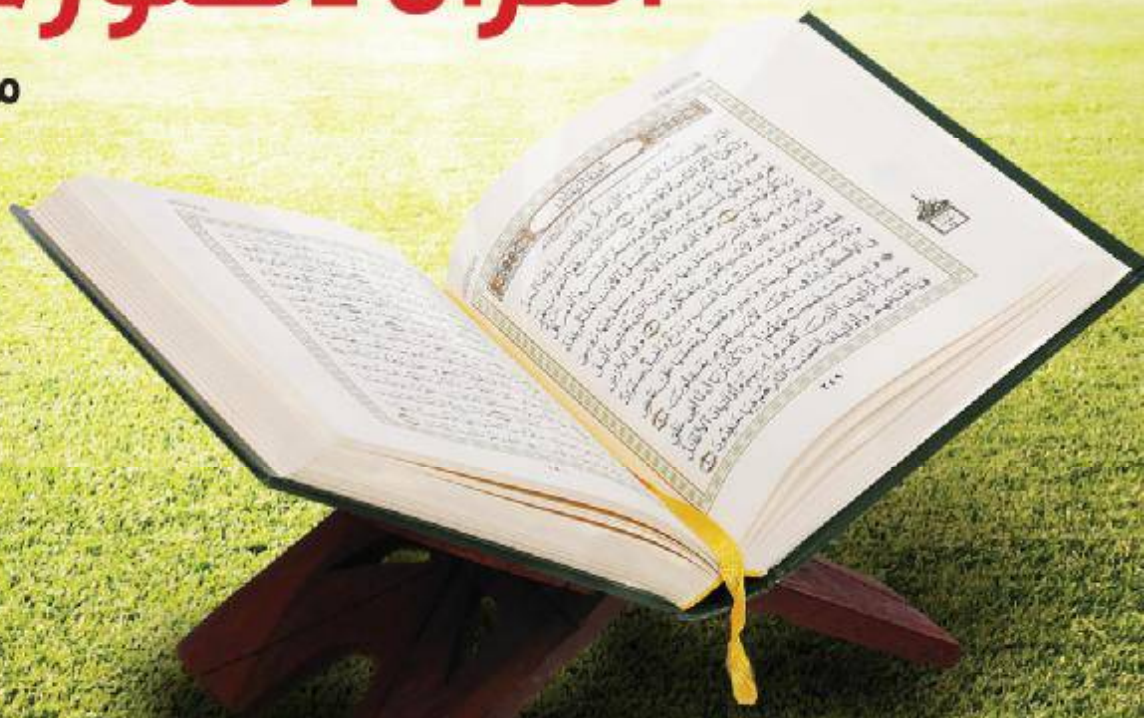

هدية العدد: بوستر آداب المسجد

مجلة

الوعي الإسلامي

تهديكم جديد إصداراتها

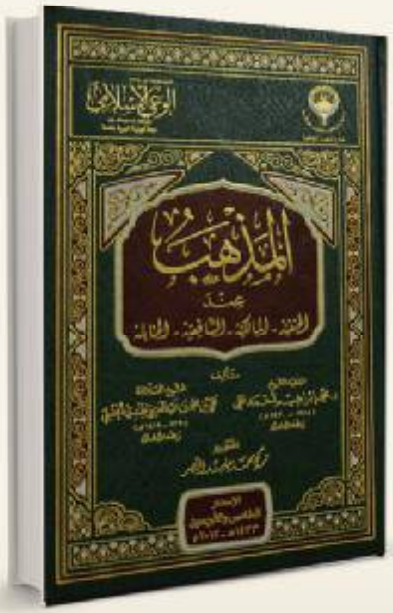

الإصدار
الخامس والأربعون
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

الإصدار
الثامن والخمسون
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

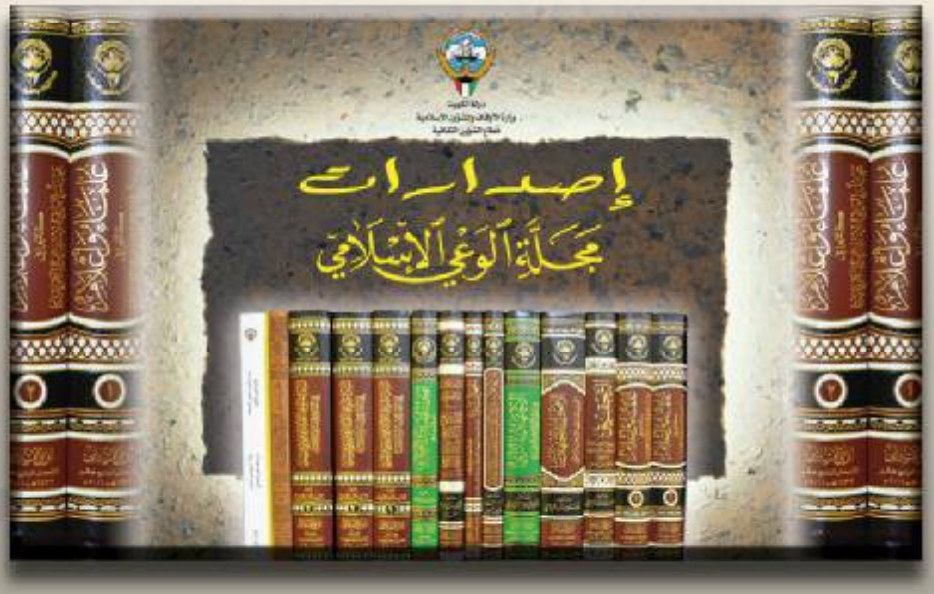

حقيبة إصدارات «الوعي الإسلامي» تحتوي على مجموعة متنوعة
من الكتب الشرعية والثقافية والفكرية والأصولية

الافتتاحية

لا تنقضي عجائبه

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

إن حاجة الأمة ماسة لفهم القرآن، ومن لم يكن له علم وفهم وتقوى وتدبر، لم يدرك من لذة القرآن شيئا..

فتدبَّر القرآن إن رمت الهدى فالعلم تحت تدبر القرآن

وهو كلام رب الأرباب، لا تنتهي عجائبه وكله عجاب، هو حبل الله المتين، أوثق الأسباب، تشتاق إليه قلوب العلماء اشتياق الظمآن إلى الشراب، لم ينزل لنقرأه باللسان دون فهم وبيان، ولا لنعلقه على مداخل البيوت والحيطان، ولا لنجعله تمائم على الأطفال والصبيان، فالمقصود فهم معانيه لقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ (ص: ٢٩).

فالسعيد من صرف همته إليه، ووقف عقله وفكره عليه، فالقرآن هو المعجزة الباقية، والحجة البالغة، وليس هناك من قوة إقناع، أبقى أثرًا في النفس من النص القرآني، فهو يأخذ بمجامع القلوب، ويسمو بها إلى صالح العمل، فيهدي الأمة إلى طريق الخير والسعادة، لما يتضمنه من الخصائص العلية، والدلائل الجلية، في آياته البينات، والأمثلة الواضحات، تبصرة للناس لعلهم يعقلون ويتفكرون، وحقيقة الإيمان هي التي صورها لنا القرآن، وجعلها شرطا في استحقاق لقب المؤمنين الصادقين، ولقب المتقين، ولقب أولي الألباب، فعليك أن تنظر في مرآة القرآن الكريم لترى فيها صورة الإيمان الصادق، وصورة الإيمان البهرج الزائف، فسبحان من سلكه ينابيع في القلوب، وأنزله بأبدع معنى وأعذب أسلوب، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام: ٣٨).

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في
دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٥٦٨
ذوالحجة ١٤٣٣ هـ
العام التاسع والأربعون
أكتوبر – نوفمبر ٢٠١٢ م

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

التحرير
تمام أحمد الصباغ
د. طاهر خذيري
عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك
أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني
الشركة العصرية
للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات
رئيس التحرير – مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ ـ
الكويت – هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ – ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ – ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.com
مكتب مصر : دار الإعلام العربية– ٤ش
الجلاء– مبنى دوحة ماسبيرو– الطابق ٦–
مكتب ٦٠٦– تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٦١٢١٣
alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي الوزارة أو المجلة.

في هذا العدد

موضوع الغلاف

جاء القرآن من رب رحيم ليرشد الناس إلى طريق الفوز في الدنيا والآخرة معًا.. وبذلك يفلحون.

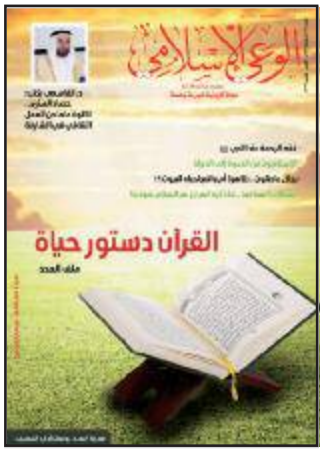

الإسلاميون.. من الدعوة إلى الدولة

فقه الرحمة في خلق الرسول ﷺ

القضاة وميزان العدالة

رجال عاطلون.. ظاهرة أم واقع؟

التوزيع وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١– ٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) – فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

- اليمن – صنعاء – الدار العربية للنشر والتوزيع ت – ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان – شركة نعنوع الصحفية – ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا – دمشق – برامكة – ص.ب ١٢٠٣٥ – ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ – المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن – عمان – شركة وكالة التوزيع الأردنية – ص.ب ٣٧٥ ـ رمز بريدي ١١١١٨ – ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر – القاهرة – شارع الصحافة – جريدة أخبار اليوم ـ – ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤–(٠٠٢٠٢)
- المغرب – الدار البيضاء – ص.ب ١٣٦٨٣ – ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سبان ساتس – ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ – الشركة الشريفية
- مملكة البحرين – المنامة – ص.ب ٣٢٦٢ – ت: ٧٢٥١١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ – مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمـارات العربية المتحدة – ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ – شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية – الرياض – ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ – ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ – الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان – مسقط – ص.ب ٤٧٣ العذيبة ـ رمز بريدي ١٣٠ – ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ – مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر – الدوحة – ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- ماليزيا– شركة – المصطفى ميديا جروب سندرين برحد – ت– ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)
- الجزائر – شركة ام بي سي ت: ٣١٩٠٩٥٩٠(٠٠٢١٦)
- تونس – الشركة التونسية للصحافة ت: ٧١٣٢٢٤٩٩ (٠٠٢١٦)
- المملكة المتحدة – لندن – شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار
●الكويت : ٥٠٠ فلس ●السعودية: ٥ ريالات ● البحرين : ٥٠٠ فلس ● قطر : ٥ ريالات ● الإمارات : ٥ درهم ● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة
●الأردن:دينار واحد ● مصر : ٢ جنيه ●اليمن : ١٠٠ ريال ●لبنان: ٢٠٠٠ ليرة ● سوريا: ٣٠ ليرة ● المغرب : ١٠دراهم ● الجزائر: ٤ دينار جزائري
●تونس: دينار واحد تونسي ● المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني ● باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها.

المحتويات

٣	الافتتاحية/ لا تنقضي عجائبه	فيصل يوسف العلي
٦	فكر/ الإسلاميون.. من الدعوة إلى الدولة	السنوسي محمد
٩	سيرة/ فقه الرحمة في خلق الرسول ﷺ	د. إيمان عزام
١٢	حوار/ مدير مركز صالح كامل الاقتصادي بالقاهرة	صابر رمضان
١٥	ملف العدد/ القرآن دستور حياة	علاء عبدالفتاح
١٦	ملف العدد/ القرآن.. لصلاح البشرية	محمد الدسوقي
٢٠	ملف العدد/ من بلاغة القرآن الكريم وإعجازه	عبدالعزيز العسكر
٢٢	ملف العدد/ حوار مع الشيخ الطبلاوي	هالة عبدالحافظ
٢٥	ملف العدد/ رسالة القرآن بعيون نخبة من الباحثين	التحرير
٢٦	ملف العدد/ قاموس القرآن الكريم	التحرير
٢٨	ملف العدد/ دعوة قرآنية إلى تنمية الحس الجمالي	د. محمد صمدي
٣٠	ملف العدد/ ببلوجرافية علوم القرآن	فاطمة الزهراء عبده
٣٤	ملف العدد/ قصة طبع المصاحف في مصر	صلاح رشيد
٣٦	دراسات/ الماء في الدراسات التراثية (١-٢)	د. محمود مهدي
٤٠	دراسات/ مشكلات المقاصد	د. لخضر بوغفور
٤٥	دراسات/ القضاة وميزان العدالة	محمود علي
٤٨	دراسات/ أعلام دفنوا بمصر وليسوا من أهلها (٣)	محمد البهي
٥٢	لغة وأدب/ من مناهل الأدب: البيان والتبيين	د. محمد حسان الطيان
٥٤	لغة وأدب/ القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (٤)	عبدالله آيت الأعشير
٥٦	لغة وأدب/ رسالة إلى الريح الصقيع	د. محمد بابا عمي
٥٧	لغة وأدب/ وقفت هناك في عرفة	نجاح سرور
٥٨	لغة وأدب/ بلاغة الإمتاع في الأدب الإسلامي القديم	عبداللطيف خروبة
٦١	رثاء/ حمد الرومي والفخراني في ذمة الله	التحرير
٦٢	أنباء الكتب/ حصاد السنين	التحرير
٦٤	تراث/ أرجوزة البليدي المالكي في أحكام الحضانة	صالح عبدالفتاح
٦٧	أسرة/ التربية .. وسلوكيات الناشئة	الزبير مهداد
٧٠	أسرة/ هل يحقق تعري الفتاة جمالها؟	خالد الحارثي
٧٢	أسرة/ هكذا أنصف الإسلام المرأة	هناء ثابت
٧٤	تحقيق/ صحافة العرب المطبوعة.. سيناريوهات المستقبل	هالة عبدالحافظ
٧٧	تحقيق/ رجال عاطلون.. ظاهرة أم واقع تحياه البيوت؟!	منير أديب
٨٠	منارات/ مسجد إشبيلية الجامع	تركي النصر
٨٤	طب/ هل أدوية الإقلاع عن التدخين تقود للانتحار؟	هدير جلال
٨٨	فتاوى الوعي	محمود الكبش
٩٠	الوعي نت	خالد خلاوي
٩٢	بريد القراء	التحرير
٩٦	من غرر الحكم	بشار بكور
٩٨	مسك الختام/ أزمة النخب	منى الشريف

كلمة العدد

الإدارة الراشدة

سار خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبدالعزيز ﷺ على المنهاج النبوي في الإصلاح الراشدي، من خلال حرصه على إحداث نقلة نوعية في السياسة العامة للدولة الإسلامية، وبنائه لقواعد متكاملة الأركان للوقاية من الفساد الإداري، واختياره للولاة وللعمال الثقات الخيرين الأبرار ممن اشتهروا بالأمانة والعلم والقوة والتواضع وعفة النفس، والعدالة، وحسن الخلق والرحمة والقدوة الحسنة ومشاورة الآخرين والنصح وعدم الأنانية والكفاءة والذكاء والحكمة.

فمن المعلوم أنه لا يستطيع أحد تحقيق النجاح إلا إذا اختار بطانته بعناية تامة، لذا عني خامس الخلفاء الراشدين عناية فائقة باختياره بطانته ومستشاريه، فعندما عزل رئيس الحرس خالد بن الريان، نظر في وجوه باقي الحرس ودعا عمرو بن المهاجر الأنصاري فقال: والله إنك لتعلم يا عمرو أنه ما بيني وبينك قرابة إلا الإسلام، ولكني سمعتك تكثر تلاوة القرآن، ورأيتك تصلي في موضع تظن أنه لا يراك أحد فرأيتك تحسن الصلاة، خذ هذا السيف قد وليتك حرسي.

لقد سعى الخليفة الراشدي الى تحقيق السلامة من الفساد الإداري، بالحرص على معالجة الخلل والاعوجاج، مثل الخيانة والكذب والرشوة والهدايا للمسؤولين والأمراء والإسراف وممارسة الولاة والأمراء للتجارة، واحتجاب الولاة والأمراء عن الناس ومعرفة أحوالهم، والظلم للناس والجور عليهم وغير ذلك.

إن نجاح مشروع عمر بن عبدالعزيز الإصلاحي خلال عامين- فترة خلافته- يؤكد أنه كان ذا قدرات إدارية كبيرة في فن التخطيط والتنظيم والقيادة والتوجيه ومعرفة الناس، وأنه امتلك رؤية إصلاحية تجديدية واضحة المعالم، هدفها الرجوع بالدولة والأمة لمنهج الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، بالإضافة الى التفاف الأمة حول هذا المشروع عندما لمست صدق القائم عليه وإخلاصه.

التحرير

الاشتراكات
- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

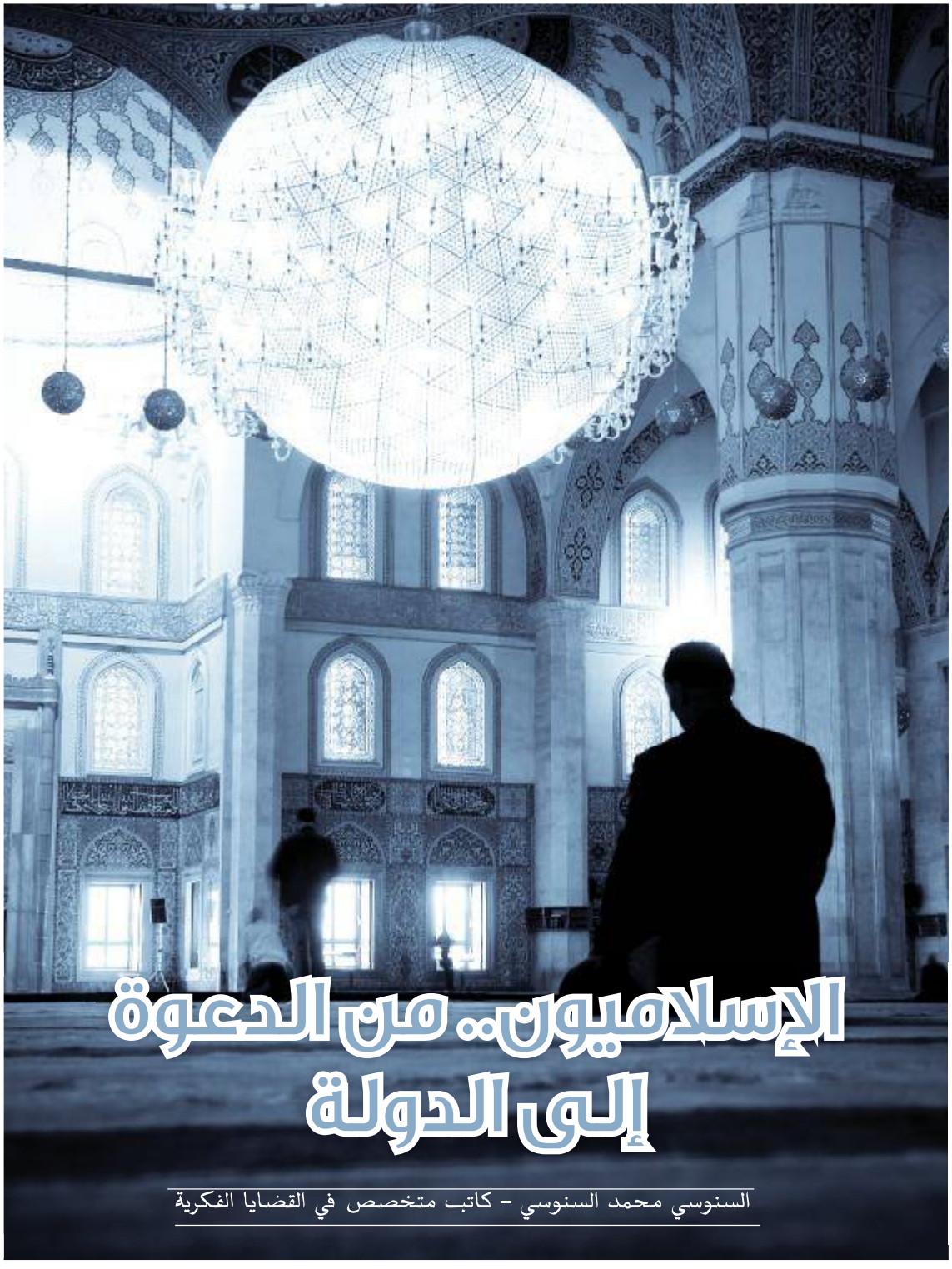

الإسلاميون.. من الدعوة إلى الدولة

السنوسي محمد السنوسي - كاتب متخصص في القضايا الفكرية

قبل أن ندخل إلى الإشكالية التي يطرحها المقال، ويحاول أن يستكشف بعض جوانبها ومآلاتها، من المهم أن نعرّج على المصطلحات الثلاثة التي يتناولها المقال.

أما «الدعوة» فالمراد منها «الدعوة إلى الله، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾، والمقصود بالدعوة إلى الله الدعوة إلى دينه وهو الإسلام: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ الذي جاء به محمد ﷺ من ربه سبحانه وتعالى؛ فالإسلام هو موضوع الدعوة وحقيقتها»[1].

و«رجل الدعوة» هو المسلم الذي يجعل العمل للإسلام همه الأول وشاغله الأكبر، به يعمل وإليه يسعى ويدعو، فهو ليس المسلم الذي ورث الإسلام عن أبويه ولا يعنيه أمر الإسلام في قليل أو كثير، ولا حتى المسلم الذي يمارس شعائر الإسلام في حدها الأدنى دون أن يشكل الإسلام له منهجًا في الحياة بكل تفاصيلها.. بل هو ذلك المسلم الذي يتخذ من الإسلام عقيدةً وفكرًا ومنهجًا ومنطلقًا عن قناعة تامة وثقة لا تتزعزع.

إصدار القوانين

وأما «الدولة» فهي «الكيان السياسي والإطار التنظيمي الواسع لوحدة المجتمع، والناظم لحياته الجماعية وموضع السيادة فيه، بحيث تعلو إرادة الدولة شرعًا فوق إرادات الأفراد والجماعات الأخرى في المجتمع، وذلك من خلال امتلاك سلطة إصدار القوانين، واحتكار حيازة وسائل الإكراه وحتى استخدامها في سبيل تطبيق القوانين، بهدف ضبط حركة المجتمع، وتأمين السلم والنظام، وتحقيق التقدم في الداخل والأمن في الخارج، وإلى جانب الاستخدام العام للمصطلح بمعنى الجسم السياسي للمجتمع، هناك استخدام أكثر تحديدًا يقتصر فيه المعنى على مؤسسات الحكم، وتتألف عناصر الدولة من الشعب والأرض والسلطة»[2].

و«رجل الدولة» تعبير يطلق على الشخصية السياسية التي تدرك عمق اللحظة التي يمر بها وطنها، وتمتلك مفاتيح عملية لإدارة الموارد والأزمات، ولديها رؤية طموحة وواقعية[3].

رجل السياسة

وهناك مصطلح آخر قريب الصلة به، وهو «رجل السياسة»، وبعض الكتابات تشير إلى أنهما يشتركان في الكثير من الصفات والقدرات، غير أن «رجل الدولة» يتميز بالبعد الاستراتيجي عن الواقع والمستقبل، ويغلّب مصلحة الوطن على المهاترات السياسية والمصالح الحزبية الضيقة، التي تشكل في كثير من الأحيان عائقًا أمام المصلحة الوطنية.

وأما «الإسلاميون» فهم مجموعة من المسلمين يتحركون بالإسلام ويدعون إلى تطبيقه في واقع الناس، وإلى تحويله إلى برنامج عملي، وليس فقط مجموعة من المبادئ والمفاهيم النظرية التي تنعكس في شعائر متناثرة. وبتعبير آخر «المسلمون هم كل من يتدين بدين الإسلام، أما الإسلاميون فهم طلائع الفكر والعمل الإسلامي المشتغلون بصناعة الفكر، والذين يقودون العمل لوضع هذا الفكر في الممارسة والتطبيق؛ فكل إسلامي هو مسلم، وليس العكس دائما بصحيح»[4].

بين الدعوة والدولة

وهنا يثور سؤال مهم: وما الفرق بين مرحلتي: رجل الدعوة ورجل الدولة؟ وهل المطلوب أن يغادر كل الإسلاميين المرحلة الأولى إلى الثانية؟

ونقول: إن مجالات العمل الإسلامي تندرج جميعها- نظريًّا- تحت مفهوم الدعوة، أي الدعوة إلى الإسلام كما أشرنا، لكن من حيث التطبيق العملي هناك مستويات أو مجالات عدة يتفرع إليها العمل الإسلامي؛ فهناك المستوى الإيماني والتربوي، أي ترسيخ العقيدة الصحيحة والأخلاق الحسنة، وهذا هو المجال الذي يتبادر إلى الأذهان عند الحديث عن «الدعوة».. وهناك المستوى السياسي وتكوين نخبة تستطيع تحويل الأفكار والأطروحات إلى برامج عملية وخطط واقعية، وهذا هو المجال الذي يُعنى به «رجال السياسة» و«رجال الدولة»، ثم هناك أيضًا مستوى العمل الاجتماعي وتكوين روابط مع الجماهير بالعمل الخيري وغيره فيما يُعرف حديثًا بالعمل الأهلي أو المدني.

ومن ثم فليس من المعقول ولا من المطلوب أن ينتقل كل الإسلاميين من مرحلة «رجل الدعوة» التي ألِفُوها كثيرًا إلى مرحلة «رجل الدولة» التي باتت أكثر إلحاحًا، بل المقصود هو العمل على تكوين طبقة أو نخبة تقود العمل السياسي والحزبي، وتحقق التواصل السياسي مع الجماهير، وتمتلك القدرة على تسيير دفة الدولة وتقديم البديل الذي تتوق إليه الشعوب، بعد أن عانت عقودًا من الزمن من أنظمة رسّخت الاستبداد والفساد.

ولاشك أن لكل مرحلة رجالها وصفاتها ومؤهلاتها وشروطها وإشكالياتها، وأنه آن للإسلاميين أن يتعاملوا مع كل مرحلة بمنهجية وخطط ومؤسسية، بعيدًا عن الارتجالية والاجتهادات الفردية، فضلًا عن التصورات الساذجة البدائية.

صفات مشتركة ومغايرة

ويمكن أن نشير بإجمال في النقاط الآتية إلى المطلوب من الإسلاميين للانتقال من رجل «الدعوة» إلى رجل «الدولة».. لكن أجدد التأكيد أولًا على أنه إذا كان لكل مرحلة من هاتين المرحلتين خصائص وصفات تميز كلًّا منهما، فإن بينهما أيضًا خصائص وصفات مشتركة؛ فالصفة التي سأذكرها في رجل «الدعوة» قد تكون مطلوبة أيضًا في رجل «الدولة».. ولكن ليس بنفس الدرجة والأولوية، وكذلك العكس.

رجل «الدعوة» ينطلق من الحلال

والحرام.. أما رجل «الدولة» فينطلق من المصالح والمفاسد أو من الصالح والأصلح، وهذا ليس معناه أن رجل «الدولة» بعيد عن الالتزام بالحلال والحرام، لكن الأمر في المجال السياسي يخضع لوجهات نظر متعددة، ليس بالضرورة أن يكون فيها حلال وحرام، أو صواب وخطأ.. بل مساحة الضوابط الشرعية (الحرام) في السياسة قليلة جدًا.

رجل الدعوة

رجل «الدعوة» يبحث عما يحفظ له «خصوصيته» وذاته الفكرية والمعنوية.. ورجل «الدولة» يبحث عن «المشترك» بينه وبين الآخرين، ويدخل في ائتلافات مع غيره حتى مع من لا يتفق معهم في كل الأمور، فيفتح حوارات ونقاشات موسعة مع كل الأطراف وفي كل القضايا.

رجل «الدعوة» لا يحب المغامرة ويخاف من الوقوع في «الفتن» ويتبع «الأحوط»، أي أعلى درجة في الأحكام الشرعية تحقق الورع والزهد.. ورجل «الدولة» يقتحم المجالات مادام لا يوجد نص قاطع يمنع، كما يكون أكثر جرأة ولا يخشى الوساوس، ويتبع الأيسر أي الأخف من الأحكام الشرعية.

رجل «الدعوة» يغلب عليه الإحساس بالمسؤولية الفردية والنجاة بالنفس.. ورجل «الدولة» يهتم بالمسؤولية الجماعية ويبحث عن حلول للجميع.

رجل «الدعوة» قد يكتفي برأي واحد ورثه وألِفَه عمن يثق فيه.. ورجل «الدولة» يحاول أن يرى المسألة بوجوه متعددة؛ ليكوّن بنفسه رأيًا يطمئن هو إليه، ويكون أقل تقليدًا لغيره ويحاول الابتكار.

رجل «الدعوة» قد تكون مواجهته للمشكلات هي أن يهرب منها! لأن «الفرد يَسَعُه ما لا يسع الجماعة»، أي يمكن أن يلتزم الفرد بأمر معين، لكن من الصعب أن يلتزم الناس كلهم بهذا الأمر.. فمثلًا إذا كانت السينما يغلب عليها الإباحية وأفلام الغرائز فمن السهل على رجل «الدعوة» أن يقاطعها ويهرب منها ولا يحتك بها؛ لأنه لا يجد نفسه أصلًا مضطرًا للتعامل معها.. أما رجل «الدولة» فتجب عليه مواجهة المشكلات والبحث عن حلول إيجابية غير تقليدية.

رجل «الدعوة» قد يرى في الأحزاب الليبرالية والعَلمانية عدوًا للدين تجب محاربته.. لكن رجل «الدولة» يرى فيها منافسًا سياسيًا مطلوب التغلب عليها وسحب البساط الجماهيري من تحتها.

تفاصيل

رجل «الدعوة» ينطلق من عالم «المثل والقيم الفاضلة»، وقد يستعلي على الواقع أو يرفضه أو يتجنبه أو يصطدم معه.. ورجل «الدولة» ينطلق من «الواقع والممكن» ومما هو متاح، ويسعى لتغيير ما هو سيئ بالصبر والتدرج والمرحلية، ويحاول أن يتعايش مع الواقع، لا أن يرفضه أو يتجنبه.

رجل «الدعوة» خطابه وعظي ويركز على الثوابت والمُطْلَقات، أي الأمور التي لا تقبل النقاش والاختلاف.. ورجل «الدولة» خطابه عملي، وفي المتغيرات ومساحات الاجتهاد والإبداع؛ لأن رجل «الدعوة» لا يملك إلا الموعظة، بينما رجل «الدولة» يجب عليه أن يقدم حلولًا للمشكلات، وألا يكتفي بالمواعظ.

رجل «الدعوة» يتحدث عن القيم والأهداف.. ورجل «الدولة» يتحدث عن الخطوات والبرامج والتفاصيل، وتحويل القيم إلى خطط واضحة.

رجل «الدعوة» يهتم بتغيير المنكر، وقد لا يكترث بالعواقب.. أما رجل «الدولة» فينظر إلى النتائج والمآلات قبل أن يقدم على اتخاذ أي خطوة.

مد الجسور

من المهم أن نشير إلى أن تكوين طبقة «رجال الدولة» والسياسيين المحترفين لا الهواة.. هو أمر يحتاج إلى وعي عميق وجهد متواصل، والأهم إلى زمن تتشكل فيه تلك الطبقة.. وليس مصادفة أن يكون معظم السياسيين قد عرفوا العمل العام والسياسي منذ أن كانوا طلابًا بالجامعة، فهذا جهد مطلوب من الإسلاميين أن يضعوه في اعتبارهم على المدى الطويل.

أما على المستوى القصير، وبالنظر إلى تصدّر الإسلاميين المشهد السياسي بعد الربيع العربي، فنحن بحاجة إلى خطوات عاجلة لسد هذا الفراغ.

وهنا أؤكد على ضرورة مد الجسور مع السياسيين الوطنيين الشرفاء الذين لهم خبرة بالعمل السياسي، ومتاهات دولاب الدولة المتشعب والعميق، وفي الوقت نفسه يحترمون الهوية الإسلامية ولا يجدون غضاضة في احترام خيار الشعوب.. بعكس الذين كانوا يبدون قدرًا لا بأس به من التعاون مع الإسلاميين قبل الربيع العربي ثم لما أُجريت الانتخابات وانحازت الجماهير إلى الخيار الإسلامي قلب هؤلاء ظهر المجن للإسلاميين وناصبوهم العداء، وكأن الإسلاميين سرقوا أصوات الجماهير لا أن الجماهير هي التي اختارتهم عن طواعية واقتناع!!

إضافةً لذلك يجب أن يسرع الإسلاميون في إنشاء مراكز بحثية سياسية واستراتيجية تستفيد فيها من الكوادر العلمية عند غيرهم، فالعمل الحركي لابد أن تغذيه عقول ودراسات وأبحاث تنير الطريق وتقدم الحلول والبدائل، وصولًا إلى الدراسات الاستشرافية التي تتوقع وتحلل وتسابق الزمن والأحداث.

الهوامش

١ - أصول الدعوة، د.عبدالكريم زيدان، ص٥، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٨م.

٢ - موسوعة السياسة، تحرير د.عبدالوهاب الكيالي، ج ٢ ص ٧٠٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

٣ - راجع المزيد في مقال «الدولة ورجل الدولة» د.محمد عبدالستار البدري، «الشرق الأوسط» عدد ١٢٠٤٣، ٢١ ذو الحجة ١٤٣٢هـ.

٤ - حوار الإسلام والعلمانية، د. محمد عمارة، ص٤، كتيب هدية لمجلة «الأزهر» عدد صفر ١٤٣٣هـ.

د. إيمان عادل عزّام - أكاديمية سعودية

عندما يصف عالمٌ الشمسَ فإنما يصفها بما أمكن له أن يصل إليه علمه، فهو قد يقرب من الحقيقة، ولكن يصعب أن يحيط بها، لأن الله تعالى يقول: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾، هذا.. والشمس مخلوق سخّره الله تعالى للإنسان، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ (إبراهيم: ٣٣) فما بالنا بسيد البشر، بل سيد المخلوقات.. سيدنا محمد ﷺ حبيب الله تعالى ومصطفاه، وخاتم أنبيائه، وخيرته من خلقه! فمهما قدّمت دراسات تتناول سيرته العطرة أو أخلاقه الزكية، فإنما تبقى محاولات تحكي ما وصل إليه جهد الباحث والدارس حسب فهمه هو ليس إلا.

فإنه من العسير أن يفهم العقل أو أن تفصح اللغة والعبارات والمفردات عن لطائف وأسرار أخلاق من اصطفاه الله تعالى، وأهداه رحمة للعالمين، وفضّله على مخلوقاته أجمعين، ومدحه بعبارة جامعة عظيمة في قوله تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾، فلا يبقى للدارسين إذًا إلا نقل الروايات العظيمة عن رسول الله ﷺ من بطون الكتب، وتقديم بعض إشارات وتلميحات لمعانٍ يبقى الفكر عندها مشدوهًا مطرقًا معجبًا مطأطئًا في إجلال لنبيّنا محمد ﷺ.

ومن تلك الدراسات المتواضعة التي تحكي جهد المقلّ بحث شاركت به في مؤتمر نبي الرحمة محمد ﷺ الذي أقامته الجمعية العلمية السعودية للسنّة بوطني الحبيب المملكة العربية السعودية في عام ١٤٣١هـ، وتناولت فيه دراسة خلق الرحمة عند رسول الله ﷺ في مظهره المتّصل بالأسرة؛ لأنّ الأسرة هي المقياس الحقيقي الذي يكون به التفاضل بين الناس، قال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله...»(١)، والسبب في كون الأسرة هي المقياس يحتمل معنيين: الأول: أن الأسرة هم الأفراد الذين يبعد معهم المرء عن التصنّع والتكلّف والمداراة، فتكون المقياس الصادق من جهة، والثاني: أن الأسرة هي المقياس الكامل فمتى غلب على امرئٍ حسن الخلق مع أهله في معظم أوقاته رغم طول المخالطة واختلاف الأحوال، كان خير الناس.

وأهم ما وصلتْ إليه الدراسة ما يلي:

● خلق الرحمة أحد أهم الأخلاق في دين الإسلام، وأهم خصائص رسالته، فقد سمّى الله تعالى نفسه باسم الرحمن الرحيم، وخصّ الله تعالى هذين الاسمين بفاتحة كتابه، وبالبسملة التي تفتتح بها سور القرآن، وبعث الرحمن الرحيم رسوله رحمة مهداة للعالمين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، و«نبي الرحمة» أحد أسماء النبي ﷺ التي ذكرها لنفسه كما روى الترمذي- رحمه الله(٢).

● تشير النصوص الشرعية إلى ارتباط الرحمة بكثير من مكارم الأخلاق، أوّلها: الإيمان، والإحسان إلى الخلق، والسلم، والمسالمة، والوسطية، وبر الوالدَيْن، واللين، ولطف القول، والعفو والحلم والتسامح، وآخرها: الكرم، وتشير إلى هذا الربط بين الرحمة والأخلاق المذكورة شواهد من نصوص الكتاب والسنّة.

وصلت الدراسة من تعريف الرحمة إلى أن الرحمة شعور وسلوك، فالرحمة في الجزء الشعوري منها خلق فطري، وهي رقّة خلقها الله في قلب ابن آدم، ثم الرحمة في الجزء العملي منها عبارة عن سلوك هو صورة من صور الإحسان عند الاستطاعة، أو العبرات عند العجز، قال تعالى عن الجانب الفطري ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، وقال ﷺ عن الجانب السلوكي: «لن تؤمنوا حتى تراحموا»(٣)، أما العبرات، فقد قال ﷺ: «فإنه مهما يكن من العين والقلب فمن الرحمة، وما يكون من اللسان واليد فمن الشيطان».

● من تأمل نصوص السنّة القولية والفعلية التي ورد فيها وصف سلوك ما بأنه رحمة لاحظ البحث أن في الموقف نوعًا من أنواع الضعف البشري يثير الرحمة بجزأيها الشعوري والسلوكي لدى الشخص الرحيم، وكان

الرحمة والحب وجدا بصورهما الكاملة عند رسول الله ﷺ ولهذه الأسباب كانت الأسرة معيارا لقياس حسن الفرد أو سوئه

صلوات الله وسلامه عليه المثل الأعلى في ملاحظة الضعف الذي هو ملازم لكل الكائنات، وفي فهم حاجات الخلق والتعامل مع المخلوقات كافة بالرحمة العامة المطلقة المنضبطة بالشرع.

لأن البحث يهتم بالأسرة، والعلاقات في الأسر يظهر فيها الحب والرحمة جميعًا، فقد اهتمّ البحث بتوضيح العلاقة بين الرحمة والحب وبيان الفروق بينهما، كي يكون انتقاء الأمثلة والشواهد من الجزء الذي منبعه خلق الرحمة تحديدًا، وكانت الفروق على النحو التالي:

الفرق الأول: أن الرحمة عامة تعمّ الخلق أجمع: مؤمنهم وكافرهم، برّهم وفاجرهم، صغيرهم وكبيرهم، حيّهم وميّتهم، بل هي عامة تعمّ المخلوقات من إنس وجنّ وحيوان ونبات، بل قد تبلغ الرحمة الجماد، فلما اتخذ ﷺ منبرًا، وكان قبله يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، قال جابر بن عبدالله كما جاء في الصحيح: «صاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي ﷺ فضمّها إليه تئن أنين الصبي الذي يُسكّن»(٤)، أما الحبّ فهو مخصوص، لذا صرّح النبي ﷺ بحبّه لأشخاص معينين، منهم السيدة عائشة- رضي الله تعالى عنها- واشتهر ذلك بين الصحابة، وفي حديث عند البخاري: «وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله ﷺ عائشة رضي الله عنها»، واعتذر النبي ﷺ عن حبه لبعض نسائه، فقال: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك»(٥)، وهذا الفرق مذكور في الأحاديث: فقد قال رسول الله ﷺ عن الرحمة: «لن تؤمنوا حتى تراحموا. قالوا: يا رسول الله، كلنا رحيم . قال : إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة النّاس رحمة العامة»(٦).

الفرق الثاني: أن الرحمة مطلقة حيث تكون في كلّ الأحوال غير مقترنة بالمسرّة، ولا بما يناله المحبّ من محبوبه من وجوه النفع والرضا، فهي رقّة جُبِل عليها القلب عادة ما يثيرها ضعف في الآخر، وينتج عنها الإحسان إلى من به ضعف أو حاجة بوجه من الوجوه، وذلك بخلاف الحبّ الذي يرتبط كما تقدّم بالمسرّة أو الشعور بالرضا أو النفع، ويكون ميلًا إلى معيّنين يمكنهم جلب هذه المسرّة بوجه من الوجوه.

اهتم البحث بالتأمّل في صفة وجود الرحمة والحبّ في حياة رسول الله ﷺ ووصل إلى:

١- أن رسول الله ﷺ رحم الخلق أجمع، وأحبّ نفرًا من أسرته وغيرهم، لكنه اتخذ الله سبحانه وتعالى وحده خليلًا، فالحبّ في أعلى مقاماته، وهو مقام الخلّة، مخصوص بالله تعالى، فقال ﷺ في حديث طويل: « .. ولو كنت متخذًا خليلًا غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوّة الإسلام ومودته... » الحديث (٧) ، فكان صلوات الله وسلامه عليه يقوم الليل حتى تتورم قدماه (٨) وهو الذي غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، ويقول عن الصلاة: «يا بلال، أقم الصلاة أرحنا بها» (٩)، وخيّر ﷺ بين مفاتيح خزائن الدنيا ثم الجنّة وبين لقاء ربه، فاختار لقاء الله (١٠) فرسول الله ﷺ لم يتخذ خليلًا غير ربه.

٢- أن الرحمة والحب وجدا بصورتهما الكاملة عند رسول الله ﷺ، فالحب عند رسول الله ﷺ حب معصوم، فالحبّ عنده ليس هوى، وكذلك الرحمة عند

نبي الرحمة منضبطة بضابط الشرع، فالرحمة عند رسول الله ﷺ ليست ضعفًا: عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: «ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئًا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا ضرب خادمًا أو امرأة» (١١) فقول السيدة عائشة: «ما ضرب رسول الله ﷺ» هذا رحمة.. وقولها: «إلا أن يجاهد في سبيل الله» هذا شرع.

٣- أن الرحمة في أخلاق رسول الله ﷺ فوق الحبّ، والعربي يقرأ في أسلوب الحصر في قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ أن منبع تصرّفاته ﷺ كلّها هو الرحمة، ولكنها الرحمة الكاملة المنضبطة بضابط الشرع كما قدّمنا.

عرض البحث نماذج من رحمة النبي ﷺ في تعامله مع أسرته مستخرجة من أحداث السيرة النبوية تؤيّد ما وصلت إليه الدراسة في إطارها النظري، وروعي في اختيار أمثلة البحث جانبان:

١- توافر الضابط الذي به تتميز الرحمة عن الحب، وهو ملاحظة جانب الضعف في الموقف الذي أثار رحمة نبي الرحمة ﷺ.

٢ – أن تكون المواقف متنوعة من حيث اتصالها بمن يمثّلون أفراد أسرة رسول الله ﷺ من أبناء و بنات أو آباء أو نساء أو أصهار... الخ، ومن حيث درجة القرابة من ولد وولد ولد.

وأنتقي من المشاهد العديدة مشهدًا أعرضه للقارئ في هذا الملخّص يكون كالمثال لغيره، وهو مشهد يحكي الرحمة المنضبطة بضابط الشّرع الذي يحثّ المسلم على التخلي عن زهرة الحياة الدنيا وإيثار الآخرة، حيث يرقّ صلوات الله وسلامه عليه لحاجة ابنته الحبيبة السيّدة فاطمة- رضي الله عنها- حيث أثّر الرّحى في راحتيّها فأجهدها، فأتت تسأل أباها من السّبي ما يعينها، فلم تجده، روى سيدنا عليّ رضي الله عنه «أن فاطمة- رضي الله عنها- شكت ما تلقى من أثر الرحى، فأتى النبي ﷺ سبيٌ، فانطلقتْ، فلم تجده، فوجدت عائشة، فأخبرتها، فلما جاء النبي ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة، فجاء النبي ﷺ إلينا، وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبت لأقوم، فقال: مكانكما، فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري، وقال: ألا أعلّمكما خيرًا مما سألتماني: إذا أخذتما مضاجعكما، تكبّران أربعًا وثلاثين، وتسبّحان ثلاثًا وثلاثين، وتحمدان ثلاثا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم» (١٢) فقد حملت رحمة نبي الرحمة ﷺ على المبادرة إلى الذهاب إلى ابنته فاطمة- رضي الله عنها- حين بلغته حاجتها فور إخباره رغم أن الجوّ كان باردًا والزمن شتاءً، ولم ينتظر ﷺ حتى تأتيه ابنته ثانية سائلة عن الإجابة، بل لم ينتظر ﷺ حتى يأتي الصباح فيأتيها، بل سارع إلى ابنته وزوجها وقد أخذا مضاجعهما، فلما دخل بيت فاطمة- رضي الله عنها- وهمّ عليٌ رضي الله عنه بالقيام أدبًا، أمره ﷺ أن يبقى في مكانه، وقعد ﷺ بين الزوجيّن اليافعين على فراشهما، تلمس قدمه الشريفة صدر عليّ رضي الله عنه حتى وجد عليّ برد قدميه على صدره، على وفق ما تنبّهت إليه الدراسات الحديثة من أهميّة التقارب الجسدي بين المتخاطبيْن، ثمّ أرشدهما الأب (الرسول ﷺ) برحمته المعصومة بالشّرع بما هو خير لهما من خادم.

وعمومًا، فإن المشاهد الحاكية عن رحمة رسول الله ﷺ بأسرته عديدة، حوى البحث طرفًا طيبًا منها.

فالحمد لله تعالى أن جعل ديننا دين يسر ورحمة، وخصّنا بنبي الرحمة ﷺ، والرحمة في حقّنا واجب حتمي ليس مجرّد خلق من نافلة الأخلاق الحسنة، يشهد لذلك قوله ﷺ: «لا تنزع الرحمة إلا من شقي» (١٣) ورغم أن في الرحمة جزءًا شعوريًّا خلقةً إلا أنه يمكن اكتسابها بإدامة العمل بالجزء السلوكي منها، يقول الإمام الغزالي ت ٥٠٥هـ- رحمه الله: «... هذه الأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة، وهي تكلّف الأفعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعًا انتهاء. وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح، أعني النفس والبدن، فإن كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة، وكل فعل يجري على الجوارح، فإنه قد يرتفع منه أثر إلى القلب، والأمر فيه دوْر» (١٤).

وهذا مصداق قوله ﷺ فيما روى أحمد والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه، فقال له: «إن أردت تليين قلبك، فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم» (١٥).

وصلِ اللهم على نبي الرحمة سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش

١- صحيح ابن حبان (٤٨٤/٩)، حديث رقم (٤١٧٧).
٢- الشمائل المحمدية (ص٣٠٦)، حديث رقم (٣٦٨).
٣- مجمع الزوائد (٨/ ١٨٦- ١٨٧) قال الهيثمي: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».
٤- صحيح البخاري (١٣١٤/٣)، حديث رقم (٣٣٩١).
٥- رواه الحاكم وصححه. المستدرك على الصحيحين (٢٠٤/٢)، حديث رقم (٢٧٦١).
٦- مجمع الزوائد للهيثمي (١٨٦/٨- ١٨٧)، قال الهيثمي: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».
٧- صحيح البخاري (٣/ ١٣٣٧)، حديث رقم (٣٤٥٤).
٨- من حديث أبي هريرة، انظر: الكنى والأسماء (٢/ ٦٢٢)، (١١١٤).
٩- سنن أبي داود (٤/ ٢٩٦) ، حديث رقم (٤٩٨٥).
١٠- المعجم الكبير للطبراني (٣٤٧/٢٢) ، حديث رقم (٨٧٢).
١١- الشمائل المحمدية للترمذي (ص٢٨٨)، حديث رقم (٣٤٩).
١٢- صحيح البخاري (١٣٥٨/٣)، حديث رقم (٣٥٠٢).
١٣- رواه البخاري في الأدب المفرد (ص ١٣٦)، حديث رقم (٣٧٤).
١٤- إحياء علوم الدين (٥٩/٣).
١٥- مسند أحمد بن حنبل (٢/ ٢٦٣) حديث رقم (٧٥٦٦) . سنن البيهقي الكبرى (٤/ ٦٠) حديث رقم (٦٨٨٦).

د.يوسف إبراهيم مدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي بالقاهرة:

تطبيق زكاة «الركاز» على النفط والغاز.. ضرورة

حوار- صابر رمضان

أكد الدكتور يوسف إبراهيم مدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي بالقاهرة أن المركز يهدف إلى العمل على نشر المعرفة الاقتصادية من منظور إسلامي، والاسهام في علاج المشكلات الاقتصادية من هذا المنظور، وطالب بتطبيق زكاة «الركاز» على النفط والغاز، وذلك في دراسة عن زكاة «النفط» قدمها مؤخرا، وبين أن الأصل في المال العام أنه ليس فيه زكاة، لكن إذا أصبح في حوزة جماعة من الأمة دون غيرها كالبترول ولم يعد ينفق في مصالح الأمة ككل، فيجب أن تخرج عنه زكاة «الركاز» بقيمة ٢٠٪ من الناتج لتنفق في مصالح المسلمين. واعتبر د.يوسف أن الهدف من الزكاة هو تمكين الفقراء ليصبحوا قادة أعمال وليست صدقة، كما أكد أن الوقف في التاريخ الإسلامي هو الذي بنى الحضارة الإسلامية في الحقيقة، وهو الذي يستطيع أن يبني حضارتنا أو يضيف إليها، ولكن ما ينقصنا هو أن ندعم فكرة الوقف عند الناس بعد أن جفّت لديهم منابع الخير بفعل السلوكيات الخاطئة للحكومات المستبدة، وأشار إلى أن بابا الفاتيكان «بنديكدت السادس عشر» طالب الغرب بالتعلم من الصيرفة الإسلامية حتى يحسن من وضع مجتمعاته، حتى أن كثيرًا من الدول الغربية أقامت بنوكًا إسلاميةً ولجأت إلى الصيرفة الإسلامية مثل «فرنسا وبريطانيا وألمانيا وبلجيكا وهولندا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا» وكل هذه البلاد بها منشآت تسير على نهج الاقتصاد الإسلامي، لكن المسلمين لم يرضوا بنظام الصيرفة الإسلامية ولم يستفيدوا منه حق الاستفادة «الوعي الإسلامي» التقت به وهذا نص الحوار:

● هناك أموال إسلامية تقدر بـ ١,٤ تريليون دولار تستثمر في الغرب فكيف تراها؟

– هذا شيء مؤسف للغاية وأعتقد أنه لابد من وقفة سريعة جادة كي تعود الأمور لمسارها الصحيح، والحقيقة أن هذه الأموال معرضة للضياع مثلما حدث عندما بدأت الأزمة المالية العالمية، حيث كان إفلاس عدة بنوك في أميركا وأوروبا سببًا في ضياع ملايين الدولارات من أموال المسلمين المستثمرة لدي الغرب، ولهذا أدعو إلى التوقف عن هذا الاتجاه وتوجيه استثماراتنا وأموالنا إلى أسواقنا العربية والإسلامية، ويكفي أن تكون استثمارات العرب آمنة في بلاد العرب.

السوق العربية

● السوق العربية المشتركة مطروحة منذ أكثر من نصف قرن.. ومع ذلك لم تر النور فما الأسباب؟

– أُنشئت بالفعل وانضم إليها عدد من الدول العربية مثل: «مصر والأردن والكويت» ودول أخرى، ولكن ككل اتفاقياتنا وأنظمتنا المشتركة لا تصمد أمام الظروف والمشكلات المختلفة، فترانا نتخلى عنها دون حتى أن نلغيها، وأذكر أن هناك وحدة ثلاثية بين «مصر وليبيا والسودان»، أقيمت لمدة ثلاثة أعوام بين «السادات والقذافي وجعفر النميري»، وأعتقد أنها ما زالت قائمة حتى الآن على الورق، ولم يكلفوا أنفسهم عناء إلغائها، فكثير مما تقوم به الدول العربية من تعاون بينها لا يستمر عند أول عقبة أو لا يستمر، ومن ثم يفقد الأهمية وينسى، والحقيقة ليس لهذا من سبب إلا افتقاد الإرادة السياسية لدى الحكام الذين ينشؤون هذه الأسواق المشتركة أو غيرها، فالحكام في العالم العربي تحكموا في شعوبهم وهم الذين يقررون لها، ومن ثم لا توجد مساندة شعبية لهذه المشروعات، وللأسف كل مشروعاتنا كانت من وحي الحكام لأجندات خاصة بهم، وهذا هو السبب الذي يجعل المؤسسات الاقتصادية البينية العربية لم تحقق شيئًا في تاريخها الطويل وهي قد أنشئت قبل المؤسسات الدولية الموجودة في العالم اليوم، فقد أنشئت قبل «صندوق النقد الدولي» وقبل «البنك الدولي للإنشاء والتعمير»، وقبل «السوق الأوروبية» وقبل الأسواق المختلفة مثل «النافتا» في أميركا الشمالية، فنحن سباقون في التوقيع على الأوراق لكن في التنفيذ لم تظهر أية ثمرات لهذه الاتفاقيات!

زكاة الركاز

● لكم دراسة عن «زكاة النفط».. حدثنا عنها وعن كيفية تحصيلها وإنفاقها؟

– الدراسة خلاصتها أنها تجيب عن تساؤل أو ترد على بعض الفقهاء الذين قالوا إن البترول ليس فيه زكاة بحجة أنه مالٌ عامٌ وينفق على مصالح المسلمين وليس في المال العام زكاة، وأقول لهم: هذا الكلام سيكون صحيحًا لو أن البترول بالفعل ينفق على المسلمين جميعًا، ولكن الحقيقة التي نعيشها الآن أن جزءًا من البترول موجود في مصر ينفق على المصريين فقط، وجزءًا موجودًا في إيران ينفق على الإيرانيين فقط، وجزءًا موجودًا في غيرهما من البلاد، وليست القضية قضية البترول، وإنما كانت المناجم والمحاجر وسائر ما يستخرج من الأرض كالحديد في المغرب والذهب في مصر، وهناك موارد كثيرة مملوكة للمسلمين، فلو أن البترول بالذات يُنفق بالفعل، أو لو كانت لنا دولة واحدة، وكان البترول ينبع فيها ونقوم باستخراجه، وإنفاقه في مصالح المسلمين لما قلنا بالزكاة،

نحن سباقون في التوقيع على المبادرات المشتركة كالسوق العربية أما الفعل فلا!

«الغرب» استفاد من الصرافة الإسلامية أما نحن فلم نستفد منها!

لكن لمّا أصبح البترول حكرًا على فريق واحد من الناس قلنا بالزكاة، وهناك بعض الدول -لا تقدر بأكثر من قبيلة- أصبحت تمتلك البترول، والبعض الآخر من الأفراد صار يحتكره مثل «حسن بلقية» في «بروناي» في جنوب شرق آسيا، فعدد سكان دولته محدود، ولكن بها ثروة بترولية كبيرة، فهل إنفاق البترول في «بروناي» على سكانها فقط.. إنفاق على جميع المسلمين أم أنه إنفاق على أقل من قبيلة؟! إذن طالما لا توجد دولة إسلامية كاملة تقوم باستخراج البترول وتوزيعه على المسلمين، فالأصل أن المال العام ليس فيه زكاة، لكن إذا أصبح في حوزة جماعة من الأمة دون غيرها ولم يعد يُنفق في مصالح الأمة ككل، فيجب أن تخرج عنه زكاة «الركاز» بقيمة ٢٠٪ من الناتج، وبكل تأكيد إذا خصصت الدول البترولية الإسلامية ٢٠٪ من عائداتها النفطية لتنفق في مصالح المسلمين فإن هذا كافٍ لتحقيق التنمية الاقتصادية في شتى دول العالم الإسلامي.

تمكين الفقراء

• كيف تصبح الزكاة قوة للاقتصاد الإسلامي؟

– الزكاة إحدى الأدوات التي يستخدمها النظام الإسلامي في القضاء على الفقر والبطالة، فهذان الأمران أعد الله تعالى لهما فريضة الزكاة لكي يتخلص المجتمع منهما، والزكاة تمثل نسبةً كبيرة من دخول الناس معظمها يمثل ٢,٥٪ من الدخول لكن بعضها يمثل ٥٪ أو ١٠٪ كما في الدخول الزراعية، وبعضها يمثل ٢٠٪ كما في «الدخول المنجمية»، فهي مبلغ كبير من المال تحصل عليه الدولة، والزكاة تُنفق في ثمانية أوجه مثل: «ذوي الحاجة والبطالة، والفقراء والمساكين، وأبناء السبيل....»، وهناك أولويات.. والزكاة لا تنفق كنقود تعطى للمحتاج في يده، وإنما تقدمها الدولة على شكل أدوات الإنتاج للمحتاج، فالزكاة لا تقدم نقدًا في الأساس بالرغم من أننا قد نقدمها نقدًا، فالأصل فيها أن نقدم أدوات الإنتاج للذين لا يجدون هذه الأدوات، والأصل فيها أن نبني مشروعات يعمل فيها الذين لا يجدون عملاً، والأصل فيها أن تقضي الدين عن المدين، فقد شرعت في الإسلام لإغناء الفقراء، وتمكينهم من أن يكونوا أصحاب أعمال، بمعنى أن من الزكاة التي يحصلوا عليها يصبحوا أغنياء ولا يعودوا فقراء، ولكنهم يعطونها ويقدمونها للدولة في العام التالي، والزكاة تعطي ما يغني ويكفي ويزيد، ويقول عمر بن الخطاب: «إذا أعطيتم فأغنوا كرروا عليهم الصدقة، وإن راح على أحدهم مائة من الإبل»، وهي ثروة كبرى، والزكاة في بعض بنودها تقدم ما يسد حاجة المسافر الذي أطلق عليه القرآن الكريم: «ابن السبيل»، فالزكاة تسد عَشَر حاجات للإنسان في الحقيقة، توفر المطعم والمسكن والملبس وأدوات الإنتاج، وكتب العلم وأداة الانتقال والعلاج وقضاء الديون والزواج والسياحة، حتى السياحة تدخل في حد الكفاية الذي توفره الزكاة، وعليه فعلاقة الزكاة بالاقتصاد القومي هي علاقة الجزء بالكل.

هدف الزكاة تمكين الفقراء ليصبحوا قادة أعمال وليست صدقة

الصرافة الإسلامية

• أقدمت بنوك غربية وآسيوية على انتهاج الصرافة الإسلامية كيف ترصدون ذلك وكيف تري مستقبلها؟

– الصيرفة الإسلامية كان مرضيًا عنها من الدول غير الإسلامية، ولم يكن مرضيًا عنها من الدول الإسلامية، وكنا نقر بها إذا أقرها الغرب، ولكن كلامنا «مجرد كلام»، أما الغرب فينفذ ما يقوله، فهم يسعون للوصول إلي ما ينفع اقتصادياتهم وما يفيد مجتمعاتهم، ومن ثم إذا رأوا في الصيرفة الإسلامية ما يفيدهم لجأوا إليها، حتى إن «البابا بنديكدت السادس عشر» قال: «على الغرب أن يتعلم من الصيرفة الإسلامية حتى يحسن من وضع مجتمعاته، ويقضي على الأزمة التي وقع فيها عام ٢٠٠٨» وكثير من الدول الغربية أقامت بنوكًا إسلامية ولجأت إلي الصيرفة الإسلامية مثل فرنسا وبريطانيا وألمانيا وبلجيكا وهولندا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا كل هذه البلاد بها منشآت تسير على نهج الاقتصاد الإسلامي.

الصكوك

• تعتبر ماليزيا أهم دولة إسلامية في سوق الصكوك الإسلامية، وتليها بعض دول الخليج مثل الإمارات.. فلماذا لا توجد في مصر مثلاً سوق مماثلة؟

– إن شاء الله ستوجد في القريب العاجل: فقد أوعز «البنك المركزي» إلي «البنك الأهلي» أن يطرح صكوكًا إسلامية للعاملين المصريين في الخارج، ونحن الآن بصدد البحث المتسع في قضية الصكوك، وعقدنا ندوة بالمركز عنوانها «الصكوك الإسلامية وسبل تطبيقها في مصر» وقدم فيها سبعة من الأساتذة الكبار أبحاثًا حول الإطار التشريعي لهذه الصكوك، والفرق بينها وبين الشهادات بما يدفع الناس إلى الإيمان بها وتطبيقها وكيف أنها لا تمثل عبئًا على الميزانية، ولكن عبأها يتحمله المساهم في الصك، ويعتبر هذا تنظيرًا مبدئيًا أو «الفرشة» الأساسية التي ستقام عليها فكرة الصكوك الإسلامية بمصر.

• ما الاقتصاد الإسلامي.. وماذا عن مكانته بين النظم الاقتصادية الأخرى؟

– الاقتصاد الإسلامي مفهوم يقصد به بناء الاقتصاد في المجتمع على هدي الإسلام، فكل اقتصاد لا يتعارض مع تعاليم الله وتشريعاته التي أنزلها في كتابه وجاءت بها السنة المطهرة، هو اقتصاد إسلامي، فطالما ابتعدنا عما حرمه الله في الإنتاج والاستهلاك، وفي التعامل فيما بيننا أيضًا، فنحن إذن نمارس الاقتصاد الإسلامي سواء في المجال الزراعي والصناعي والتجاري في الخدمات في شتى الميادين، فليس لنا هيكل مختلف عن الهيكل العام لأي اقتصاد، وإنما الفرق بيننا وبين أي اقتصاد آخر هو أننا نبنى هذا الهيكل ونؤسسه على هدىً من شريعة الله تعالى، حيث وتنفذ فيه التعليمات التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في ميادين الأعمال والاقتصاد.

• أخيراً.. ما الجديد لدى المركز؟

– قمنا بإطلاق مشروع يقوم على تأليف ١٥ مؤلفًا تتناول فروع الاقتصاد الإسلامي المختلفة لتكون تحت تصرف الجامعات التي تريد تدريس هذه المقررات وبدأنا منها بثلاثة هي: «أصول الاقتصاد الإسلامي» و«اقتصاديات الزكاة والوقف» و«النقود والبنوك في الإسلام»، وجار ترجمة وطباعة كتاب: «القوانين الوسطية في الاقتصاد الإسلامي» للإنجليزية والفرنسية بناءً على طلب الشيخ صالح كامل، والمركز يعقد ٤ منتديات سنويًا ويصدر مجلةً علميةً كل أربعة أشهر صدر منها للآن ٤٣ عددًا، ونقدم الجوائز التشجيعية في مجال الاقتصاد الإسلامي باسم الشيخ صالح سنويًا.

القرآن دستور حياة

يخطئ من يظن أن القرآن الكريم مجرد كلمات تتلى آناء الليل وأطراف النهار.. يخطئ من يظن أن كتاب الله تعويذة ورقية تقي من حوادث الطرق، أو من سرقة المحلات والبيوت وغيرها.. يخطئ من يظن أن تعاليم محكم التنزيل شيء وسلوكياتنا في الحياة شيء آخر..

فالقرآن الكريم منهج حياة، ودستور شامل ما فرط الله فيه من شيء، وإذا كانت طبيعة الدساتير الأرضية- كما عهدناها- تتطرق إلى المبادئ العامة، وتضع ما يضمن للمواطنين حقوقهم وحرياتهم وتنظم واجباتهم وتهذب أخلاقهم، فما بالنا بالدستور الإلهي وشرعة الحياة التي ضمنت حق المخالف قبل حق المتبع؟ ألم يقل سبحانه وتعالى:﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾؟

ألم يضمن حق من يريد العاجلة في الدنيا غير منقوص؟ ألم يمد الله بالأجر الدنيوي هؤلاء وهؤلاء ﴿وما كان عطاء ربك محظورًا﴾؟

ولكن القرآن الذي جاء من رب رحيم يرشد الناس أجمعين إلى طريق الفوز في الدنيا والآخرة معًا.. في العاجلة والآجلة.. لا يريد منح العطاء في الرحلة العابرة فقط، بل في المستقر والمنتهى أيضًا، ولذا جاء بمبادئ سامية وتعاليم راقية، فصل فيها حينًا لحكمة بالغة، وأجمل حينًا، تاركًا للسنة المطهرة أن تفصل، وللناس من بعدها أن ينظموا قوانينهم وفقًا لتلك المبادئ القرآنية العامة.. وبما لا يخالف الأحكام التي نص عليها صراحة.

فما بالنا- بعد كل هذا- نتجاهل المبادئ ونركن إلى الراحة والدعة بعد ترديد متعجل لكلمات لم ينزل أثمن منها؟! ودون تدبر كاف أو حتى نية صادقة للعمل بكل مبدأ وكل إرشاد أهدانا إياه رب العالمين.. تدبروا يرحمنا ويرحمكم الله.. آمين.

علاء الدين عبدالفتاح

القرآن.. لصلاح البشرية

محمد الدسوقي محمد ■

القرآن الكريم دستور الحياة الذي يضع القواعد الأصيلة للحضارة السامية التي يريدها الإسلام الحنيف، ويحمل إلى البشر روحًا ربانية عظيمة تبغي صبغ الحياة بصبغة إيمانية، تتحقق بها مصالح الأفراد والجماعات والمجتمعات، وينتقل بها الناس إلى الحياة الأبدية آمنين سعداء، وفرحين مطمئنين.

والقرآن الكريم هو المنهج المستقيم، والقدوة الحسنة، ومفتاح السعادة للخلق في الدنيا والآخرة، فلقد جعله الله تبارك وتعالى أمانًا، وشاطئ نجاة للبشرية، من اتبعه سلم وفاز، ومن جعله وراء ظهره ضل وغوى، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ. يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: ١٥-١٦)، كما أنه مرجعٌ البشر في عقائدهم، ومبادئهم، وغاياتهم، وهو الحكم الفصل بين الناس فيما يختلفون عليه من أمور في مختلف مناحي الحياة، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥).

وهو العاصم من التردي في الرذائل، والسير وراء الفتن، والتخبط في اعتناق

■ هذا المقال ورد للمجلة منذ سنوات ولم ينشر من قبل.

الآراء المضللة، والمذاهب الخربة، وهو أيضًا سياج عظيم يحمي من التيارات الإلحادية والأفكار الهدامة التي تهب على المسلمين من كل اتجاه.

وإن كانت الكتب السابقة على القرآن الكريم قد نالت منها أيدي الآثمين بالتبديل والتحريف، وهذا ثابت لقول الله عز وجل: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ.. ﴾ (المائدة: ١٣)، وبقوله تعالى أيضًا: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا.. ﴾ (البقرة: ٧٩).. فقد شاءت إرادة الرحمن الرحيم أن تكون للقرآن الكريم صفة الدوام والخلود، ولذا لم يسند الله تبارك وتعالى حفظه إلى أحد من البشر، وإنما تولّى عز وجل ذلك، فحفظه من التحريف والتغيير، يقول تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

دعوة متأنية

ولقد تميز القرآن الكريم بالدعوة المتأنية، فكان نزوله مفرقًا ليجيب على ما يطرح من أسئلة كانت تعن لأصحابها، وليرد كيد الأعداء، ويكشف مآربهم الوضيعة، وليوجه المؤمنين إلى المزيد من التمسك بدينهم الذي هدوا إليه.

وهداية القرآن فاقت كل هداية، فهو دليل الإصلاح، ومصباح الإرشاد، وسبيل الحكمة، وآية الله الناطقة.. ففي مجال العقيدة دعا إلى توحيد الله عز وجل، ووضح عظمته وقدرته، ودعا إلى نبذ الأصنام والأنداد، وفي مجال العبادة شرع العبادات ليربط المؤمن بربه فيما يؤديه من شهادتين، وصلاة، وزكاة، وصيام، وحج..

وفي مجال التشريع شرع للناس ما يلزمهم، وما يحتاجون إليه في سلوكهم، وحرّم عليهم ما يضرهم، ويودي بمجتمعهم.. وبيّن للناس الطريقة المثلى في علاقات بعضهم ببعض، أفرادًا وأزواجًا وحكومات، وشعوبًا ودولًا، وأجناسًا.

وبالإضافة إلى أن القرآن الكريم هداية للبشرية، ومنجاة لها من التيه والضلال والعبث فإنه بشرى طيبة لمن يحسن التمسك بقواعده، ويتحلى بقيمه، ويخضع حياته في صغيرها وكبيرها لمبادئه وأصوله، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٩)، وقال تعالى أيضًا: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ..﴾ (المائدة: ١٦).

ولقد عني الرسول ﷺ بتوكيد هذا الدور العظيم للقرآن بقوله: «إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله، والنور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يزيغ فيستعتب، ولا يعوج فيقوم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد.. » (رواه الدرامي في مسنده).

والقرآن الكريم نعمة تعطى للناس، تقرب إليهم، وتيسر لهم ظروف الحياة ومناسباتها مع رياضة خاصة أو عبادة خاصة، والناس يستبينون منه الهدى في تفسير الحياة وتدبيرها.. والقرآن في ذلك فرقان واضح يفرق بين الحق والباطل، ويتميز به تاريخ الإنسانية في عصره عن كل عصر قبله، وهذا معنى الفرق والتميز في كلمة الفرقان الذي فيه آيات بينات.

ولسوف يبقى القرآن محفوظًا في الصدور، وفي السطور ما بقي الزمن، وما بقيت الدنيا، وذلك لأنه كلمة الله تعالى الباقية إلى أن تقوم الساعة، ويقوم الناس لرب العالمين، ولقد تكفل الله بحفظه كما تكفل بجمعه وبيانه. قال رب العزة سبحانه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (القيامة: ١٦- ١٩).

والقرآن الكريم معجزة الرسول ﷺ المقروءة والباقية لا للإنس فحسب بل للجن أيضًا، قال تعالى : ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ (الجن: ١).

ولإعجاز القرآن الكريم وجوه شتى.. فهو معجز في لفظه، وفي معناه، وشرائعه، وأخباره، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف: ٥٤).

خصوم القرآن

ولقد أثر القرآن الكريم- بما فيه من إعجاز- في أعدائه قديمًا وحديثًا، فاستطاع أن ينتزع من أفواه البعض، رغم التعنت والمكابرة والعناد، كلمة حق إن دلت على شيء، فإنما تدل على أن هؤلاء القوم الضالين أدركوا حقيقة الإسلام ونبل غايته، ولكنهم أبوا إلا أن يعيشوا في ضلالهم، مؤثرين نفوذهم الدنيوي الفاني والزائل على آخرتهم.

روى ابن اسحق عن محمد بن مسلم بن شهاب عن الزهري أنه حدث أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي في بيته، فأخذ كل واحد منهم مجلسًا يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، حتى إذا جمعتهم الطريق تلاوموا، فقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئًا، ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، وجمعتهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قاله أول مرة، ثم انصرفوا.

فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا

طلع الفجر تفرقوا، فجمعتهم الطريق، فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا.. وهكذا كان القوم تتأثر بالقرآن قلوبهم فيصدونها، وتجاذبهم إليه نفوسهم فيمانعونها.

ولم يقف أمر تأثير القرآن الكريم في قلوب خصومه عند كفار قريش، بل تعداه إلى التأثير في علماء الغرب المحدثين.. والمنصفون من هؤلاء يشهدون بعظمة القرآن الكريم، يقول المستشرق «كارلايل» وهو من أساتذة جامعة كبردج: «إن علوية القرآن في حقيقته العالية.. فهو حافل بالعدل والإخلاص، والدعوة التي بلغها محمد ﷺ إلى العالم حق وحقيقة».

ويقول المؤرخ الإنجليزي «جيبوته»: «إن موحدًا ذا رأس مفكرة لن يتردد في الاعتراف بوجهات نظر الإسلام، فقد يكون الإسلام دينًا أعلى من تطورنا الفكري اليوم».

ويؤكد «ستنفاس» أن القرآن الكريم واحد من أهم الكتب التي انتقلت إلى الناس ليستفيدوا منها، فهو سجل جامع لأسس الأخلاق والعقائد الكفيلة بتحقيق التوفيق والهداية للناس في حياتهم.

ويجزم الفيلسوف الفرنسي «الكس لوازون» في كتابه «حياة محمد» بأن الرسول ﷺ قد «خلّف للعالم كتابًا هو آية البلاغ، وسجل الأخلاق»، ثم يؤكد أنه «ليس من بين المسائل العلمية التي كشفت حديثًا أو المخترعات مسألة تتعارض مع الأسس الإسلامية، فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية، مع ما نبذله من المساعي للتأليف بين النصرانية وبين القوانين الطبيعية».

ومع بزوغ فجر كل يوم يشرح الله عز وجل صدورًا كثيرة للإسلام، ويكون أول قولهم بعد إسلامهم الإشادة بعظمة القرآن الكريم وبأنه- وبحق- الهداية التي لم يسبق إليها، ولا يلحق بها.

فضله على أصحابه

والمسلمون- في حاضرهم- مطالبون بمزيد الإقبال على القرآن الكريم تلاوة وفهمًا، وإعمالاً لحواسهم في إدراك ما جاء به من أسس قويمة بغية العيش في حياة آمنة مطمئنة، والفوز برضوان الله تعالى في الآخرة. قال تعالى:﴿.. فاقرأوا ما تيسر من القرآن .. ﴾ (المزمل: ٢٠).

والذي لا شك فيه أن للقرآن الكريم فضلاً عظيمًا على أصحابه، وأول ما يمن الله تعالى به على قارئ القرآن الكريم السكينة، قال ﷺ: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده» (رواه مسلم).

والسكينة مملكة من ممالك الله العليا يختص بها من يشاء من عباده، فإذا حلت بالقلوب أكسبتها طمأنينة واستقرارًا، ومن ثم فقد ورد ذكرها في القرآن في مواقف حاسمة تكاد تتخلع منها القلوب لشدة ما فيها من الهول والفزع.

ورد ذكر السكينة عندما كان رسول الله ﷺ في غار ثور مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان الموقف شديدًا ومفزعًا، قال تعالى: ﴿.. فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا.. ﴾ (التوبة: ٤٠).

كما ورد ذكر السكينة في غزوة حنين، وقد احتدم الخطب، وساد الفزع،

واضطربت الصفوف، وأحكمت الشدة حلقاتها، والنبي ﷺ ينادي في ثبات وعزيمة: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب.. »، ﴿ ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودًا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين﴾ (التوبة: ٢٦).

إن نعمة السكينة تنزل مع الرحمة والملائكة على الذين يجلسون يقرأون كتاب الله تعالى ويتدارسونه فيما بينهم، إنهم ينالون شرفًا كبيرًا وقدرًا رفيعًا، إذ أن الله جل جلاله يذكرهم فيمن عنده من الملأ الأعلى.

والقرآن يدفع بأصحابه على طريق الصلاح والخير، ويزيد من ميزان حسناتهم.. يقول ﷺ: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها.. لا أقول: ألَم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» (رواه الترمذي).

ولا يتوقف نفع القرآن الكريم لأصحابه عند هذا الحد، بل يتخطاه ليكون شفيعًا لهم يوم القيامة.. يشهد لهم بالقيام على تلاوته وتدارسه، كما يقف- بأمر الله تعالى- مدافعًا عن صاحبه، يقول ﷺ: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه» (رواه مسلم)، ويقول ﷺ أيضًا: «يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما» (رواه مسلم).

ولو لم يكن للقرآن الكريم فضل على أصحابه غير هذا لكفاه، لكن الله تبارك وتعالى تفضل على المسلمين فجعل لقارئ القرآن منزلة في الجنة يستحقها بتلاوة القرآن الكريم، وعلى قدر التلاوة تكون المنزلة، قال ﷺ: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ، وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها» (رواه أبوداود والترمذي).

وعلى المسلم ألا يعرض القرآن الكريم للنسيان، ويكون ذلك بدوام تعهد التلاوة، والقيام عليه، يقول ﷺ: «إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت» (متفق عليه).

آداب قراءة القرآن

لقد وصف رب العزة القرآن الكريم بأنه «حبل الله».. ﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا﴾ (آل عمران: ١٠٣)، ووصفه بأنه «أحسن الحديث»، ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابًا..﴾ (الزمر: ٢٣)، كما أكد أنه «شفاء ورحمة» .. ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة﴾ (الإسراء: ٨٢)، وأسماه الله تعالى «النور» لما فيه من الهداية للأبصار والبصائر، ﴿واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ (الأعراف: ١٥٧)، وهو كلام الله تعالى، ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾ (التوبة: ٦)، إلى غير ذلك من الأسماء والصفات التي قدس الله تعالى وأجل بها قرآنه.

وقد أكد رب العزة سبحانه هذا الإجلال والاحترام للقرآن الكريم، فحكم بألا يمسه إلا المطهرون، قال سبحان وتعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ. فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ. لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ. تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الواقعة: ٧٧-٨٠).

ولقد أدرك علماء المسلمين أهمية أن يتوافر في المسلم عدد من السمات الخاصة عند حمله القرآن الكريم أو تلاوته .. وقد وصلت هذه السمات إلى خمس وسبعين سمة عند البعض، نرى لزامًا أن نشير إلى بعضها، ومن أهم تلك السمات:

- ينبغي لقارئ القرآن- والمقرئ له- أن يقصد بذلك وجه الله تعالى.
- على القارئ أن يصون يديه- في حال قراءة القرآن- من العبث، وعينيه من تفريق نظرهما من غير حاجة، وأن يصلي ركعتين في موضع جلوسه ثم يجلس للقراءة.
- ألا يمس القرآن إلا طاهرًا لقوله تعالى: ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾.
- يفضل أن يستقبل القبلة للقراءة.
- ينبغي أن يكون مجلسه واسعًا ليتمكن جلساؤه فيه، وأن يبكر بقراءته في أول النهار.
- ألا يقرأ القرآن بتلحين الغناء، وألا يجهر بعض على بعض بالقراءة فيفسد عليه، وألا يقرأ القرآن في الأسواق ومواطن اللغط واللغو.

العودة لكتاب الله

وجدير بالمسلمين- وقد تراكمت مشكلاتهم وتعقدت نتيجة البعد عن الدين- أن يسارعوا بالعودة للأخذ بأحكام كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، إنهم إن فعلوا يكونوا- بحق- خير أمة أخرجت للناس.

إن الحاضر يدعو إلى التوجه الفوري لتنفيذ أحكام الله ومبادئ دينه الحنيف؛ خروجًا من آلام العصر الذي أصبح الفرد فيه لا يأمن على نفسه من يومه أو غده، فضلًا عن كونه لا يأمن على ذويه.. قال تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ (الأنعام: ١٥٣).. وكم تعالت الأصوات- ولا تزال- مطالبة بتحكيم كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ في كل شؤون الدنيا؛ أملًا في الفوز بسعادة الدارين.

والذي لا ينكره إلا جاحد أو حاقد أو مكابر أن الإسلام هو الدين الوحيد القادر على تخليص البشرية من آلامها ومشكلاتها، غير أنه يوجد من بين أبناء المسلمين من يساعد أعداء الإسلام في العمل بكل وسيلة لصرف المسلمين عن دينهم، وليظلوا ممزقين في طول الأرض وعرضها، وفقراء يقتل بعضهم بعضًا.

فما أحوجنا حقًّا إلى العودة إلى القرآن والسنة النبوية منهاجًا يحمي الحاكم والمحكوم.. فهل نحن فاعلون؟!

من بلاغة القرآن الكريم وإعجازه

نظرة في آيات حمل عيسى ابن مريم عليه السلام وولادته

عبدالعزيز بن صالح العسكر
عضو الجمعية العلمية السعودية للغة العربية

لقد كانت حياة عيسى عليه السلام ومولده وما سبقه من حمل أمه له ثم ولادته آيات ومعجزات تدل على عظمة الخالق سبحانه وتعالى وقدرته، وقد قصها القرآن الكريم بأسلوب رائع وبلاغة فائقة ونظم بديع يترك في النفس عظيم الأثر وعميق الدروس.

ولا تتسع صفحات كثيرة لتعداد تلك الآيات والمعجزات، ولكنني سأشير هنا إلى بعض منها وفيها آيات للموقنين.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ وتستمر الآيات الكريمة في سياق مراحل حمل عيسى وولادته.. ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾.. ومرحلة أخرى ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾.. ومرحلة أخرى ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا. يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾.. ثم يأتي الجواب بعد أن أبلغتهم أنها نذرت للرحمن صومًا فينطق الرضيع ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُاللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا. وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي

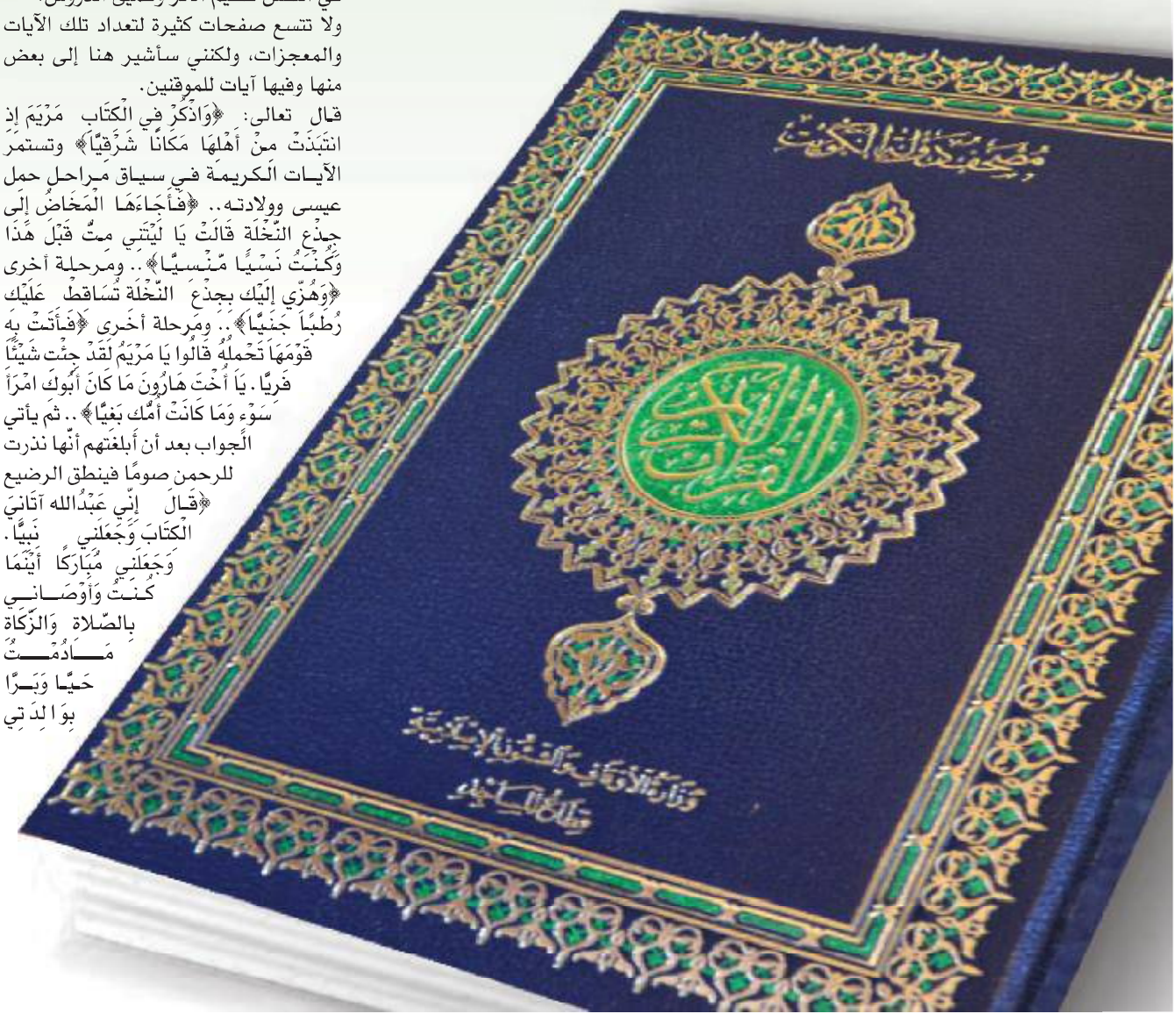

وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾.

قال علماء التفسير: لما أحست مريم عليها السلام بآلام الوضع، وكان الحمل بمراحله كلها في ثلاث ساعات من النهار كما قال ابن عباس رضي الله عنهما فحين أحست بآلام الوضع بحثت عن شيء تستند إليه ولم تجد إلا جذع نخلة يابسة في الصحراء؛ فاستندت إليه.

معجزة كبيرة أن يكون الحمل والوضع في ثلاث ساعات فقط، ثم تليها المعجزات.. امرأة في المخاض يطلب منها أن تهز نخلة وأيّ طاقة تملكها لتهز بها النخلة؟ إنّها ستلمس جذع النخلة فقط، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان جذعًا نخرًا فلما هز نظرت إلى أعلى الجذع فإذا السعف قد طلع، ثم نظرت إلى الطلع قد خرج من بين السعف، ثم اخضر فصار بلحًا ثم احمر فصار زهوًا، ثم رطبا» كل ذلك في لحظات من جذع يابس.. إنّها آيات الله الباهرة.

وتكمل المعجزة بأن يقع الرُّطب بين يدي مريم عليها السلام لم «ينشدخ» منه شيء كما ورد في رواية ابن عباس.. سبحان الله! المعهود أنّ الرطب إذا وقع على الأرض يفسد بوقوعه ولا يستفاد منه.. ولكن الرطب نزل على مريم جنيًّا سليمًا لم يفسد منه شيء.

وكم في هذه الآيات من العبر.. إنّ هذا الطفل الرضيع ينطق ولكنه يقول كلامًا فيه تربية وتعليم وحجة وبيان وردٌّ على المغتربين والضّالين.. ونُلَخِّصُ ما ورد في نطقه عليه السلام في المهد في النقاط التالية:

أ – قال (إني عبدالله) صفته الشرعية فهو بشر عَبْدٌ لله ورسوله؛ وليس ابن الله كما قال المفترون الظالمون الضّالون من النّصارى في مفترياتهم وكذبهم على الله ورسوله.

ب – قال (وجعلني مباركًا أينما كنت) وهذه صفة عباد الله الصالحين؛ فهم مباركون أينما رحلوا وحيثما نزلوا.. فواحدهم مبارك على نفسه وأهله وإخوانه وجيرانه وطلابه، فنفعه عام مستمر لا ينقطع بتغير الزمان أو المكان أو تقدم السن.. وقد رأينا في علمائنا

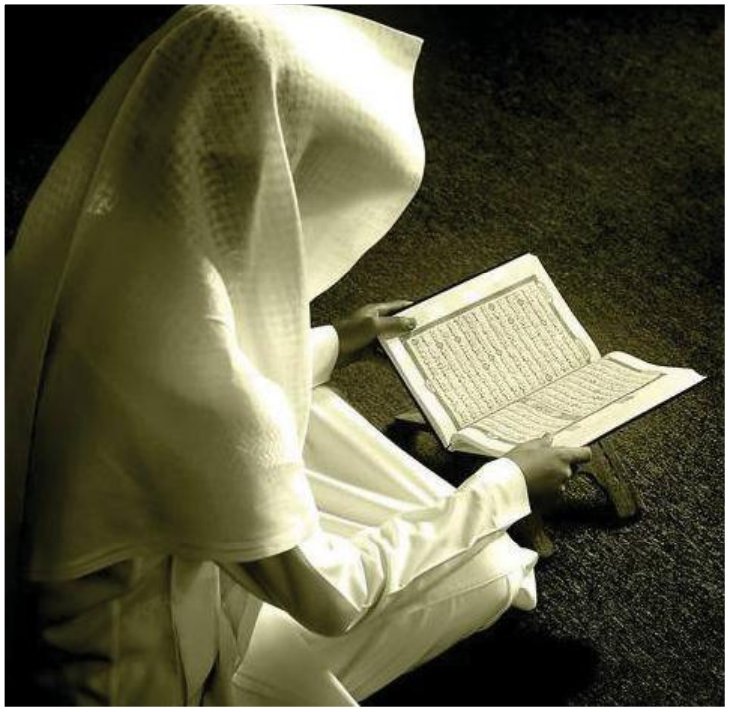

مصداق ذلك فقد بلغ بعضهم الثمانين سنة ونفعه مستمر للداني والقاصي؛ أما العاجزون من ضعاف النفوس فإن نفعهم محدود ضيق منقطع.

ج – قال (وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيًّا) فالصلاة عمود الدين ليس في شرعنا فقط، وهي مورد عذب لتجديد الإيمان وقوة اليقين وتجديد الصلة بالله تعالى.. وهذه الشعيرة مما يوصي به الآباء أبناءهم والأنبياء أتباعهم، ويسألون الله العون على ذلك.

د – قال (وبرًّا بوالدتي) وهنا يأتي الوفاء وشيم الصالحين ومكارم الأبرار؛ فعيسى عليه السلام لا أب له ولذلك أوصاه ببر والدته.. أما نحن فإننا مطالبون ببر والدينا طول حياتنا.. وبر الوالدين من أبواب الجنة وسعة الرزق والبركة في العمر وبر الأبناء.

وأختم هذه الإشارات السريعة بذكر بعض المواقف في قصة عيسى عليه السلام وأمه مما ذكره المفسرون: فقد ذكروا أنها عليها السلام انتبذت مكانًا شرقيًّا لأنهم كان يعظمون المشرق ولذلك كانت عبادة النصارى إلى المشرق فجعلوه قبلة لهم.. وقال المفسرون: إنّ امرأة مدّت يدها لتضرب مريم استنكارًا لحملها وولادتها فأجفّ الله شطرها.

وقال رجل: ما أراها إلا زَنَتْ فأخرسه الله تعالى.

وتأتي الآيات البينات مُعددة لمفتريات النصارى داحضة لأقوالهم بما لا يدع مجالًا للشك؛ فعيسى عليه السلام عبدٌ لله ورسول وليس ابنًا لله، وقد رفعه الله تعالى ولم يُقْتَل كما يزعمون. قال تعالى ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ. مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾ ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا. بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾.. في هذه الآيات الكريمة صور من بلاغة القرآن الكريم وأدلة على وحدانية الله وقدرته، وبراهين على أنّ دين الله واحد (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ) وخاتم الأنبياء هو محمد ﷺ، ولا يقبل الله بعد نبوة محمد دينًا آخر ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾.

العدد (٥٦٨) ذو الحجة ١٤٣٣هـ/ أكتوبر - نوفمبر ٢٠١٢م

الشيخ الطبلاوي للوعي الإسلامي:

علينا إحياء «الكتاتيب» وتحسين أحوال القائمين عليها!

هالة عبدالحافظ - القاهرة
دار الإعلام العربية

قالوا عنه: آخر حبة في سبحة القرّاء الكبار، تجاوزت جموع محبيه الآفاق والحدود، تنقل بين جميع بلدان العالم الإسلامي وغير الإسلامي صادعًا بآيات الذكر الحكيم، وتميز بصوت قوي متميز يُقلَد ولا يُقلِد.. هذا هو المقرئ الشيخ محمد محمود الطبلاوي الذي التقته «الوعي الإسلامي» للحديث عن مسيرته النورانية وأبرز محطاتها وذكرياته فيها.. إلى التفاصيل.

خضت تجربة قرآنية ومسيرة نورانية على مدى سنوات عمرك.. فما أبرز المحطات الرئيسية في رحلتك مع كتاب الله؟

هذه المسيرة عبرة لمن يريد أن يسلك طريق الحق والإيمان، وأحب أن أعرف نفسي بأني محمد محمود الطبلاوي نقيب القراء، وقارئ الأزهر الشريف، بدأت طريقي مع كتاب الله من عمر الخامسة وانتهيت من حفظه كاملاً في عمر التاسعة، وحرصت على مداومة مراجعة شيوخي حتى لا يتفلت مني، ولم يكن الطريق مفروشًا بالورود، لكني بفضل الله امتلكت إزاء العديد من الصعاب والمشاق التي واجهتني عزيمة لا تلين، دعمتها بحبي للذكر الحكيم، وكان والدي يضرع إلى السماء داعيًا رب العباد أن يرزقه ولدًا ليهبه لحفظ كتابه الكريم وليكون من أهل القرآن، واستجاب الخالق القدير لدعاء عبده الفقير إليه، ورزق والدي بمولوده الوحيد، ففرح بي فرحة لم تعدلها فرحة في حياته كلها، لا لأنه رزق ولدًا فقط، إنما ليكون له ابن من حفظة القرآن الكريم، ووالدي فعل خيرًا عندما أصرّ وكافح وصبر وقدم لي العون والمساعدة، ووفر لي كل شيء حتى أتفرغ لحفظ القرآن الكريم.

ما الصفات التي يجب أن يتميز بها قارئ القرآن؟

صفات القارئ الجيد أن تكون له مدرسة خاصة به في التلاوة، فلا يُقلد أحدًا؛ أي «يُقلَد ولا يُقلِد»، مع حفظ القرآن الكريم بأحكامه، مع مخارج الحروف، وإعطاء كل حرف حقه.. ومن خلال تجربتي الشخصية مع التنزيل الحكيم فإنني بدأت قارئًا صغيرًا غير معروف كأي قارئ شق طريقه بالنحت في الصخر، وملاطمة أمواج الحياة المتقلبة، كل ذلك في بداية حياتي القرآنية قبل بلوغي الخامسة عشرة من عمري.. وكثيرًا ما كنت أتحين الفرصة التي أخلو فيها مع نفسي وأتذكر بدايتي مع القرآن ونشأتي وأول خطواتي على درب الهدي القرآني، وما وصلت إليه الآن فأشعر أنني مدين بالكثير والكثير لكل صاحب فضل عليَّ بعد ربي العلي القدير، فأدعو لوالدي ولمشايخي بالرحمة والمغفرة، ولزملائي الذين شجعوني واستمعوا إليَّ وأنا صغير وجعلوني أشعر بأنني قارئ موهوب.

أيضًا في مجال الدعوة إلى الله عليه أن يقرأ القرآن بما يرضي الله، فكل ما خرج من القلب، يصل إلى القلب، فالإنسان عندما يقرأ بقلب حاضر ونية سليمة، يستطيع أن يصل إلى جموع الناس، والشخص الذي يُحبه الله، يحبب فيه عباده، فمثلاً الشيخ محمد رفعت توفي منذ زمن بعيد لكنه ما يزال حيًّا

بيننا بصوته، فالتقوى أساس كل شيء، ولا بد من المداومة بشكل يومي على قراءة القرآن في حدود خمسة أجزاء في اليوم، وعن نفسي أبدأ قراءته يوم الجمعة وأختمه يوم الخميس، بمعدل ختمة كل أسبوع.

وماذا عن بداية انتشارك في العالم الإسلامي؟

– لم أنتظر أن يأتي إليّ الراغبون، بل حرصت على أن أتنقل بين جميع الأرجاء تاليًا ومجودًا للتنزيل الحكيم، فسافرت إلى أكثر من ثمانين دولة عربية وإسلامية وأجنبية، بدعوات خاصة تارة، ومبعوثًا من قبل وزارة الأوقاف والأزهر الشريف تارات أخرى، ممثلاً مصر في العديد من المؤتمرات، ومحكمًا لكثير من المسابقات الدولية التي تقام بين حفظة القرآن من كل دول العالم.. ومن الدعوات التي أعتز بها دعوة تلقيتها لأتلو القرآن أمام جموع المسلمين لأول مرة في تاريخ اليونان، كذلك دعوة من الحكومة الإيطالية لتلاوة القرآن الكريم بمدينة روما لأول مرة أمام جموع غفيرة من أبناء الجاليات العربية والإسلامية هناك.. فضلاً عن مئات الزيارات لمختلف دول العالم العربي لاسيما دول الخليج.. وكنت دائمًا أتجول بين البلدان، لإحياء الليالي القرآنية.

أعتقد أن هناك محطة سابقة لانطلاقتك الخارجية ألا وهي محطة التحاقك بإذاعة القرآن الكريم؟

– بالفعل، فمع تزايد طلابي نصحني

أتوسم خيرا في الجيل الجديد

كثير من المحبين بالتقدّم للالتحاق بالإذاعة كقارئ بها، فاستجبت لذلك دونما إصرار، إلا أنني لم أجتز الاختبار في المرة الأولى، بل تكرر أكثر من مرة اعتمدت بعدها قارئًا بالإذاعة بإجماع لجنة اختبار القراء، وحصلت على تقدير «الامتياز»، وكان ذلك في العام ١٩٧٠م، والحمد لله أنني كنت القارئ الوحيد الذي اشتهر في أول ربع ساعة انطلق فيها صوتي عبر الإذاعة، فاختزلت موهبتي القرآنية المسافة الطويلة التي تفصل القارئ مع مستمعيه من التلاوة الأولى التي انطلق بها صوته الرخيم عبر أثير الإذاعة إلى جميع أرجاء مصر والأمة العربية والإسلامية، وكانت إشكاليتي مع الإذاعة تتمثل في

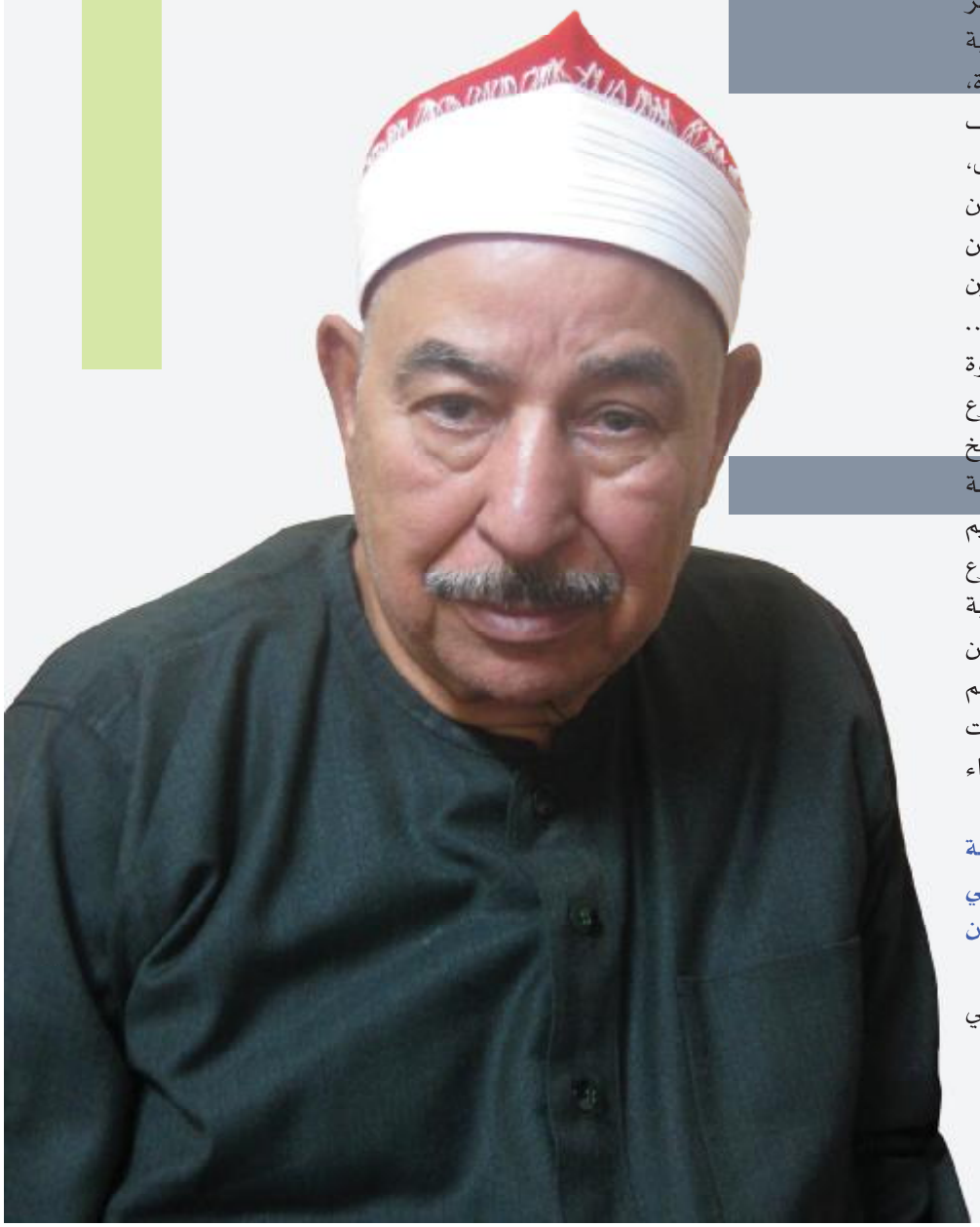

لم يكن طريقي مفروشًا بالورود.. وواجهت كثيرًا من الصعاب بعزيمة لا تلين

الانتقال النغمي، وكانوا يأخذون علي افتقاري للانتقال الموسيقي في أدائي، وكان ردي دائمًا أني لا أؤمن بالموسيقى، وطبيعة القرآن لا تحتاج إليها، ويكفي أن الله منحني صوتًا ونفسًا وأداءً، والحمد لله الذي منحني هبات عديدة.

تنقلت بين العديد من بلدان العالم.. فما أبرز المواقف التي لا تُنسى في حياتك؟

– تعرّضت على مدار سنين عمري للعديد من المواقف، كنت ذاهبًا إلى الهند، وتحديدًا إلى جامعة «الندوة» لحضور مؤتمر بصحبة دكتور زكريا البري وزير الأوقاف في ذلك الوقت، وتأخرت بنا الطائرة، وحضرنا الحفل بعد بدئه بربع ساعة، والشيخ أبو الحسن الندوي كان عالمًا جليلاً، وكان يعرفني شخصيًا، وفور دخولنا الحفل زج بي الشيخ البري في مقدمتهم؛ لأني كنت أرتدي الزي الأزهري، وإذا بالشيخ أبو الحسن يصيح بصوته الجلي قائلاً: «الآن حضر وفد مصر وعلى رأسه الشيخ الطبلاوي، فلنبدأ حفلنا من جديد».

حدثنا عن أهمية الكتاتيب في تعليم وتدريس القرآن الكريم وأهمية الحاجة إلى عودتها مجددًا؟

– أتمنى عودة الكتاتيب مجددًا؛ لأنها خرَّجت كل القراء والعلماء العظماء كالشيوخ مصطفى إسماعيل، عبدالباسط عبدالصمد، محمد صديق المنشاوي، والشيخ محمد الغزالي العالم الجليل، الشيخ يوسف القرضاوي، وذلك لأن الكتّاب كان به نظام حفظ متقن، حيث كان يتم حفظ «لوح» ويتم قراءته وتسميعه على الشيخ أو كما كان يطلق عليه «سيدنا»، إضافة إلى استرجاع ما تم حفظه سابقًا حتى لا يُنسى، هكذا كان النظام المتبع، فالحفظ في الصغر كالنقش على الحجر، والحفظ في الكبر كالنقش على الماء؛ أي يُمحَى من الذاكرة سريعًا.

وهل في حال عودتها ستحقق أغراضها، وتُخرج علماء أجلاء مثلما كانت قديمًا؟

– بالفعل ستخرج الكثير من المستويات الفكرية، سواء كانوا قراءً أو كتابًا أو علماء، لأن الإشكالية في المحفظ، فإذا لبينا احتياجاته المادية انعكس أداؤه وإخلاصه على الطلاب، حتى يكون لديه القدرة على العطاء ومواجهة ضغوط الحياة، ولابد أن يكون المحفظ ذا مظهر مشرف، له وللبلد الذي ينتمي إليه.

مَن أبرز الشيوخ الذين تتلمذت على أيديهم وماذا تتذكر لهم؟

– بالتأكيد الشيخ عبدالباسط عبدالصمد، وأتذكر أنه كان يسكن قريبًا مني أمام مسجد مصطفى محمود بمنطقة المهندسين، وكان دائمًا يتصل بي بعد صلاة العصر، ويسألني إذا كنت مشغولاً بشيء كي يأتي ليجلس معي، وأتحدث معه أمام البيت في القرآن ولياليه، فكان من أقرب أصدقائي هو والشيوخ مصطفى إسماعيل، محمد صديق المنشاوي، عبدالعظيم زاهر، كامل البهتيمي، وكلهم شيوخ أجلاء.

ومَنْ أبرز الشخصيات الذين قمت بالقراءة لهم أو أمامهم؟

– قرأت أمام شخصيات عديدة، كالملك خالد بن عبدالعزيز–رحمة الله عليه– عام ١٩٧٩ في الرياض، وقالي لي: «يا شيخ طبلاوي القرآن نزل هنا في الجزيرة العربية، وطُبع في إسطنبول، وقُرأ في مصر»، وقرأت أمام الشيخ خليفة بن حمد القطري، وقرأت في الكويت في جامع الشيخة بدرية، ولا شك في أن أهل الكويت مشهود لهم بالكرم وحسن الضيافة.. وقد ظللت أذهب إلى الكويت خمس سنوات متتالية في رمضان، وفي إحدى زياراتي كنت مع الشيخ شعبان الصياد، والشيخ راغب غلوش، وكنا نتناوب قراءة أجزاء القرآن نسخة مرتلة، وكنا نسمى «الثلاثي».

ماذا عن قيام كبار القراء بتسجيل القرآن؟

– لا شك في أن كل الشيوخ الأجلاء قاموا بتسجيل ختمات قرآنية، فمثلًا أنا سجلت خمس ختمات، اثنتين مرتلتين، ومثلها مجودتين، وختمة للتعليم، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

رسالة القرآن بعيون نخبة من الباحثين

نشرت إدارة البحوث بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر الطبعة الأولى من «رسالة القرآن» في ربيع الأول ١٤٣١هـ فبراير ٢٠١٠م وهي من تأليف نخبة من الباحثين والكتاب البارزين، وضمت الرسالة الفريدة المنشورة في ٦٢٠ صفحة من القطع المتوسط ١٧بحثًا عن القرآن الكريم منها ما تعرض للنص الرباني كمصدر للمعرفة ومحور للنشاط الفكري (د.عبدالعزيز التويجري) ومنها ما تعرض له من حيث عالمية الخطاب (د.ناصر العمر) كما ضمت الرسالة بحثًا بعنوان «الحرف القرآني في لغات الشعوب الإسلامية وثقافتها» (د.يوسف أبوبكر) وآخر بعنوان من مقاصد القرآن (د.ثقيل الشمري) وقدم الدكتور (د.محمد الجليند) بحثه بعنوان «قراءة كونية لكتاب الله» أما الأبحاث الأخرى فجاءت

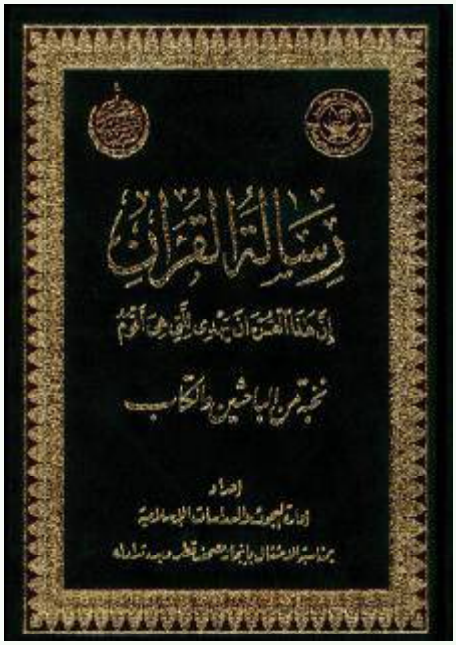

بعناوين: هيمنة القرآن وخلوده (د.أحمد الإمام) والاجتهاد الفقهي والأصولي في القرآن الكريم (د.نور الدين الخادمي) والقرآن ودوره في نهوض الأمة (د.عمر المقبل) وكيف يكون القرآن سبيل النهوض (د.أحمد فرحات) ومصدرية القرآن للثقافة ومحوريته لكل أنواع النشاط (نورة سعادنة) والقرآن عطاء حضاري متجدد (أمين الصلاحي) وخلود الخطاب القرآني ومقوماته (د.صالح الزنكي) والسياقات القرآنية والأنساق العلمية:علاقة الاستيعاب والتجاوز (د.محمد صالح) والقرآن الكريم بين خصوص اللسان وعموم الرسالة (د.عبدالرحمن بودرع) والقرآن محور النشاط الفكري (د.محمد شبير) وعالمية الخطاب القرآني (د.عبد الكريم حامدي) ويهدي للتي هي أقوم (عمر حسنة).

أساليب الخطاب في القرآن الكريم

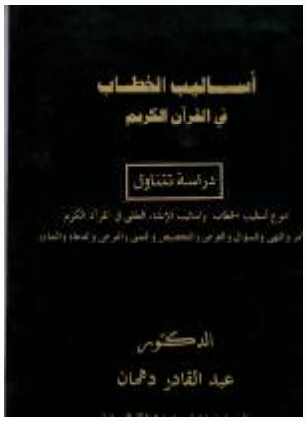

أثرى الإمام والخطيب بالكويت د.عبدالقادر دهمان المكتبة القرآنية بدراسة معمقة تتناول أساليب الخطاب وأساليب الإنشاء الطلبي في القرآن الكريم، وقد تعدت الدراسة ألف صفحة، معتمدة على أكثر من ٧٠٠ مرجع موثق.. وجاء فيها بالتفصيل كيف تم توجيه الخطاب من رب العزة سبحانه بصيغ المتكلم والغيبة، وفي أي موضع كان موجهًا إلى النبي ﷺ بلفظ مباشر، أو إلى جماعات بعينها.

كما تناولت الدراسة الخطاب من الرسل ومن غير الرسل، وتوقفت عند ضوابط ومصطلحات الخطاب القرآني المكي، وكذلك نظيره المدني، مفرقة بين حال الإنسان ومشاعره، فهناك مطلب لخطاب الكرامة وآخر للإهانة وثالث للتهكم.. إلى آخره.

وفي أساليب الطلب في الخطاب القرآني تعرض الباحث إلى موضوعات الأمر والنهي والإباحة، ثم الاستفهام والتمني والدعاء، وأخيرًا عرّف الباحث النداء في القرآن وقسّمه إلى: نداء قرآني عام إلى المخلوق، وآخر للأعلام.

هدية الكويت للعالم الإسلامي

قاموس القرآن الكريم

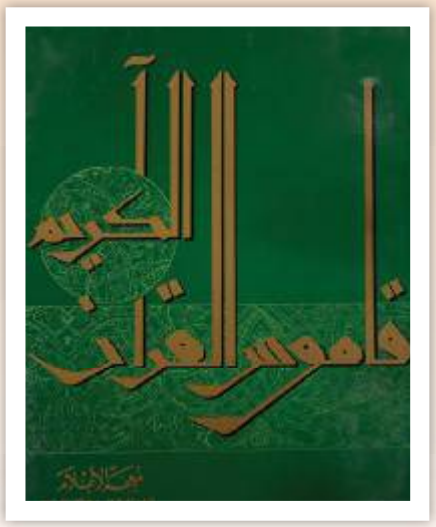

فوجد أمامه نص الوعد الأميري الكريم بقاموس القرآن الكريم، والقاموس- كما جرى به الاستخدام في الآونة الأخيرة- يعني المعجم، أي الكتاب الجامع لمفردات الموضوع، الشارح لها بقصد البيان والتفسير، وانطلاقًا من هذا الحد، فالقواميس أو المعجمات، ليست

التحرير

قدمت الكويت مشروع «قاموس القرآن الكريم» هدية إلى العالم الإسلامي، وهو أول قاموس يصدر باللغة العربية، جامعًا الجوانب التشريعية والتاريخية والأثرية والجغرافية والنباتية بالكلمة والصورة والخريطة، وقد ترجم هذا القاموس إلى بعض اللغات، وسيترجم بعد ذلك إلى لغات أخرى.

وكان سمو الأمير الراحل جابر الأحمد- يرحمه الله- قد عهد إلى مؤسسة الكويت للتقدم العلمي أن تنفذ هذا المشروع تخطيطًا ومتابعة، حتى يكون بين يدي الناس «قاموس القرآن الكريم» بل العالم أجمع.. يقول رئيس المشروع د.عبدالله يوسف الغنيم: توالت اجتماعات فريق العمل؛ لتتبين أولًا أهم المعالم التي تحدد المطلوب في وضوح، وتحدد الطريق الموصلة إلى هذه الغاية، ونظر الفريق

مستوى واحدًا، سواء في استقصاء المفردات ومواد الموضوع، أو في المدى الذي يذهب إليه الشرح والتفسير لهذه المواد، وكل ذلك بناء على نوع القاموس، ومجاله، والهدف منه.

ويضيف الغنيم: والقرآن الكريم هو كتاب الله، وكلمته الخاتمة للرسول الخاتم محمد بن عبدالله ﷺ، فعليه مدار الدين كله، ومدار الحركة الإنسانية لكل من آمن برسالته، ولقد كان هذا الكتاب العظيم منذ نزوله محط أنظار المؤمنين به، فهو معهم في كل شؤون حياتهم الاعتقادية والفكرية، والخلقية والتربوية، والاجتماعية والاقتصادية، وكان مدار نظر العلماء على توالي العصور منذ نزوله إلى اليوم، يتناولونه بالدرس لاستنباط الأحكام وقواعد السلوك، وللإبانة عن مضامينه ومراميه، ولتفسير إشارته ومعانيه، أو يحاولون الكشف عن وجوه إعجازه وأسرار بيانه، أو يقررون ما يتعلق بتاريخ نزوله وآداب تلاوته ووجوه قراءته، ومن ثم تفرعت عن القرآن الكريم علوم الشريعة المختلفة، وعلوم اللغة والبيان وغيرها، وتوسع العلماء في هذه الفروع حتى أصبحت علومًا مستقلة لها كتبها وعلماؤها.

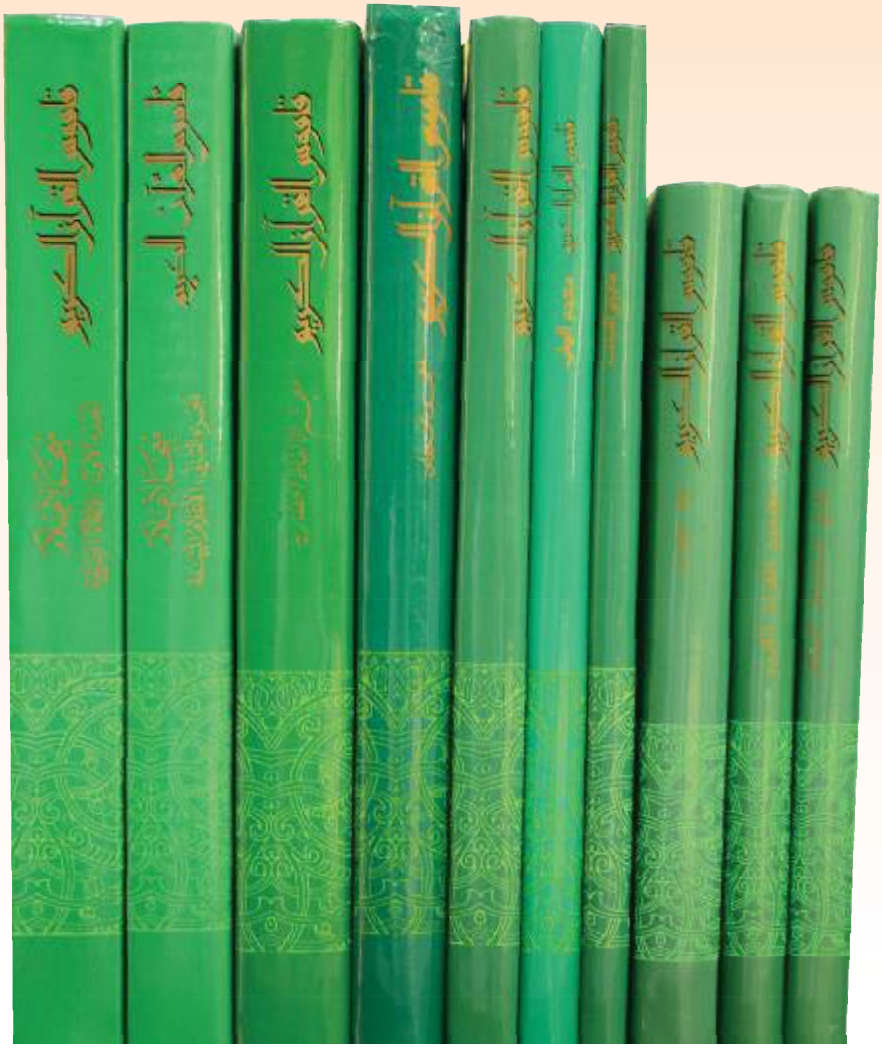

مداخل القاموس

ويوضح د.الغنيم مداخل القاموس بقوله: نظر فريق العمل، فوجد أن أولى ما يتجه النظر إليه، هو القرآن نفسه، موضوع هذا القاموس: ما هو؟ وما مصدره؟ وكيف نزل.. ؟ إلى آخر هذه التساؤلات، فتم تأليف خمسة مداخل جامعة تتناول هذه التساؤلات، وهي:

١- الوحي مصدر القرآن الكريم: نزوله، وجمعه، وأحكام تلاوته، للدكتور محمد نعيم ياسين.

٢- التعريف بالقرآن الكريم: تاريخه وبعض علومه، للدكتور أحمد حسن فرحات.

٣- مضمون القرآن الكريم في قضايا الإيمان والنبوة والأخلاق والكون، للدكتور محمد عبدالهادي أبوريدة.

٤- لغة القرآن للدكتور أحمد مختار عمر.

٥- طرق استنباط الأحكام من القرآن الكريم: القواعد الأصولية اللغوية، للدكتور عجيل جاسم النشمي.

دعوة قرآنية إلى تنمية الحس الجمالي

د.محمد سعيد - باحث أكاديمي

البحث والنظر في قيم الجمال من البحوث العميقة التي اهتم بها علم الأخلاق، باعتباره علمًا يقوّم الملكات الإنسانية المختلفة، ويسدد نظَرة الإنسان في اتجاه إيجابي وهو يحيى حياته الفردية والجماعية، ويتقلب في آلاء هذه البسيطة.

والإنسان مفطور على حب تذوق القيم الجمالية في كل فعل يفعله أو يُفعل له، وفي كل مُيسّر يُسّر له، لذلك تجده بالفطرة يُقبل إقبال الفرح الطرب على كل ما يتلقاه ويواجهه، إذا توفرت فيه شروط الصحة والحق، وغشيته ولفته قوالب الحسن والجمال، وقل مثل ذلك في باقي النعم التي منّ بها المنعم على خلقه، أطعمةً و دوابّ و جناتٍ الأزهار و تضاريسَ في غاية الحبك والإحكام، وآفاقَ السموات وزينتها.. وما لا عد له من قبيل آيات الجمال المقروءة والمنظورة.

وعلى هذا النسق يبحث الأستاذ الدكتور سعيد بن أحمد بوعصاب الطنجي هذا الموضوع ويحرر فيه كتابًا جديدًا- هو الثاني في حلقة تآليفه- وسمّاه بعنوان «القرآن الكريم والدعوة إلى الحس الجمالي» نشرته مطبعة ليتوغر اف بطنجة ط١ /٢٠١٢ في ٢٠٨ صفحات من الحجم المتوسط.

استُهل الكتابُ بمقدمتين، الأولى للدكتور محمد الشربجي الشامي، أستاذ الدراسات القرآنية في كليتي الشريعة والآداب بجامعة دمشق، فرج الله كربها، ختمها بقوله: «وكان أسلوبه سلسًا، ولغته سليمة، وألفاظه جميلة، وعبارته جزلة، وسجعه جميل دون تكلف أو تصنع، يأسرك عند قراءته، فلا تكاد تترك الكتاب إلا وقد أتيت على آخره»، وهو ما نستشف منه طبيعة الشكل والقالب الفني الذي حوى المضامين التي عالجها المؤلف في كتابه، إذ لا يستساغ أن تقارب موضوعًا دقيقًا يتتبع مواقع الجمال في الآفاق بلغة بعيدة عن نَفَس الذوق الرفيع والإحساس المرهف، لذلك تجدني أوافق د.الشربجي في هذا التعليق الجميل الذي أبداه تجاه التركيب اللغوي والمعجمي والأسلوبي للكتاب.

والمقدمة الثانية لصاحب الكتاب، والذي أبدى فيها شغفه بموضوع الجمال وما حبّره قلم المرحوم فريد الأنصاري في

كتابه «جمالية الدين»، إلا أن استهواءه لهذا التأليف وجده «قد وقف عند معان محدودة، وقضايا معدودة، وددت لو أن شيخنا الحبيب تناول قلمه غيرها، فضمها إلى أخواتها».. لذلك عقد الأستاذ سعيد بوعصاب العزم على خوض غمار بحث وصف موضوعه بـ «جد خطير»؛ لأنه وُظفت له منابرُ ووسائل جد معتبرة «لتلعب بالأفهام، وتزخرف الكلام فتضل الأنام، حيث حصرت الحديث فيه في جانب الأجسام، وغفلت ما للروح من سمو المقام، فكان لزامًا على كل من له بالفن إلمام، أن يعمد لإماطة اللثام..».

قيم كونية

ونظرا لما لحق الفكر والحضارة الإسلاميين من سوء فهم وغرابة تأويل، من قِبل بعض المعاصرين الذين أدركوا من الدين طقوسًا ورسومًا جافة وتقاليدَ؛ بدل شرائعَ وأركان وقيم كونية خالدة، فإن المقام- كما يرى صاحب الكتاب- حري بأهل العلم وجمالية القول أن يبرزوا «تلك الأخلاق الجمالية الرفيعة، التي كانت تمثل زمن حضارة الإسلام الوجه الحقيقي للمسلمين، إذ هي تبرز الذوق الرفيع، والسلوك النبيل، والرؤية الجميلة، والنظرة الراقية، والحركة البانية، كما أن الخطاب الدعوي بحاجة ماسة اليوم إلى إبراز مكامن الحسن والجمال في العرض والأسلوب، والمعنى والموضوع.. ».

يمكن تقريب متن الكتاب للسادة القراء عبر تقسيم بنيته إلى محورين، المحور الأول: نظري خصه للحقل الدلالي والمفهومي لكلمة «الجمال»، ولسمات ومعايير الجمال في النص القرآني. فالسمات لخصها المؤلف في:

١- الدقة والإحكام. ٢- التناسق والنظام. ٣- الإبداع والابتكار.

٤- التبديل والاستمرارية. ٥- التنوع والإكثار. ٦- السهولة واليسر.

أما خصائص الجمال التي ضبط القرآن موازينها وحدودها فاستوعبتها خصيصة «الربانية» التي تربط الانسان بربه، وتربط مظاهر الجمال وسحرها بفعل صانع الجمال وموجده، على نحو من الروعة واللذة والبهاء.. وخصيصة «السمو» والذي يرمز به إلى العفة اللفظية والفعلية في التعاطي مع مواقع الجمال في مختلف ضروب الحياة.. وأخيرا خصيصة «الشمول» الذي أثار فيه الخلط- الذي وقع فيه البعض فجعلوا «الفن» و«الجمال» واحدًا- «والواقع أن الفن هو ميدان واحد من ميادين الجمال المتنوعة والمتعددة، ذلك أن الجمال في الذوق القرآني يربي في المسلم المتأمّل تلمسَ قيم الجمال في منحاها الشمولي والتركيبي، بدل الفعل التجزيئي والتصنيفي الذي سقط فيه الكثير. فأية قيمة لجمال الصورة- يقول الأستاذ سعيد بوعصاب- التي تسحر الألباب إذا كان صاحبها فجّ السلوك، سيئ الأخلاق، ذابل الروح، قد جمع في داخله كل معاني الشر التي يستعاذ منها في كل الأحوال..».

ورصد المحور النظري الأخير «مقاصد التربية الجمالية في القرآن» التي تهدف إلى تنمية الجانب الإيماني، وتكوين الشخصية السوية المتكاملة، وتنمية ملكة الإبداع والإتقان، والتحلي بالذوق العالي. وانتقل المؤلف في حيز عريض من كتابه إلى الجانب التطبيقي، والذي وسمه بـ«مع القرآن الكريم في تنمية الحس الجمالي»، حيث أبان فيه قدرة وبراعة في استشفاف واستقصاء ملامح الجمال التي نوه إليها الوحي، ولفت انتباه قارئيه ومستمعيه (الوحي) عبر العصور والقرون إلى أهمية إعمال النظر في الآيات المنظورة، وإحكام الصنعة والخلق والجمال فيها. ولأن الباري تعالى وضع الكون وصنعه لمرام وغايات.. فمن الطبيعي والمنطقي أن تُستثمر آيات الكون في آيات القرآن لتثبيت عقائد الناس وتوحيد نظرتهم تجاه موجِد الوجود وتوحيده، ومن ثمة اتباع هديه وشرائعه، وهكذا توقف المؤلف مع الآيات القرآنية التي ترصد جمالية السماء، والأرض، والبحر، والإنسان، والصورة، والحيوان.

وفي الشعائر التعبدية تتبع المعالم الجمالية الشفافة والعميقة في كل من شعيرة الصلاة، والصدقة، والصيام، والحج. ثم انتقل إلى تقصي قيم الجمال في الأحوال الشخصية، وقسمه إلى قسمين:

١- «في جانب فقه الأسرة» التي استوحى درر جمالياتها من الصداق، والزواج، والمعاشرة الزوجية، والأبناء والحفدة، ومعالجة الشقاق، والطلاق، والميراث، والعِدّة.

٢- «في جانب الآداب الاجتماعية»، واكتفى فيها بقيمتين كبيرتين في الحياة الاجتماعية: جمالية الاستئذان وجمالية الضيافة.

وفي المعاملات يسبر غور الجمال والقيم العليا في: المعاملات المالية، والتجارة، والدّيْن، الحدود والكفّارات، والعلاقات الدولية، والسلام، والجهاد.

فن القول

وفي آخر قسم تناول المؤلف جمالية فن القول من خلال مهارات التواصل وعنونه بـ«القرآن الكريم ومعالم التربية الجمالية في الأخلاق»، وتتبع فيه جماليات التأدب في مخاطبة الله تعالى، وفي مخاطبة الرسول ﷺ، وفي مخاطبة الوالدين، وفي مخاطبة الناس عامة. وختم بجمالية الأفعال: الذوق في طريقة المشي، والإقبال على المتكلم بالوجه، والعفو عند المقدرة، والشفاعة الحسنة، وبذل المعروف.

ثم نبه قبل الختم إلى جمالية الخطاب الدعوي القائم على «الحكمة والموعظة الحسنة» و«المعرفة بمضمون الخطاب ومآل الخطاب وظروف الخطاب زماناً ومكاناً». وفي كل ذلك كان المؤلف يغذي تحريره بالاستشهاد والنقل عن الشاطبي والطبري ومحمد الطاهر بن عاشور وسيد قطب ومحمد المكي الناصري، ومسفر القحطاني وفريد الأنصاري ومحمد عمارة وفهمي هويدي، وغيرهم كثر، مما أثمر حصيلة مرجعية مهمة تفيد الباحث في الجماليات وفق المنظور الإسلامي.

لقد وفق المؤلف في اختيار الموضوع، الذي نستشف منه أن صاحبه لاحظ حدود التعامل مع النص القرآني الذي لا يفارق حدّ القراءة الظاهرية والتفسير البسيط والمعاملات المناقضة لجوهر نص الوحي وقيمه العليا، لذلك نقول- وبموضوعية- إن التأليف ذو راهنية ملحاحة، ولفت صريح- وبلغة جذابة- لأهمية اهتمام المسلمين بجمالية التدين في كل مناحي الحياة.

العلوم القرآنية ببليوجرافية شاملة

فاطمة الزهراء عبده
ماجستير المكتبات وتقنية المعلومات - جامعة القاهرة

في أثناء البحث عن أوعية معلومات علوم القرآن الكريم بغرض عمل ببليوجرافية تجمع بيانات هذه الأوعية وجدنا العديد من الببليوجرافيات والمراجع التي تساعد الباحث للوصول لكل ما صدر حول علوم القرآن، واتضح أنه لا توجد حاجه لعمل ببليوجرافية جديدة فجاءت الفكرة بعمل ببليوجرافية بالببليوجرافيات الخاصة بمجال علوم القرآن الكريم، تقوم بحصر وجمع وتصنيف تلك الأعمال الببليوجرافية حول هذا الموضوع الهام، وتنوعت أشكال أوعية المعلومات الببليوجرافية هذه فقد عثرنا على ببليوجرافيات في شكل رسائل جامعية ومقالات بحثية و كشافات وفهارس مكتبات وكتب تحليل ونقد وعروض علمية تحليلية، كذلك هناك قواعد بيانات بحثية مجانية على شبكة الإنترنت في مجال علوم القرآن الكريم، وقد قمنا بضم نموذج من هذه القواعد الإلكترونية للبيانات وعمل عرض موجز لها ولأهداف هذه القاعدة وطرق البحث بها ونوعية مصادر المعلومات التي تحتويها، وسوف يتم عرض ببليوجرافيات علوم القرآن الكريم في البداية، يليها عرض موقع قاعدة بيانات أوعية القرآن الكريم.

وجاء جمع بيانات الببليوجرافية من خلال زيارة للعديد من المكتبات «المكتبة المركزية لجامعة القاهرة- مكتبات مصر العامة- دار الكتب» كذلك البحث في فهارس مكتبة الملك فهد بن عبدالعزيز، ومكتبة الإسكندرية، كذلك ضمت الببليوجرافية جميع الببليوجرافيات الخاصة بالقرآن الكريم وعلومه بالعربية والإنجليزي.

أولًا: الببليوجرافيات وفهارس المكتبات:

Binark، Esmet. World Bibliographic of Translations of The Meanings of The Holy Quran: Printed Translations Prepared by / ١٥١٥-١٩٨٠، IsmetBinark، HalitEren ، Edited with introduction by EkmeleddinIhsanaglu، ١٩٨٦.

Tadros، Fawzi Mikhail. The Holy Koran in The Library

of Congress : a Bibliography، ١٩٩٣.
٣- أبوالغيث، فؤاد بن عبده. دليل كتب علوم القرآن المسندة المطبوعة حتى عام ١٤٢٧هـ. مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية: نصف سنوية محكمة. ع ٢ (ديسمبر ٢٠٠٦) ص ٢٩٩-٣٨٠.
٤- أوغلون سليمان ملا إبراهيم. نظرة عامة للدراسات المتعلقة بتفسير القرآن الكريم في عهد الجمهورية (١٩٢٣-١٩٩٥م) في تركيا. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية. ع٣٢ (١٩٩٧). الكويت - جامعة الكويت.
٥- البرغش، نورة. ببليوجرافية إحصائية موضوعية عن تفسير القرآن العظيم/ إعداد فاطمة العنديس، إشراف آمال عبدالمجيد (١٩٨٠).
٦- البنداق، محمد صالح. المستشرقون وترجمة القرآن الكريم: عرض موجز بالمستندات- بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٣.
٧- بهجت، مجاهد. من مكتبة إعجاز القرآن الكريم: فهرسة وصفية مكتب للكتب الحديثة في الإعجاز اللغوي والبياني، ٢٠١٠.
٨-الجيوسي، عبدالله. كشاف الدراسات القرآنية: المقالات (حتى نهاية عام ٢٠٠٢م/ ١٤٢٤هـ)، ٢٠٠٥، ٢ مج.
٩- الحجي، صالح سليمان. فهرس مخطوطات جامعة الرياض: القرآن الكريم وعلومه/ إعداد يحيى عبدالعزيز عمر، عزت ياسين صالح، ١٩٧٧.
١٠- حسن محمد خليفة. اتجاهات التراجم والتفاسير القرآنية: مع ببليوجرافية كاملة لترجمات وتفاسير معاني القرآن الكريم في اللغة الأردية. جامعة القاهرة، مركز الدراسات الشرقية، ١٩٩٠- سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية.
١١- الحسيني السيد أحمد. رسائل الشريف المرتضى/ علي بن الحسين الشريف المرتضى- بيروت: دار القرآن الكريم ١٩٨٥.
١٢- الحلو عامر. معجم الدراسات القرآنية عند الشيعة الإمامية- بيروت: دار الموسم للإعلام ١٩٩١.
١٣- الدليرو، المهدي. فهرس مخطوطات خزانة تطوان/ إعداد محمد بوخبزة- تطوان: مطبعة الشيوخ ٨١-١٩٨٤.
١٤- دليل الكتب المطبوعة في الدراسات القرآنية حتى عام ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م: جهود الأمة خلال خمسة عشر قرنًا- جدة : مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، معهد الإمام الشاطبي، ٢٠١١- سلسلة الكشافات والأدلة.
١٥- الرمادي، أماني زكريا. كشافات النصوص: دراسة نظرية مع التطبيق على كشافات نص القرآن الكريم والحديث الشريف- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٣ - السلسلة الثالثة ٥٤.
١٦- سيزكين، فؤاد تاريخ التراث العربي/ نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي، راجعه وعرفه مصطفى وسعيد عبدالرحيم، (الرياض): وزارة التعليم العالي، جامعة الإمام بن سعود الإسلامية، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة ١٩٨٢- ١٩٨٤- ٢ مج في ١٠ ج (مج ١ ج١ علوم القرآن والحديث).
١٧- شواخ، علي. معجم مصنفات القرآن الكريم، ١٩٨٣، ٤ مج.
١٨- شواخ، علي. معجم مصنفات القرآن لعلي شواخ / مراجعة حسني عبدالرحمن الشيمي. عالم الكتاب: مجلة متخصصة. ع١، مج٨ (مارس ١٩٨٧ م) ص. ٨٤-٨٧.
١٩- الشيمي، حسني عبدالرحمن. المرجعية في خدمة النص القرآني: دراسة مبدئية للأعمال المرجعية حول القرآن الكريم. حولية المكتبات والمعلومات. مج ١(١٤٠٦ هـ) ص. ١٦٩-١٨٦.
٢٠- الصابوني، محمد علي. صفوة التفاسير: تفسير للقرآن الكريم: جامع بين المأثور والمعقول، مستمد من أوثق كتب التفسير «الطبري، الكشاف، القرطبي، الألوسي، ابن كثير، البحر المحيط» وغيرها بأسلوب ميسر وتنظيم حديث، مع العناية بالوجوه البيانية واللغوية- بيروت: مكتبة الغزالي، (١٩٧)- سلسلة مع أعلام المفسرين ٦-٢٠.
٢١- الصفار ابتسام مرهون. معجم الدراسات القرآنية، ١٩٨٤.
٢٢- طلعت أشرف محمد فؤاد. بشرى السعيد بمصنفات علم التجويد- مكتبة الإمام البخاري، ١٤٢٧ هـ.
٢٣- الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر. أنواع التصنيف المتعلقة بالقرآن الكريم- دار بن الجوزي ٢٠٠١.
٢٤- عبدالهادي، محمد فتحي. التراث العربي الإسلامي: ببليوجرافية بالإنتاج الفكري العربي من ١٨٨٢-١٩٩٨- لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٩٩٩- سلسلة منشورات الفرقان ٤٩.
٢٥- عطية محي الدين. التفسير والمفسرون: قائمة ببليوجرافية منتقاه. عالم الكتاب: مجلة متخصصة. مج ٥. ع٣ (سبتمبر / أكتوبر ١٩٨٤) ص٥٣٤-٥٤٢.
٢٦- عطية، محيي الدين. إعجاز القرآن: قائمة ببليوجرافية منتقاه،

١٤٠١- ١٤٠٤. عالم الكتاب: مجلة متخصصة. مج٥، ع٤ (يناير ١٩٨٥) ص ٧٠٨ - ٧١١.
٢٧- الفريوائي عبدالرحمن عبدالجبار. جهود أهل الحديث في خدمة القرآن الكريم- الهند: الجامعة السلفية، ١٩٨٠.
٢٨- الفنيسان، سعود بن عبدالله. آثار الحنابلة في علوم القرآن: المطبوع، المخطوط، المفقود. -(د. م : د. ن.)، ١٩٨٩.
الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط: علوم القرآن: المصاحف المخطوطة/ إعداد المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت.- عمان، الأردن: المجمع، (١٩٨٦)- سلسلة منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، ٤ مج.
٣٠- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط: علوم القرآن: رسم المصاحف/ إعداد المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت- عمان، الأردن: المجمع، ١٩٨٧- سلسلة منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية.
٣١- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط: علوم القرآن: مخطوطات القراءات / إعداد المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت- عمان، الأردن: المجمع، ١٩٨٧- سلسلة منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، ٢ مج.
٣٢- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط: علوم القرآن: مخطوطات التجويد / إعداد المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت- عمان، الأردن: المجمع، (١٩٨٩)- سلسلة منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، ٣ مج.
٣٣-الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط: علوم القرآن: مخطوطات التفسير/ إعداد المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت.- عمان، الأردن : المجمع، (١٩٨٧)- سلسلة منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، ١٢ مج.
٣٤- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط: علوم القرآن: مخطوطات التجويد/ إعداد المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت- عمان، الأردن: المجمع ١٩٩٤- ط٢، مزيدة ومنقحة- سلسلة منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، ١٦٣.
٣٥- فهرس كتب التفسير في مكتبة المصغراف الفلمية في قسم المخطوطات في عمادة شؤون المكتبات في الجامعة الإسلامية/ إعداد عمادة شؤون المكتبات، ١٩٩٧.
٣٦- فهرس مخطوطات التفسير والتجويد والقراءات وعلوم القرآن في مكتبة الملك عبدالعزيز/ إعداد مجموعة من الباحثين، ترتيب وتصنيف عمار بن سعيد تمالت، إشراف ومراجعة عبدالرحمن بن سليمان المزيني، تقديم صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ، ٢٠٠٨.
٣٧- فهرست مصنفات تفسير القرآن الكريم/ إعداد مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٢٠٠٣- ٣ مج.
٣٨- القدواني عبدالرحيم. ببليوجرافيا ترجمات معاني القرآن الكريم إلى الإنكليزية من سنة ١٦٤٩ - ٢٠٠٢م: دراسة نقدية- المدينة المنورة: مركز الترجمات، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (عمل تحت الطبع).
٣٩- القرني، عبدالله بن مجدوع من الدراسات المعاصرة في علوم القرآن: عرض، وتلخيص، ونقد/ إشراف مناع خليل القطان، ١٩٧٤- الأصل. الشهادة العالية. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٣٩٢ هـ.
٤٠- الكنوي، محمد بن عثمان- فهرس مخطوطات مكتبة الحرم المكي: علوم القرآن، ١٩٧١- منسوخ على آلة كاتبة.
٤١- الهيلة، محمد الحبيب. فهرس مخطوطات مكة المكرمة: قسم القرآن وعلومه- لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٩٩٤.
٤٢- يوسف، محمد خير رمضان. علوم القرآن الكريم: ببليوجرافية مما صدر في المملكة العربية السعودية ١٤٠٠ - ١٤٠٩ هـ. عالم الكتب : مجلة متخصصة. مج ١٢، ع ١ (نوفمبر ١٩٨٩) ص ٥٤ - ٧٠.
٤٣- العقيقي، نجيب. المستشرقون: موسوعة في تراث العرب، مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام حتّى اليوم- ٣ مج - ط٤ - القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠.
٤٤- النملة، علي بن إبراهيم. الاستشراق في الأدبيّات العربية- الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٩٩٣.

ثانيًا: دوريات متخصصة

١- مجلة البحوث والدراسات القرآنية:

مجلة علمية محكمة متخصصة بالقرآن الكريم وعلومه- المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٩٨٤- ١٤٠٥هـ، تصدر مرتين سنويًا.
٢- مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية: مجلة علمية محكمة - ع١ (ابريل ١٩٩٥)، سنوية.

ثالثًا : الرسائل الجامعة

١- التاجوري، محمد عاطف عبدالكريم. جهود الشيخ محمد حامد الفقي (١٣١٠- ١٣٧٨هـ/ ١٩٨٢- ١٩٥٩ م) في تفسير القرآن الكريم: دراسة وتحليل/ إشراف محمد نبيل غنايم (أطروحة ماجستير)- جامعة القاهرة- كلية دار العلوم- قسم الشريعة الإسلامية، ٢٠١٠.
٢- رشواني، سامر عبدالرحمن. جهود العلماء في الدفاع عن القرى منذ بداية القرن الثالث حتى نهاية القرن الخامس للهجرة/ إشراف محمد إبراهيم شريف- القاهرة: المؤلف، ٢٠٠٧ - الأصل (أطروحة دكتوراه)- جامعة القاهرة- كلية دار العلوم- قسم الشريعة الإسلامية.
٣- الرمادي، أماني زكريا. الإنتاج الفكري حول القرآن الكريم باللغتين الإنجليزية والفرنسية في القرن العشرين: دراسة ببليوجرافية/ إشراف محمد فتحي عبدالهادي، محمد محمود السروجي. (أطروحة ماجستير)- جامعة الإسكندرية- كلية الآداب، ١٩٩٣.
٤-المرومي، عبدالله عبدالرحمن بن سليمان. موارد السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن من الدراسات القرآنية ومنهجه فيها: جمعًا ودراسة، ٢٠١٠- الأصل (أطروحة ماجستير)- جامعة الملك سعود، ١٤٢٢ هـ.
٥- الشمراني، سهيل سالم. الجهود النحوية والصرفية في تفاسير القرآن الكريم حتى نهاية القرن الثاني الهجري/ إشراف محمد عبدالعزيز عبدالدايم- القاهرة: المؤلف، ٢٠٠٧- الأصل (أطروحة ماجستير)- جامعة القاهرة- كلية دار العلوم- قسم النحو والصرف والعروض.
٦- عمر، محمد أنور صاحب بن محمد. موارد الحافظ بن حجر العسقلاني رحمه الله في علوم القرآن من خلال كتابه الفتح الباري/ إشراف حكمت بشير ياسين. (أطروحة ماجستير)- الجامعة الإسلامية، ١٣-١٤١٤ هـ.
٧- كامل، عرفة حلمي. المعاجم الحديثة للقرآن الكريم: دراسة في المادة والمنهج/ إشراف محمد حسن عبدالعزيز. (أطروحة ماجستير)- جامعة القاهرة- كلية دار العلوم- قسم علم اللغة والدراسات السامية والشرقية، ٢٠١٠.
٨- المتولي، صبري. منهج أهل السنة في تفسير القرآن الكريم: (دراسة موضوعية لجهود ابن القيم التفسيرية) القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٦- الأصل (أطروحة دكتوراه)- جامعة القاهرة- كلية الآداب.
٩- المطيري، عبدالله محمد. الآثار الكلامية في كتب التفسير حتى نهاية القرن الثامن الهجري : دراسة تحليلية نقدية/ إشراف عبداللطيف محمد العبد، عبدالحميد عبدالمنعم مدكور (أطروحة ماجستير)- جامعة القاهرة- كلية دار العلوم- قسم الفلسفة الإسلامية ٢٠١٠.
١٠- الندوي، سعد حسن بن محمد مرتضى الحسيني. المكتبة القرآنية في الهند في القرن الثاني عشرة الهجري: المطبوع منها والمخطوط/ إشراف أبي الحسن علي الحسيني الندوي. (أطروحة ماجستير)- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٧ هـ.

رابعًا: أوعية معلومات

نظرًا لكثرة الإنتاج الفكري في مختلف مجالات المعرفة، وتزايد أعداد الباحثين والدارسين، واتساع آفاق تخصصاتهم، فقد ظهرت الحاجة إلى إنشاء قاعدة معلومات لكل مجال من مجالات المعرفة تحتوي على بيانات الوصف المادي لجميع الوثائق التي صدرت في المجال. ولعدم وجود قاعدة بيانات متخصصة في مجال علوم القرآن ترصد الكم الهائل من أوعية علوم القرآن، جاء اهتمام معهد الإمام الشاطبي بذلك، فقام بإعداد قاعدة البيانات الببليوجرافية لأوعية المعلومات القرآنية على الحاسوب لتكون أكبر أدوات الضبط الببليوجرافي لأوعية علوم القرآن في العالم العربي والإسلامي، مواكبة للتطور الهائل الذي حدث في عالم تقنية المعلومات الإلكترونية، وحرصًا منه على تيسير المعرفة www.qsc.org.sa.

ويمكن استقصاء جميع الموضوعات الرئيسة والفرعية والدقيقة في علوم القرآن وترقيمها ترقيمًا يراعى فيه الإشارة إلى مختلف الجوانب التي يمكن تناول الموضوع ومعالجته من ناحيتها، استنادًا إلى قوائم مكانية وزمانية ولغوية وشكلية، يوجد هذا التصنيف على الرابط التالي http://www.quran-c.com/images/tasneef.pdf لمن يرغب في التعرف عليه.

قصة طبع المصاحف في مصر

صلاح حسن رشيد- باحث مصري

بظهور المطبعة في القرن الخامس عشر الميلادي، وانتقالها إلى العالم الإسلامي في القرن الثامن عشر حدثت نهضة في طباعة المصاحف الشريفة، ورواجها، وتيسيرها للتعليم والمدارسة والحفظ والتدبر.

وتباهت دور النشر والمطابع في إبراز المصحف المقدس في «أبهى صوره، وأروع منظر، وأبدع تنسيق.. وعلى أشكال شتى، وألوان متنوعة، وحُجُوم مختلفة» كما يقول فضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضي شيخ عموم مُقرئي القرآن والقراءات في مصر سابقًا، في كتابه «المصحف الشريف أبحاث في تاريخه وأحكامه»، والصادر أخيرًا عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة، في طبعته الثانية.

قواعد الرسم

لكن هذه المطابع الحديثة «لم تراع في طبعه أن يكون على قواعد الرسم العثماني، التي كُتب عليها في عهد عثمان- رضي الله عنه- وفي عهد بقية الصحابة والتابعين، والأئمة المجتهدين، بل طبعته مطابقًا لقواعد الإملاء المُحدثة، اللهم إلا في النزر اليسير من الكلمات، كتبته على مقتضى الرسم العثماني».

وطوال هذه العقود الزمنية كانت كتابة المصاحف بعيدة من الرسم العثماني، بالمعنى العلمي والتاريخي، إلى أن «قيض الله لها عَلَمًا من أعلام القرآن، وجهبذًا من جهابذته، وهو العلامة المحقق المغفور له الشيخ رضوان بن محمد الشهير بالمخللاتي، صاحب المؤلفات المفيدة، والمصنفات الممتعة، فكتب مصحفًا جليل الشأن، عظيم الخطر، عُني فيه بكتابة الكلمات القرآنية على الرسم العثماني، كما عُني فيه ببيان عدد آي كل سورة في أولها، عند علماء العدد المشهورين، على اختلاف مذاهبهم، واضعًا على الفاصلة المختلفة فيها اسم من يعدها، كذلك بيّن أماكن الوقوف، ووضع على كل موضع منها العلامة الدالة على نوع الوقف..».

الكتابة والجمع

وقد صدر هذا المصحف بمقدمة جليلة أبان فيها أن هذا المصحف حرر رسمه، وضبطه على ما في كتاب المقنع للإمام الداني، وكتاب التنزيل لأبي داود، ولخص في المقدمة تاريخ كتابة القرآن الكريم في العهد النبوي، وجمعه في عهدي أبي بكر وعثمان- رضي الله عنهما- كما لخص فيها مباحث الرسم والضبط، وبيّن فيها علماء العد المشهورين، وعرف فيها معنى السورة والآية، كل ذلك في عبارة وجيزة مفيدة، وتركيب سهل بديع، وقد طبع هذا المصحف في المطبعة البهية في القاهرة لصاحبها الشيخ محمد أبي زيد سنة ثمانية وثلاثمائة وألف هجرية، بحسب كلام الشيخ القاضي.

وأصبح هذا المصحف هو المتداول بين أهل العلم، وعلماء القراءات، والمعول عليه عندهم، المقدم على سائر «المصاحف؛ لما اشتمل عليه من المزايا الآنفة الذكر، وكان يُطلق عليه «مصحف المخللاتي» بيد أنه لم يبرز في صورة حسنة تروق الناظر، وتشط القارئ: لرداءة ورقه، وسوء طبعه، إذ إنه طُبع في مطبعة حجرية».

ويمضي العلامة عبد الفتاح القاضي في رصد تاريخ طبع ونشر المصحف الشريف قائلاً: «ولقد وجهت مشيخة الأزهر الشريف غايتها إلى المصحف، فأمرت بتكوين لجنة من أساطين العلم، ونوابغ الأدب، من المغفور له العلامة الشيخ محمد علي خلف الحسيني الشهير بالحداد، شيخ المقارئ المصرية الأسبق، والمرحومين الأساتذة: حفني ناصف، ومصطفى عناني، وأحمد الإسكندري؛ للنظر في المصحف الشريف، في رسمه وضبطه، وفي ما يجب أن يكون عليه، فاضطلعت اللجنة بهذه المهمة الشاقة، وقامت بما أسند إليها على أتم وأكمل وجه، فكتبت القرآن كله على حسب قواعد الرسم العثماني، وضبطته على ما يوافق رواية حفص بن سليمان الكوفي، أحد رواة قراءة عاصم بن أبي النجود، وبينت في ترجمة كل سورة عدد آيها، على مذهب حفص المذكور، وأنها مكية أو مدنية، وأنها نزلت بعد سورة كذا، ووضعت بعد كل آية رقمها الخاص بها، كما وضعت علامات للوقوف، والأجزاء، والأحزاب، والأرباع والسجدات، والسكتات.

نهج الرسم

وقد ذكرت هذه اللجنة الأزهرية الموقرة في ذيل هذا المصحف المطبوع، تحت عنوان «تعريف بهذا المصحف الشريف» النهج الذي سارت عليه في كتابة المصحف، في رسمه

وضبطه، وعدد آياته، وبيان أجزائه وأحزابه، وأرباعه، وبيان مكيه ومدنيه، وبيان وقوفه، وعلاماتها، وبيان سجداته ومواضعها، وعلاماتها، وبيان سكتاته ومواضعها، وعلاماتها.

وعلى رغم ما أنجزته هذه اللجنة من عمل خرج في صورة شيقة كريمة، حتى عُد من آثارها الخالدة- كما يقول الشيخ القاضي- فقد لاحظ على طبعة المصحف الأولى بضع هنّات في الرسم والضبط والوقوف، وترجمات السور، وبعدما نفدت نسخ هذه الطبعة الأولى، من المصحف الشريف، وقررت دار الكتب المصرية إعادة طبعه، قرر شيخ الجامع الأزهر الشريف تكوين لجنة برئاسة الشيخ عبد الفتاح القاضي، وتحت إشراف مشيخة الأزهر، ومكونة من أصحاب الفضيلة: الشيخ محمد علي النجار العالم المحقق رحمه الله، والشيخ المرحوم علي محمد الضباع شيخ المقارئ المصرية الأسبق، والشيخ عبد الحليم بسيوني المراقب في الأزهر سابقًا، فقاموا بمراجعة المصحف على أمهات كُتُب القراءات، والرسم والضبط، والتفسير، وعلوم القرآن الكريم، وأصلحوا ما فيه من بعض المآخذ، وصدر في طبعة ثانية محققة، وقبلتها الأمة بقبول حسن.

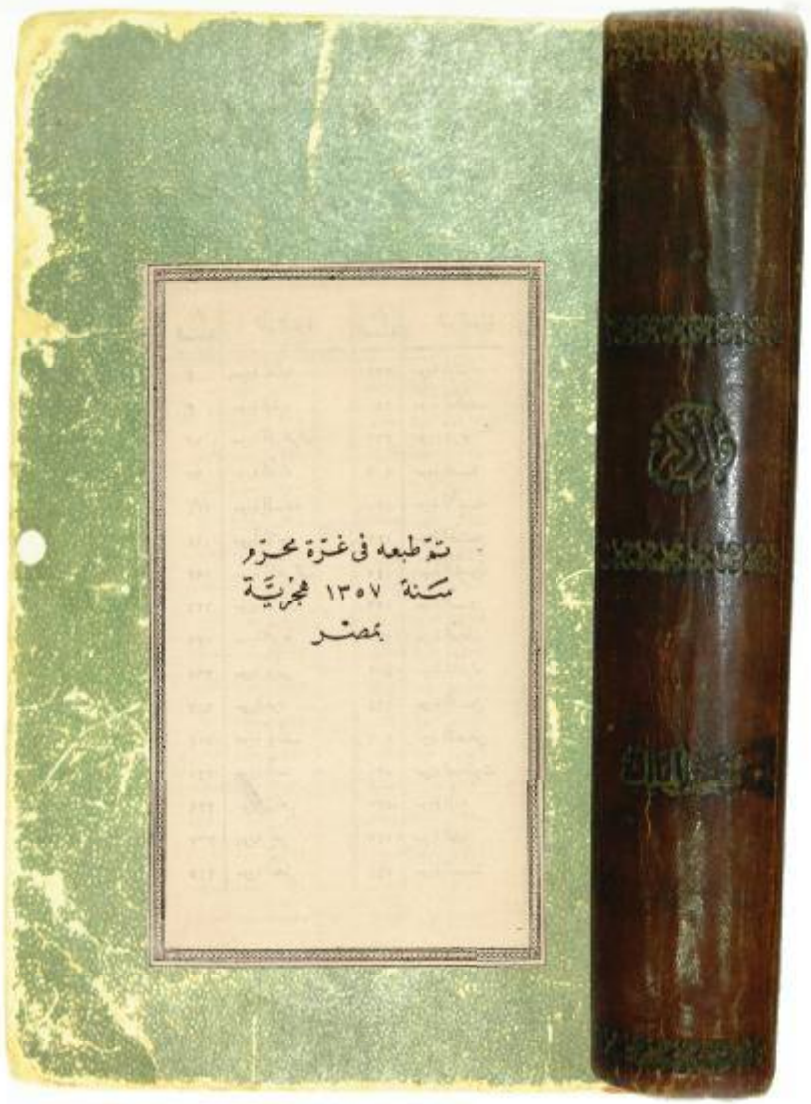

فقهًا ومعجمًا وجغرافية وزراعيًا

الماء في الدراسات التراثية (١- ٢)

د. محمود مهدي- دكتوراه في تاريخ الصيدلة العربية

وقع تحت يدي كتاب «التلوث مشكلة العصر»(١) للدكتور أحمد مدحت إسلام، وهو كتاب قيّم في مجاله، تناول فيه بإسهاب قضية تلوث الهواء والماء: أسبابا ومظاهر ونتائج. وقد استوقفتني إحدى فِقَرَات الكتاب التي جاء فيها: «ولم تكن فكرة تلوث الماء أو تلوث البيئة بشكل عام تشغل الأذهان فيما مضى، وكانت أغلب المدن في العصور الوسطى- في أوروبا خاصة- تلقي بمخلفاتها بما فيها الفضلات الآدمية في المجاري المجاورة لها...»(٢) ولما كنتُ قد حررتُ دراسة عن «إصلاح الهواء وفساده في التراث الطبي العربي»(٣) أوضحتُ خلالها جانبًا من جهود علمائنا في مجال مكافحة تلوث الهواء، وبيان الأمراض التي تصيب الإنسان والحيوان من جرائه، فقد وددت لو أشار د.أحمد إسلام إلى ما بذله علماؤنا من جهود في مجال الدراسات المائية، وسأحاول في هذه الدراسة الموجزة إلقاء الضوء على بعض هذه الجهود.

فوائد جمة

الماء أكسير الحياة، جعل الله منه كل شيء حي، يحتاجه الإنسان والحيوان والنبات وغيرها، فجسم الطفل المولود حديثًا يحتوي على ما يقرب من ٨٠٪ من وزنه ماءً، وتقلُّ هذه النسبة تدريجيًا خلال مراحل النمو حتى تصل إلى ٥٠٪ من وزن الجسم عند الشيخوخة. وأنسجة الجسم تحتوي على نِسَبٍ متفاوتة منه، فالبدن لا يستغني عنه مطلقًا في عملياته الحيوية كافة؛ لذا فالإنسان لا يستطيع الحياة بدون ماء إلا أيامًا معدودات، ومعلوم أن الماء يذيب الفيتامينات والأملاح والأحماض

الأَمنيّة والجلوكوز، ويساهم بشكل كبير في هضم وامتصاص ونقل واستخدام العناصر الغذائية، وهو الوسيط الآمن للتخلص من السموم والفضلات، كما يُسهم في إنتاج الطاقة البدنية، وعليه يعتمد التنظيم الحراري في الجسم، فيقوم بضبط نظام الجسم لتحمل الحرارة والبرودة، ويدخل في تركيب جميع الأطعمة، وغير ذلك من الفوائد.

الدراسات الفقهية

يعتبر الإسلام طهارة المسلم والمسلمة من الحدث الأصغر والجنابة والحيض والنفاس شرطًا في صحة العديد من العبادات كالصلاة والطواف ومسّ المصحف. والماء هو المصدر الأول لهذه الطهارة؛ لذا فقد حض على طهارة البدن ونظافته قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢)، وحثّ على المحافظة على طهارة الماء وعدم تلويثه. والدراسات الفقهية المائية اعتمدت على مصدرين أساسيين هما الكتاب والسُّنّة اللذان استطاع الفقهاء استنباط الكثير من الأحكام المائية منهما، كتقسيم الماء إلى طاهر (غير ملوث) وهو ما لم يتغير طعمه ولونه وريحه، وغير طاهر (ملوث)، وهو ما فقد صفةً من الصفات السابقة، وقَسّموا الماء إلى جارٍ وراكد، وعذب ومالح، وسطحيّ كماءِ البحار والأنهار، وما يجري على الأرض من ماء المطر، وجوفيّ كماء الآبار والعيون. وحذّر الإسلام منْ تنجيس الماء الراكد بالبول فيه، فقد روى أبوهريرة أن رسول الله قال: «لا يبولنّ أحدُكم في الماء الدائم، ثم يغتسل منه»(٤) وبيّنوا كيفيةَ إصلاح نجاسة (تلوث) ماء الآبار التي تنفق فيها الحيوانات، أو تقع فيها نجاسة تغيّر طبيعتها وذلك بتكثير الماء، أي بترك الماء يكثر، أو بصبّ ماءٍ طاهر فيه، أو نزحه حتى يتجدد ماؤه. كما اشتملت كتب الحسبة على العديد من التوجيهات المتعلقة بصلاح الماء وعدم إفساده، كنهي النساء أن يغسلن الثياب بالقرب من موضع السقاية؛ لعدم تلويث الماء بالأقذار، والنهي عن غسل الخضروات في البرك والصهاريج لأنه لا يؤمن نجاستها، والحض على تغطية صهاريج مياه الحمامات وعدم تركها مفتوحة حتى لا تتنجس(٥). لذا فيمكن القول: إن العناية بالأحوال المائية الفقهية تزامنت مع نزول آيات القرآن الكريم، وتوجيهات النبي ﷺ ثم تطورت وتفرعت عند الفقهاء، وتُعَدُّ هذه الأحكام من أقدم الدراسات المائية.

الماء في الدراسات المعجمية

شغل الماء بال العديد من علماء اللغة، فخصّه بعضهم بمؤلّف مستقل، وبعضهم ضمّن بعض مصنفاته فصولاً مائية، وممن كتب عن الماء في التراث المعجمي أبوزيد سعيد بن أوس الأنصاري (٢١٥هـ) الذي صنّف كتاب المطر، وفيه جمع ما ورد في كتب اللغة عن المطر، وما يلحق به من الأنواء والغيوم والرعد والبرق. وأبوعبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ) الذي ألّف كتاب «الغريب المصنّف» وفيه ذكر(٦) عدة أبواب ضمّنها الكثير من أسماء الماء بحسب أحواله من جريان وثبات، وعذوبة وملوحة، وصفاء وكُدرة، ورِقّة وسلاسة، وقلّة وكثرة، وبرودة وحرارة، وما كان منها سيلاً أو نابعًا أو من آبار. والآبار ونعوتها، ونعوت حَفْرِهَا، وانهيارها، وتنقية مائها... الخ. ووضع ابن الأعرابي (٢٣١هـ) كتاب «البئر»، وفيه جمع كثيرًا من الألفاظ التي توصف بها الآبار في حفرها، واستخراج المياه منها، وقلّة تلك المياه وكثرتها، وأنواعها، وأسماء كل نوع، وآلات استخراج المياه من الآبار(٧). والثعالبي (٣٥٠هـ) في كتابه «فقه اللغة وسرّ العربية» عقد عدة فصول في أسماء المطر عامة، وأسمائه بحسب الأزمنة وأوصافه، وتفصيل كمية الماء وكيفيتها، ومجامع الماء ومستنقعاتها، وتفصيل أسماء الآبار وأوصافها، والحياض، وترتيب السيل وتفصيله(٨). وأبوعبدالله محمد بن عبدالله الخطيب الإسكافي (٤٢١هـ) في كتابه «مبادئ اللغة» خصص بابًا للمياه وأوصافها وأماكنها، ذاكرًا الألفاظ اللُّغويةَ الدالة على مراحل حفر

الآبار، ودرجات عذوبتها وملوحتها، والآبار الدائمة المياه والمنقطعة، والبعيدة القعر والقريبة، والقنوات والأنهار(٩). وعلى الرغم من أن هذه الدراسات في جوهرها لغوية، إلا أنه يمكن أن يقال: إنها قد أتت بتعريفات بخواص الماء وفعالياته وأشكال وجوده في الطبيعة. ودراسة لهيدرولوجية(١٠) الآبار، وأثبت بعضها وجود نوعين من الجريان: الجريان الثابت المتوازن، الجريان غير الثابت. ومن جهة أخرى الجريان السطحي، والجريان تحت السطحي. وقدمت مفهومات أساسية في المياه الجوفية والآبار، ومفهومات تتعلق بتلوث الماء، وأفادت في اقتراح بعض المصطلحات الأصلية التي تخدم مفهومًا مائيًا حديثًا(١١).

في الدراسات الجغرافية

قدم العلماء الذين اهتموا بالبلدان والأقاليم والتقاسيم والرحلات عن الماء معلومات جدّ مفيدة؛ حيث تحدثوا عن البحار والمحيطات، والأنهار وفيضاناتها وعذوبة مائها، والسدود المقامة على فروعها، ومنابع بعضها ومصباتها، وما يصلح منها كمجار ملاحية وما لا يصلح، وكيفية الإفادةً من مياهها في الزراعة، وما حُفر منها بشريا كنهر كثير الذي احتفره كثير بن عبدالله السلمي بالبصرة(١٢)، وما شقته المياه كنهر النيل، وبعض طرق رفع المياه من المجاري المنخفضة كالرفع بالرحَى إلى مجاري الشرب بالمدن، وتخزين مياه الشرب في صهاريج، والبحيرات ومواردها المائية، بل تحدثوا عن بعض صور تلوث المياه وفتكها بالناس(١٣)، كما وصفوا الكثير من العيون والآبار.

مؤلفات الفلاحة

استطاع العرب قديما التعرف على الأماكن التي يوجد بها ماء خفيّ، وتمكنوا من تحديد درجة قربه أو بُعْده عن سطح الأرض، معتمدين في ذلكَ على خبرتهم وفراستهم، ومستدلين بشم التراب ورائحةَ بعض النباتات وحركة الحيوان. ومع ازدهار النهضة العلمية العربية تطورت هذه المعارف إلى علوم لها قواعدها وقوانينها. وكانت لعلماء الفلاحة والزراعة عناية خاصة بطرق إنباط المياه الجوفية وهندستها، ومن الكتب المؤلفة في هذا المجال كتاب «الفلاحة النبطية» لابن وحشية (ق٣هـ) وكتاب «إنباط المياه الخفية» لأبي بكر محمد بن حسين الكرجي (٤٢١هـ)، وكتاب «الفلاحة» لأبي عبدالله محمد بن إبراهيم ابن البصال (أوائل ق٦هـ)، و«المقنع في الفلاحة» لابن العوام الإشبيلي (أواخر ق٦هـ)، ثم توالت التأليفات، وقد تضمنت هذه الكتب كثيرًا من المعلومات القيّمة حول كيفية الاستدلال على وجود الماء، وسمات الجبال المحتوية على مياه جوفية، وتقسيم للمياه الجوفية، وصفات المياه الصالحَة للشرب... الخ. وفي كتاب الفلاحة تحدث ابن العوام عن أنواع المياه المستعملة في ريّ الأشجار والخضر، وما يوافق من أنواع المياه كل نوع من أنواع الخضر، وقسّم الماء إلى عذب ومر، ومالح وقابض، ومخالط للمعادن، وتحدث عن طرق الاستدلال على وجود الماء في باطن الأرض عند حفر الآبار، وهذه الطرق قسمان:

أولهما: ما كان عن دربة وخبرة وإدامة الطلب، والجامعُ من الناس لهذه الصفات يمكنه الاستدلال على وجود الماء باستعمال حواسه كالتالي:

- عند رؤية الندى بالعين ولمسه باليد، خاصة في أول ساعة من النهار وآخر ساعة منه.
- إذا كانت حجارة الجبل مغبرة بتراب

ناعم، فإن تندّت دلّ على وجود الماء، ومع كثرة الماء وقلته تكون كمية النّدى.

● بالتنصت على سطح الجبل، فإذا سُمِع للجبل دويٌّ دائمٌ على حال واحد لا يختلف كان صوتَ ماء.

● إذا كانت التربة سوداءَ أو شديدةَ الغبرة، لزجةً إذا أصابها أدنى ماء، دلّ ذلك على وجود الماء.

● إذا كان طعم التربة عديم المرارة والملوحة، فهي ريانة ذات ماء.

● إذا وجد نبات البابونج والحبق والخبازى ولسان الثور(١٤)، ففي الأرض ماء.

● إذا كانت رائحة التربة كرائحة الطين المستخرَج من الأنهار والسواقي، فالماء قريب من سطح الأرض.

ثانيهما: ما كان عن تجربة عملية، ومن التجارب أن تُحْفَر حفرة في الأرض بعمق ذراع، ثم يؤتى بإناء من نُحاس أو رَصَاص أو فَخّار على هيئة نصف دائرة، تتراوح سعته ما بين تسعة أرطال إلى أحد وعشرين رطل ماء، ويُلصَق في قعر الإناء قطعة من الصوف الأبيض المنفوش بالشمع أو الزفت، وتُمْسَح جوانب الإناء الداخلية بالزيت، ثم يُكَبُّ الإناء على وجهه في الحفرة، ويُغَطّى بالتراب ويُتْرَك يوما وليلة، ثم يُنْبَشُ التراب عنه آخر الليل قبل طلوع الشمس ويخرج، فإن وجدت الصوفة مبتلة رطبة، دلّ ذلك على وجود الماء، وعلى حسب رطوبة الصوفة تكون كثرة الماء وقلته(١٥). ومن المتأخرين في هذا المجال خير الدين بن تاج الدين بن إلياس زاده (١١٢٧هـ) الذي أفاد من الدراسات التي سبقته في مؤلفه «فلاح الفلّاح» وجاء الباب الأول من كتابه في الاستدلال على وجود الماء (١٦). ووضع أبوالعباس أحمد بن عبدالمنعم الدمنهوري (١١٨٢هـ) كتاب «عين الحياة في علم استنباط المياه» وفيه عرّف بالمواضع التي فيها ماء، والتي ماؤها قريب، والتي ماؤها بعيد، وما يُستدل به على ذلك من أمارات ذكرها، كما تكلم فيه عن حفر الآبار، وطرائقه، ووسائل معالجته.

في الدراسات البيئية

اهتم العرب عند إنشاء مدنهم بتوافر مجموعة من الشروط البيئية اللازمة لصلاح الإقامة والمعيشة في هذه المدن، وكان من أهم هذه الشروط أن تكون المدينة مجاورة لمصدر مائي عذب، أو قريبة منه، لأن الماء سيروي الإنسان والحيوان والنبات، ومن النبات يكون غذاء الإنسان والحيوان، ومن خشبه تبنى المساكن وتتوافر الطاقة المحتاج إليها في الطهي والتدفئة. ويرى ابن خلدون أن المدن تحتاج لحواجز طبيعية تعوق هجوم الأعداء عليها كالأنهار والهضاب الوعرة، والوقوع باستدارة بحر أو نهر بها حتى لا يصل إليها العدو إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة؛ فيصعب عليه النّيْل منها، ويتضاعف تحصينها (١٧)، وتحدث أبوزيد البلخي عن الشروط الواجب توافرها في البيئة الصالحة للإعاشة، فأشار إلى أن أفضل المساكن هي التي تجاور الأنهار العذبة التي تنبع من منابع طيبة التربة خالية من الشوائب الرديئة المفسدة لطعم الماء أو رائحته، وأن تكون مجارِي الماء مكشوفة للشمس ليرققها ضوء وشعاع الشمس، ويُحْدِث فيه نوعًا من الخفة واللطافة، وتكون سريعة الحركة في جريها، وأن تكون بعيدة عن مواضع المستنقعات، والتُرَب الفاسدة، والمياه الآجنة(١٨). ومياه المناقع والبطائح حتى لا ترتفع منها أبخرة رديئة ويتأذى بالمجاورة له»(١٩). ويربط محمد بن أحمد التميمي المقدسي (ق ٤هـ) تلوث الماء بتلوث الهواء فيقول: «إن الجو- الهواء- إذا فسد بنوع من أنواع الفساد الداخلة عليه فلا محالة أنه يفسد لأجل ذلك أيضا الماء المجاور لتلك الأهوية الفاسدة؛ لقبوله ما يُحْدِثه فيه الهواء من الحر أو البرد أو العفن أو الغلظ»(٢٠) هكذا أبدى علماء المسلمين اهتمامًا واسعًا بقضايا المياه من جوانب عدة: شرعية ولغوية وبيئية، وهذا يعني أنها كانت ذات مكانة متميزة في الحضارة الإسلامية.

الهوامش

١- العدد ١٥٢ من سلسلة عالم المعرفة، نشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أغسطس ١٩٩٠.
٢- التلوث مشكلة العصر: ٩٥.
٣- نُشرت الدراسة بمجلة «الوعي الإسلامي»، العدد (٥٦٠) ربيع الآخر ١٤٣٣هـ- فبراير، مارس ٢٠١٢ م.
٤- أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد.
٥- ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، رسالة محمد بن أحمد التجيبي، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، ١٩٥٥ : ٣٢، ٤٢، ٤٨.
٦- الغريب المصنف: ٤٣٩/٢.
٧- كتاب البئر: ٦.
٨- فقه اللغة: ١٤٧.
٩- مبادئ اللغة: ٧٣.
١٠- تتكون كلمة هيدرولوجيا من مقطعين الأول Hydro ويعني ماء. والثاني logy ويعني علم. وبذلك فإن كلمة هيدرولوجيا تعني «علم الماء» الذي يختص بدراسة مياه الأرض من حيث: حركتها، ووجودها، وتوزيعها، وخواصها الكيميائية والفيزيائية.
١١- الماء في التراث العربي الإسلامي: ٣٤.
١٢- معجم البلدان: ٣٢٣:٥.
١٣- رحلة ابن بطوطة: ٨٤/١.
١٤- البابونج: معرب بابونه الفارسية، وهو القريص عند العرب. وهو حشيشة ذات زهر كبير النفع في التحليل، ينبت في الأماكن الخشنة، وبالقرب من الطرق. وهو ثلاثة أصناف، الفرق بينها في لون الزهر. ينظر: الجامع: ١٠١/١، والحبق: نبات طيب الريح، مربع السوق، ورقه كورق الخلاف، فيه مشابهة من الريحانة التي تسمى النمام، ويكثر نباته على الماء. ينظر: الجامع: ٢/ ٢٥٤، والخبازى: قيل هي الملوخيا البرية، وقيل هي بقلة مستديرة الورق فيها لعابية، ولها زهر أبيض مشوب بحمرة، تؤكل مطبوخة، ويتداوى بها لما فيها من البرد واللزوجة. ينظر: الجامع: ٢/ ٣١١، ولسان الثور: هو نبت ربيعي غليظ الورق، خشن أحرش إلى السواد، يفرش على الأرض، ساقه مزغب، بين خضرة وصفرة كرجل الجراد، يرتفع من وسطه ساق نحو ذراع فيه زهر لازوردي، يخلف بزرًا مستديرًا لعابيًّا. ينظر: الجامع: ٤ / ٣٨٢.
١٥- كتاب الفلاحة: ابن العوام الإشبيلي، مدريد، ١٨٠٢: ١٣٧.
١٦- فلاح الفلّاح: مخطوط محفوظ بمكتبة جامعة الرياض، رقم ٨٩٤: ٣/ ظ - ٥/ و.
١٧- مقدمة ابن خلدون، دار العودة، بيروت، ١٩٨١: ٢٧٥.
١٨- متغيرة الطعم أو اللون أو الرائحة.
١٩- مصالح الأبدان: ٣٥٤.
٢٠- مادة البقاء: ١٨٥.

العدد (٥٦٨) ذو الحجة ١٤٣٢هـ/ أكتوبر - نوفمبر ٢٠١١م

مشكلات المقاصد
(ما ذكره العزّ بن عبدالسلام نموذجا)

د. لخضر بوغفور -أكاديمي جزائري

جرت العادة في كثير من العلوم والمعارف أن يقف قاصدها على جملة من المشكلات التي ربّما أحدثت له نوعا من اللّبس والاضطراب فيما تلقّاه من مسلّمات هذا العلم أو ذاك، فكان حريّا بطلّاب التحقيق أن يسعوا في تجليتها وفكّ قفلها.

وعلم المقاصد خير شاهد على ما أقول، فما إن يشرع طالبه في جمع مفرداته حتّى تعرض له جملة من القضايا والمسائل تشوّش عليه انسجام أصول هذا العلم مع فروعه، سواء تعلّق الأمر بمقاصد الشارع من خطاباته الشرعيّة أو من مدلولاتها(١).

وإذا كان قد مضى معنا طرق بعض وسائل ضبط هذا العلم من خلال الوقوف مع بعض تأصيلات ابن دقيق العيد في علاقة النصّ الشرعي بالمقصود منه، فإنّنا في هذه الورقات نؤمّ الغاية نفسها- إن شاء الله- من خلال حلّ بعض مشكلات هذا العلم التي عالجها أحد أعلامه الكبار، ألا وهو عزّالدّين بن عبدالسلام.

وهو بلا ريب أهل لتلمّس ما عنده في هذا المقام، فقد قال عنه تلميذه القرافي: «كان شديد التحرير لمواضع كثيرة في الشريعة معقولها ومنقولها، وكان يُفتح عليه بأشياء لا توجد لغيره...»(٢). وقال عنه ابن حجر بأنّه: «كان عاليَ الهمّة، بعيد الغور في فهم العلوم...»(٣).

والإمام العزّ كان موضوع رسالتي في مرحلة الماجستير من خلال بحث جهوده في علم مقاصد الشريعة، إلاّ أنّني لم أعن وقتها ببحث هذا الجانب عنده على الوجه الذي خرج به هذا البحيث.

وقد قدّمت له بتوطئة ثمّ سردت في فرعين اثنين ما وقفت عليه لصيقًا بالموضوع من خلال ما ذكره العزّ ثمّ انتهيت إلى توصية البحث.

توطئة

إذا تأمّلنا في ماهية المشكلات التي سردها الإمام العزّ أمكننا تصنيفها باعتبار مصدرها إلى نوعين بارزين:

النّوع الأوّل: إشكالات صدرت عن بعض الزائغين والتزموها حتّى قدّموها على المحكمات القطعيّة التي أجمعت عليها الأمّة من جهة ما توهمّوه من معارضتها للمقاصد المرعيّة،ولربّما لبّست زندقتهم هذه على طائفة من الأمّة وأحدثت في أنفسهم شيئًا من الاضطراب في تصوّر بعض مفردات الشريعة، وخصوصا في عصرنا الحاضر بسبب فشوّ ظاهرة تقديم أوهام العقل على أنوار النّقل.

وهنا لا يعدو عمل النّاظر أن يوجّه هذه الإشكالات ويردّها إلى مناطاتها الحقيقية بعد أن سكنت نفسه إلى زيفها وتهافتها.

النّوع الثاني: إشكالات صدرت عن الإمام نفسه حول جملة من القضايا الشرعيّة، ويمكننا تقسيم هذه القضايا إلى ما يلي:

١- قضايا محكمة، ولكن ربّما خفيت مناطاتها على النّاظر وعسُر عليه توجيهها مقاصديًا.

٢- قضايا ظنّية، ربّما عمد المخالف فيها إلى ملاحظة مقاصد الشارع في إصدار أحكام مخالفة لما بدا للنّاظر.

وهنا يدقّ عمل النّاقد البصير بمواقع التشابه والتداخل، ويشتدّ جهده في دفع الإشكال المقاصدي.

وقد يصيب الجواب السديد، وقد يُخطئه، وقد يُسلِّم بمؤدّى الإشكال، وقد يتوقّف عن تبنّي أيّ حكم في المسألة المنظور فيها بسبب عدم اهتدائه إلى حلّ ما عرض له وعدم تكلّفه لهذا الرأي أو ذاك، قال العزّ: «الموفّق من رأى المشكل مشكلًا، والواضح واضحًا. ومن تكلّف خلاف ذلك لم يخل من جهل أو كذب»(٤). وقال أيضا: «من تكلّف أن يجعل المشكل واضحًا، فقد كلّف نفسه شططًا»(٥).

وعلى ضوء موقف الإمام العزّ من هذه المشكلات جاءت تعليقاتي المختصرة على جلّ أجوبته مسترشدًا فيها بما وقفت عليه من كلام أهل العلم راميًا من خلالها تقريب جهده في هذا المقام مع زيادة البيان واستدراك بعض ما فاته التّنبيه إليه ومناقشته فيما ينازع فيه محاولًا في كلّ ذلك الوصول إلى الجواب الأقرب إلى الصواب، والله تعالى أعلم بالصواب.

الفرع الأوّل: مشكلات النّوع الأوّل

المشكل الأوّل:

نصّ المشكل:

قال الإمام: «بلغني عن بعض الزنادقة الذين أعمى الله قلوبهم أنّه قال: في الشريعة عدل وجَور. ومثّل الجَور بإيجاب الدّية على العاقلة»(٦).

وبعظم كذب هؤلاء وكفرهم من جهة أنّهم نسبوا الجور إلى الشريعة على حدّ نسبتهم العدل إليها، وإنّما هذه المسألة جعلوها مجرّد مثال.

جواب المشكل:

قال الإمام: «كيف يكون هذا جورًا؟! والأموال كلّها لله، والعباد كلّهم ملكه وطوع يديه. وقد دفع هذا المالك الأعظم والسيّد الأعلم بمصالح عباده أموالاً إلى عباده، وشرط عليهم في أمواله أن يصرفوا بعضها في مصالحهم، وأن يصرفوا بعضها إلى فقرائهم، وبعضَها إلى أهل ضروراتهم، وأن يصرفوا بعضها إلى من أخطأ من جناتهم، جبرًا للمجني عليه، وإحسانًا إلى الجاني بإرفاقه لأجل خطئه، وصلة لرحمه، ودفعًا لما يُتوقّع من مفسدة قتل الجاني.

فمن زعم أنّ السيّد إذا تصرّف في أمواله بما يصلح عبيده بالجهات المذكورة كان جائرًا، فإنّه أعمى البصر والبصيرة، فاسد السريرة، متظاهر بالإسلام، وليس بمسلم ﴿...وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ (محمد: ٣٠) هل للعبد أن يجوّر سيّده إذا أعطاه ماله بهذه الشروط؟!

ومن ضعف الإسلام ترك هذا الزّنديق يتصرّف بين الأنام! فالمال مال الله، والعبيد عباد الله ﴿...أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ (الأعراف: ٥٤). ولو أعطى هذا الأحمق عبده شيئًا، وشرط عليه مثل ما شرطه الله على عباده لما عدّ نفسه جائرة مسيئة، بل عدّها عادلة محسنة. ولو قُتل هذا الخبيث من حين سُمع منه هذا الكلام لكان ذلك إجلالا للدّين وإعزازا للإسلام»(٧).

المشكل الثاني:

نصّ المشكل:

قال الإمام: «إن قيل: كيف تُقطع يدٌ ديتها خمسون من الإبل أو خمسمائة دينار بربع دينار أو بعشرة دراهم كما قال أبوحنيفة رحمه الله؟»(٨).

وهو يشير في هذا الاستشكال- المبطّن بالزندقة والتشكيك في حكمة الشارع البالغة- إلى ما نُسِبَ إلى أبي العلاء المعرّي كما نصّ عليه في كتاب آخر له، حيث قال: «كان المعرّي مستخفًّا بالشريعة، فأنشد:

يد بخمس مئين عَسْجَدٍ(٩) وُديت
ما بالها قُطعت في ربع دينار؟»(١٠).

جواب المشكل:

قال الإمام: «قلنا: ليس الزجر عمّا أخذه، وإنّما الزجر عن تكرير ما لا يتناهى من السرقة المفوّتة للأموال الكثيرة التي لا ضابط لها، ولو شرط الشرع في نصاب السرقة مالاً خطيرًا لضاعت أموال الفقراء الناقصة عن النصاب الخطير، وفي ذلك مفسدةٌ عامّة للفقراء»(١١).

وجوابه هذا محلّ نظر، ويعترض عليه من جهة أنّه ربّما فُهم منه عدم اعتبار الشارع بضياع أموال كثير من الفقراء التي لا تبلغ نصاب السرقة، ولهذا تعقّبه البلقيني بقوله: «يقال عليه: فما شرطه الشارع في نصاب السرقة ربع دينار مفوّت لما دونه من أموال الفقراء، كثمن دينار ونحوه...!»(١٢).

والإمام نفسه نقل في موضع آخر- عقب إيراده لبيت المعرّي- جوابًا يبدو في ميزان التحقيق أرجح وأسلم وأيسر، وهو قول القاضي عبدالوهاب المالكي:

صيانة العضو أغلاها وأرخصها
صيانة المال فافهم حكمة الباري!(١٣)

الفرع الثاني: مشكلات النّوع الثاني

المشكل الأوّل:

نصّ المشكل:

قال الإمام: «نصّ الشرع على أنّ شهادة الزّور وأكل مال اليتيم من الكبائر: فإن وقعا في مال خطير، فهذا ظاهر. وإن وقعا في مال حقير كزبيبة أو تمرة فهذا مشكل!»(١٤).

استشكل الإمام بهذه المسألة على ما أصّله نفسه من التلازم بين الحكم على المعصية بكونها كبيرة وبين ما يترتّب عنها من مفاسد، وأنّ الكبائر تتناقص بحسب تناقص هذه المفاسد(١٥).

جواب المشكل:

قال الإمام: «فيجوز أن يجعل من الكبائر فطامًا عن هذه المفاسد، كما جعل شرب قطرة من الخمر من جملة الكبائر، وإن لم تتحقّق المفسدة فيه. ويجوز أن يضبط ذلك المال بنصاب السّرقة»(١٦).

والظاهر رجحان احتماله الأوّل من جهة موافقته لظواهر النّصوص الواردة في اعتبار هاتين الكبيرتين، ومن جهة ما نظّر به من سدّ الشارع الحكيم الطريق المفضي إلى الوقوع في المفاسد الظاهرة، قال تلميذه ابن دقيق العيد: «المفسدة لا تؤخذ مجرّدة عمّا يقترن بها من أمر آخر، فإنّه قد يقع الغلط في ذلك. ألا ترى أنّ السابق إلى الذهن أنّ مفسدة الخمر السّكر وتشويش العقل، فإن أخذنا هذا بمجرّده لزم منه أن لا يكون شرب القطرة الواحدة كبيرة؛ لخلائها عن المفسدة المذكورة، لكنّها كبيرة فإنّها- وإن خلت عن المفسدة المذكورة- إلاّ أنّه يقترن بها مفسدة الإقدام والتجرؤ على شرب الكثير الموقع في المفسدة، فبهذا الاقتران تصير كبيرة»(١٧).

المشكل الثاني:

نصّ المشكل:

ذكر الإمام الحديث القدسي الذي قال فيه ربّ العزّة جل جلاله: «ولن يتقرّب إليّ عبدي بمثل ما افترضت عليه»(١٨).

ثمّ قال: «لاشكّ أنّ هذا الحديث معمول به إذا ساوى الفرض النّفل، كما في درهم الصدقة ودرهم الزكاة، وفي حجّ الفرض وحجّ النّفل. وفي صوم الفرض وصوم النّفل، فإنّهما متساويان من كلّ وجه.

أمّا إذا تفاوتا بالقلّة والكثرة، مثل إن زكّى بخمسة دراهم وتصدّق بعشرة آلاف درهم، أو زكّى بشاة وتصدّق بعشر شياه...»(١٩).

جواب المشكل:

قال الإمام مجيبًا عمّا أورده في قواعده: «فيحتمل في مثل هذا أن يكون الفرض أفضل من النّفل من غير نظر إلى تفاوت المصلحتين. ويحتمل أن يخصّ الحديث بالعملين المتساويين في المصلحة

كدرهم الزكاة مع درهم الصدقة، وشاة الزكاة مع شاة العقيقة، ولكنّ فيه مخالفة لظاهر الحديث.

وليس ببعيد من تفضّل الربّ سبحانه أن يأجر على أقلّ العملين المتجانسين أكثر ممّا يأجر على أكثرهما، كما فضّل أجر هذه الأمّة مع قلّة عملها على عمل اليهود والنّصارى مع كثرة عملهم(٢٠)...»(٢١).

ويتجلّى من خلال هذا الجواب أنّ الإمام رغم كونه ساقه على وجه الاحتمال إلاّ أنّه مال بصورة ظاهرة إلى طرد أصل تفضيل الواجب على النّفل.

وأمّا في كتابه الأمالي فلعلّه مال إلى التزام مؤدّى هذا المشكل، حيث نقل منه الزّركشي قوله: «قال البيهقي لا يعدل شيء من السنن واجبًا أبدًا، وهو مشكل؛ لأنّ الثواب والعقاب مرتّبان على حسب المصالح والمفاسد، ولا يمكننا أن نقول ثمن درهم من الزّكاة تربو مصلحته على مصلحة ألف درهم تطوّعا، وأنّ قيام الدّهر لا يعدل ركعتي الفجر. هذا خلاف القواعد»(٢٢).

وقد عقّب الزّركشي عليه بجملة أمور بعضها يرجّح هذا المسلك وبعضها يرجّح ذاك، وفيما يلي بيانها وتقريبها:

١- أراد من خلاله- فيما يبدو- الاعتراض على كلام العزّ بناء على تنظير مسألتنا بمسألة فرض العين وفرض الكفاية، حيث اشتهر مذهب جمهور العلماء في تفضيل الأوّل رغم أنّ مفسدة ترك الثاني أعظم، قال الزّركشي: «...ليست مفسدة ترك النّهوض بمهمّات شعائر الدّين أقلّ من مفسدة التارك لفرض عين، بل أكثر لما فيه من خرم نظام مصالح العباد».

٢- «أنّ ما مثل به قد يُلتزم، إذ ترك التطوّع صدقة كان أو صلاة لا إثم فيه وإن كثر بخلاف الفرض وإن قلّ، فناسب تأكّده والاعتناء به بزيادة الثواب، فلا يمنع إطلاق التفضيل».

٣- «في كلام أصحابنا في الفروع صور تقتضي ترجيح النّفل على الفرض. منها: أنّ إبراء المعسر أفضل من إنظاره، لحصول الغرض وزيادة، ومنها: أنّ ابتداء السلام أفضل...»(٢٣).

«إبراء المعسر أفضل من إنظاره» مثال لترجيح النفل على الفرض

وهكذا تلاحظ أنّ الأمرين الأوّل والأخير يرجّحان تقديم النّفل هنا، والأمر المتوسّط يرجِّح البقاء على ظاهر الحديث.

وكان قد أشكل عليّ- في رسالة الماجستير- الترجيح في مسألة الموازنة بين فرض العين وفرض الكفاية، واستحسنت وقتها رأي الطوفي بأنه «يمكن الجمع بين القولين، بأنّ كلا منهما أفضل من وجه»(٢٤). ولعلّ مسألتنا من هذا الباب أيضا، فيكون الفرض أفضل باعتبار تأكّده وحرمة مخالفته، ويكون النّفل أفضل باعتبار كثرة مصالحه، ومن ثَمّ يزول الإشكال، والله تعالى أعلم بالصواب.

أو رجح الإصلاح كالأسارى تُفدى بما ينفع النّصارى(٤٨)

فلأن يجوز استنقاذ جميع أهل بلد ما ببذل مال رجل واحد منهم من باب أولى طردًا لأصلي تقديم مصلحة النّفس على مصلحة المال، وتقديم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد.

المشكل الثالث:

نصّ المشكل:

قال الإمام- في صدد تقريره لعدم قصد الشارع لمشقّة العباد-: «فإن قيل: قد روى البخاريّ ومسلم في صحيحيهما مسندًا عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله، يصدر النّاس بنسكين، وأصدر بنسك واحد؟ قال: «انتظري فإذا طهرت فاخرجي إلى التنعيم، فأهلّي منه ثمّ القَينا عند كذا وكذا- قال: أظنّه قال: غدًا- ولكنّها على قدر نصبك، أو قال: قدر نفقتك(٢٥)»(٢٦).

جواب المشكل:

وإنّما يرد الإشكال على رواية «على قدر نصبك» من جهة ما علم من عرف الشارع من قصده إلى مصالح العباد لا إيقاعهم في الحرج بالمشاقّ التي تتعلّق أحيانًا بالأحكام الشرعيّة كما نبّه الإمام بقوله: «قلت: هذا مشكوك فيه، هل قال: «على قدر نصبك»، أو قال: «على قدر نفقتك»؟»(٢٧) فإن كان الواقع قوله: «على قدر نفقتك»، فلاشكّ أنّ ما يُنفق في طاعة الله يفرّق بين قليله وكثيره، وإن كان الواقع قوله: «على قدر نصبك» فيجب أن يكون التقدير: على قدر تحمّل نصبك.

وقد علمنا من موارد الشرع ومصادره أنّ مطلوب الشرع إنّما هو مصالح العباد في دينهم ودنياهم، وليست المشقّة مصلحة، بل الأمر بما يستلزم المشقّة بمنزلة أمر الطبيب المريض باستعمال الدواء المرّ البشع، فإنّه ليس غرضه إلاّ الشفاء.

ولو قال قائل: كان غرض الطبيب أن يوجده مشقّة ألم مرارة الدواء؛ لما حسن ذلك فيمن يقصد الإصلاح، وكذلك الوالد يقطع من ولده اليد المتآكلة حفظا لمهجته، ليس غرضه إيجاده ألم القطع، وإنّما غرضه حفظ مهجته، مع أنّه يفعل ذلك متوجّعا متألّما لقطع يده...»(٢٨).

ولكن حمله للحديث على مضاف محذوف تقديره التحمّل محلّ نظر، وأعتقد أنّه غير كاف في توجيهه التوجيه الصحيح، فتحمّل المرء للمشقّة قد يرافقه قصده لها وربّما لا.

وإنّما المناسب لما ذكره الإمام هو الاحتمال الأوّل الذي تنسجم على ضوئه تصرّفات الشريعة، قال سعد الشتري: «ليس المراد بالحديث النّصَب المقصود للمكلّف، وإنما المراد النّصب الواقع في العبادة الذي لم يقصده المكلف»(٢٩).

المشكل الرابع:

نصّ المشكل:

قال الإمام: «قد استُثْني من سقوط الوسائل بسقوط المقاصد أنّ النّاسك

الذي لا شعر على رأسه مأمور بإمرار الموسى على رأسه، مع أنّ إمرار الموسى على رأسه وسيلة إلى إزالة الشعر فيما ظهر لنا»(٣٠).

جواب المشكل:

قال الإمام: «فإن ثبت أنّ الإمرار مقصود في نفسه، لا لكونه وسيلة، كان هذا من قاعدة من أُمر بأمرين، فقدر على أحدهما وعجز عن الآخر»(٣١).

ولكن الواقع عدم ثبوت ما ورد في هذا الشأن سواء ما ذُكر من آثار أو ما ادّعي من إجماع على إمرار النّاسك الأصلع الموسى على رأسه(٣٢)، ومن ثمّ فالأصل التزام مؤدّى هذا المشكل وطرد قاعدة سقوط الوسائل بسقوط مقاصدها في هذا الفرع وما يشابهه.

قال ابن القيّم في صدد حديثه عن مسألة ختان الأقلف التي نظّر بها لمسألتنا: «الصواب أنّ هذا مكروه لا يُتقرّب إلى الله به، ولا يُتعبّد بمثله وتُنزّه عنه الشريعة؛ لأنّه عبث لا فائدة فيه، وإمرار الموسى غير مقصود، بل هو وسيلة إلى فعل المقصود، فإذا سقط المقصود لم يبق للوسيلة معنى»(٣٣).

المشكل الخامس:

نصّ المشكل:

«الرّمل مشروع إلى يوم الدين. ومثل هذا لا يقاس عليه؛ لأنّ القياس فرع لفهم المعنى»(٣٤).

جواب المشكل:

قال الإمام: «يجوز أن يقال: إنه ﷺ رمل في حجّة الوداع مع زوال السبب تذكيرا لنعمة الأمن بعد الخوف لنشكر عليها، فقد أمرنا الله بذكر نعمه في غير موضع من كتابه، وما أمرنا بذكرها إلا لنشكرها»(٣٥).

وتلاحظ أنّ الإمام ذكر هذا التوجيه على سبيل الاحتمال، وأمّا تلميذه ابن دقيق العيد فجزم بمعقولية هذا الحكم، وأناطه بمعنى آخر فقال: «في ذلك من الحكمة تذكّر الوقائع الماضية للسلف الكرام، وفي طيّ تذكّرها مصالح دينية. إذ يتبيّن في أثنائها كثير منها مما كانوا عليه من امتثال أمر الله تعالى، والمبادرة إليه، وبذل الأنفس في ذلك. وبهذه النّكتة يظهر لك أنّ كثيرا من الأعمال التي وقعت في الحجّ، ويقال فيها: (إنّها تعبد)، ليست كما قيل...» (٣٦).

وإذا دلّت نصوص الشريعة على ثبات الحكم مع زوال المقصود الظاهر منه كما في مسألتنا، فلا يضرّ بعد ذلك جهلنا بالمعنى الحقيقي الذي يناط به في مستقبل الزمن.

ويندب الفقيه إلى الأناة في توجيه هذا النّوع من الأحكام في حال عدم وجود أمارات ظاهرة على التحديد، ومن ثمّ فيبدو لي أنّ موقف الإمام العزّ في احتمال ما ذكره أسلم من جزم تلميذه، والعلم عند الله تعالى.

المشكل السادس:

نصّ المشكل:

قال الإمام: «إن قيل: كيف أبحتم كفر اللسان بالإكراه حفظا للدماء، مع كونه من أعظم المفاسد، ولم تبيحوا القتل والزنا واللواط بالإكراه، مع كون مفاسدها دونه؟!

قلت: في هذا نظر، وهو مشكل»(٣٧).

جواب المشكل:

قال الإمام: «فيمكن أن يفرّق بغلبة الإكراه على الكفر وندرته في القتل والزنا واللواط. ويمكن أن يفرّق بأنّ التصوّن عن كلمة الكفر حقّ لله وحده، والتصوّن عن الزنا والقتل واللواط حقّ لله ولعباده، فشدّد الأمر فيه.

ويمكن أن يقال: إنّ مفسدة القتل واللواط تتحقّق، ومفسدة كفر الأقوال والأعمال لا تتحقّق، لأنّ مفسدتهما هي الاستهزاء والاحتقار، والمكره غير مستهزئ ولا محتقر، إذ لا يتحقّق ذلك مع الإكراه»(٣٨). كما أشار إلى هذه المسألة في المسائل والأجوبة، ونبّه إلى تعليل آخر لعدم جواز الزنا بالإكراه مجيبًا على ما قد يُستشكل بأنّ مفسدة قتل النّفس أعظم من مفسدة الزنا، فقال: «المسألة من باب تقديم الواجب على المندوب؛ لأنّ ترك الزنا واجب ودفع الصائل مندوب على هذا، وإن قلنا إنّه يجب فقد تعارض واجبان أحدهما مقطوع بوجوبه وهو ترك الزنا.. والآخر غير مقطوع بوجوبه وهو دفع الصائل لاختلاف الناس فيه، ودرء المفسدة المقطوع بوجوب دفعها أولى من المظنونة»(٣٩).

لا يطّرد هذا الإشكال إلاّ بعد التسليم بهذه الأحكام، أمّا إباحة كفر اللسان بالإكراه فظاهر بآية النّحل، وأيضا انعقد الإجماع على عدم إباحة قتل معصوم بالإكراه(٤٠).

وكذلك عدم إباحة اللّواط بالإكراه ظاهر، ولم أقف على من تسامح فيه. قال ابن القيّم: «إن قيل لو وقع مثل ذلك لرجل، وقيل له إن لم تمكّن من نفسك وإلا قتلناك، أو منع الطعام والشراب حتى يمكّن من نفسه وخاف الهلاك فهل يجوز له التمكين؟ قيل لا يجوز له ذلك ويصبر للموت، والفرق بينه وبين المرأة أنّ العار الذي يلحق المفعول به لا يمكن تلافيه وهو شرّ مما يحصل له بالقتل أو منع الطعام والشراب حتى يموت؛ فإنّ هذا فساد في نفسه وعقله وقلبه ودينه وعرضه، ونطفة اللوطي مسمومة تسري في الروح والقلب فتفسدهما فسادًا عظيمًا قلّ أن يرجى معه صلاح.

ففساد التفريق بين روحه وبدنه بالقتل دون هذه المفسدة»(٤١).

وأمّا حكم الإكراه على الزنا فمحلّ خلاف(٤٢)، وعليه فلا يرد هذا الإشكال على من يجيز الإقدام على الزنا إذا أكرهته المرأة نفسها، حيث يقوى القول بالترخّص حفظا لمهجته على الأصل من تقدّم مرتبة حفظ النّفس.

المشكل السابع:

نصّ المشكل:

قال الإمام- في صدد حديثه على اختصاص الأموال الزكويّة بالحُكم: «إن قيل: إنّما اعتبرت النُّصُب ليكون المال محتملا للمواساة، فهلاّ أوجبتم الزكاة على من يملك من الجواهر والخيل والحمير والبغال والقُرى(٤٣) والبساتين والدّور والدكاكين ما يساوي مائة ألف دينار، لاحتمال ماله للمواساة. وكيف لا يجب على هذا الزكاة، وهي واجبة على

الضعيف ذي العيال في خمس من الإبل أو في جزء من بعير في صورة الخلطة؟»(٤٤).

جواب المشكل:

قال الإمام: «قلت: إن اشتملت قراه وبساتينه على الأموال الزكويّة من النّخل والكرم والزرع كانت زكاتها مجزية عن زكاة رقابها، وإن لم يكن فيها مال زكوي، فإنّ ثمار بساتينها تُباع بالنّقود في الغالب، وكذلك تؤجّر أراضيها بالنّقود في الغالب، فإن بقيت نقودها حتى حال عليها الحول، قامت زكاة النقود مقام زكاة رقابها. وإن اتّجر بنقودها قامت زكاة التجارة مقام زكاة النقد. وكذلك القول في اتّجار الدور والدكاكين...»(٤٥).

ويردّ بهذا الجواب السديد على بعض أهل العلم الذين ربّما توسّعوا في ملاحظة معنى المواساة حتّى استحدثوا أموالاً زكوية جديدة لا تشهد لها الشريعة في نصوصها ولا في قياساتها المعتبرة.

المشكل الثامن:

نصّ المشكل:

قال الإمام: «قواعد الشريعة مبنية على أنّ المفسدتين إذا تعارضتا دفعت العظمى بارتكاب الدنيا، وإذا تعارضت مصلحتان حصّلت العليا منهما بتفويت الدنيا. ويُشكل على ذلك أنّ الأمّة أجمَعت على أنّ العدوّ لو نزل على بلد وخاف أهله من استئصال العدوّ لهم وسألوه أن يعطوه مال فلان أو امرأته ويرحل عنهم أنّ ذلك حرام عليهم مع أنّ المفسدة الواحدة أخفّ من مفسدة الجميع. فهذا مشكل»(٤٦).

جواب المشكل:

قال الإمام: «الجواب عنه أنّ مصالح الشرع ومفاسده منها ما عُلِم كسائر الأحكام المعلّلة، ومنها ما لم يعلم كالتعبّدات فهذا مما لَم يعلم مفسدته. ويجب أن يعتقد أنّ المفسدة التي قُدِّمت على الاستئصال غير مفسدة مال فلان وزوجته عملا بعادة الله عز وجل في شرائعه. نعم لو كان هذا الحكم ثبت بالاجتهاد كان مشكلا لأنّ الاجتهاد يعتمد المفاسد المعلومة دون المجهولة»(٤٧).

لا يطّرد هذا الإشكال إلاّ بعد التسليم بهذا الحكم، وأنا أشكّ جدًّا في ثبوت هذا الإجماع فيما يتعلّق ببذل المال مقابل الحفاظ على مهج كافّة أهل البلد، ولم أقف على من وافق الإمام على نقله هذا. ويبدو لي عدم صحّته؛ لأنّه يسوغ للأمّة في نظير هذا الحكم فداء أسيرها بالمال الكثير الذي يتقوّى به العدوّ على غيّه تقديما لمصلحة استنقاذ فرد منها، كما قال سيدي عبدالله العلوي في صدد تمثيله للذرائع الملغاة إجماعا:

أو رجح الإصلاح كالأسارى
تُفدى بما ينفع النّصارى(٤٨)

فلأن يجوز استنقاذ جميع أهل بلد ما ببذل مال رجل واحد منهم من باب أولى طردًا لأصلي تقديم مصلحة النّفس على مصلحة المال، وتقديم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد.

الهوامش

(١) مضى الكلام على هذين النّوعين في تمهيد بحثي السابق، والذي عنونت له: «تقريب تأصيلات ابن دقيق العيد حول علاقة النصّ الشرعي بالمقصود منه من خلال شرحه على عمدة الأحكام».
(٢) الفروق ٢/١٥٧.
(٣) رفع الإصر عن قضاة مصر ٢/٣٥١.
(٤) القواعد الكبرى ٢/٤٠٠.
(٥) المصدر نفسه ٢/٤٤.
(٦) المصدر نفسه ١/٣٩. وللاستزادة في الجواب عن هذا الإشكال انظر كلام ابن القيّم في إعلام الموقّعين ٣/٢١٧-٢٢٠.
(٧) القواعد الكبرى ١/٣٩. وللاستزادة في الجواب عن هذا الإشكال انظر كلام ابن القيّم في إعلام الموقّعين ٣/٢١٧-٢٢٠.
(٨) مسائل وأجوبة في علوم متعدّدة لـ١٩٤/أ.
(٩) العَسْجَد: الذهب، ويطلق أيضا على الجوهر كلّه كالدّر والياقوت، وعلى البعير الضخم، والمراد هنا المعنى الأوّل. انظر: القاموس المحيط ١/٣١١.
(١٠) المسائل والأجوبة لـ١٩٤/أ.
(١١) القواعد الكبرى ١/٣، ٢٩١
(١٢) الفوائد الجسام على قواعد ابن عبدالسلام ص٣٥٤.
(١٣) انظر: المسائل والأجوبة لـ١٩٤/أ.
(١٤) القواعد الكبرى ١/٣٠.
(١٥) انظر نصّ كلامه في المصدر السابق ١/٢٩، ٧٨.
(١٦) المصدر نفسه ١/٣٠.
(١٧) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ٤/٤٤١.
(١٨) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: ٦٥٠٢، ص١٢٤٧.
(١٩) القواعد الكبرى ١/٤٤.
(٢٠) دليله قول النبيّ ﷺ: مثلكم ومثل أهل الكتابين، كمثل رجل استأجر أجراء، فقال: من يعمل لي من غدوة إلى نصف النّهار على قيراط؟ فعملت اليهود، ثمّ قال: من يعمل لي من نصف النّهار إلى صلاة العصر على قيراط؟ فعملت النّصارى، ثمّ قال: من يعمل لي من العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين؟ فأنتم هم، فغضبت اليهود والنّصارى، فقالوا: ما لنا أكثر عملاً وأقلّ عطاء؟ قال: هل نقصتكم من حقّكم؟ قالوا: لا، قال: فذلك فضلي أوتيه من أشاء. أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: ٢٢٦٨. ص٤٢٢.
(٢١) المصدر نفسه ١/٤٤.
(٢٢) البحر المحيط ١/٢٩٤.
(٢٣) انظر نصّ كلامه كاملا في المصدر نفسه ١/٢٩٤-٢٩٥.
(٢٤) شرح مختصر الروضة ٢/٤١٠.
(٢٥) صحيح البخاري، رقم: ١٧٨٧. ص٣٥٣، وصحيح مسلم- واللفظ له- رقم: ١٢١١ (١٢٦)، ص٤٧٩.
(٢٦) القواعد الكبرى ١/٥٢.
(٢٧) انظر: فتح الباري ٣/٦١١.
(٢٨) القواعد الكبرى (مع اختصار) ١/٥٢-٥٣. وانظر ما ذكره ابن تيمية في هذا المقام في مجموع فتاويه ٢٥/٢٨١.
(٢٩) شرح القواعد الفقهيّة ص٥٤.
(٣٠) القواعد الكبرى ١/١٦٩.
(٣١) انظر تفصيل ذلك في رسالتي عن مقاصد الشريعة عند الإمام العزّ عند حديثي عن قاعدة سقوط الوسائل بسقوط المقاصد.
(٣٢) القواعد الكبرى ١/١٦٩.
(٣٣) تحفة المودود بأحكام المولود ص١٧٦.
(٣٤) القواعد الكبرى ٢/٩.
(٣٥) المصدر السابق ٢/٩. وأشار إلى هذه الحكمة أيضا في المسائل والأجوبة لـ١٦٣/ب.
(٣٦) إحكام الأحكام ٣/٥٢٩.
(٣٧) المسائل والأجوبة لـ١٨٢/ب- ل١٨٣/أ.
(٣٨) القواعد الكبرى ٢/٢٦٩.
(٣٩) المسائل والأجوبة لـ١٨٢/ب- ل١٨٣/أ.
(٤٠) انظر: أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٦٠، جامع العلوم والحكم ٢/٣٧١.
(٤١) الطرق الحكمية ١/٨٠.
(٤٢) انظر: أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٦٠، جامع العلوم والحكم ٢/٣٧٢، الموافقات ٢/٥١٢.
(٤٣) من استعمالاتها في اللغة أنّها تُطلق على المساكن والأبنية والضِّياع. كما في لسان العرب ١٢/٩٣. ويبدو أنّه مراد الإمام في عبارته هذه.
(٤٤) القواعد الكبرى ٢/٢٩٣.
(٤٥) المصدر السابق ٢/٢٩٣.
(٤٦) المسائل والأجوبة لـ١٨٩/ب.
(٤٧) المصدر نفسه لـ١٨٩/ب.
(٤٨) انظر: مراقي السعود مع شرحه نشر البنود ص٢٦٠.

القضاة وميزان العدالة

محمود علي
باحث دراسات إسلامية

كتب سيدنا عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما حين ولاه القضاء فقال: من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى عبدالله بن قيس أبي موسى الأشعري: سلام عليكم، أما بعد: فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم إذا أدلي إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك؛ حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك.

البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحًا أحل حرامًا، أو حرم حلالا، لا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت نفسك فيه، وهديت فيه لرشدك؛ أن ترجع إلى الحق، فإن الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل.

الفهم.. الفهم فيما يتلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة، ثم اعرف الأمثال والأشباه، فقس الأمور عند ذلك، واعمد إلى أقربها إلى الله، وأشبهها بالحق.

يقول تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ. أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ. وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (الرحمن: ٧-٩)، والميزان يعني العدل، كما قال تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد: ٢٥)، وهكذا قال سبحانه ﴿ألا تطغوا في الميزان﴾، فخلق السموات والأرض بالحق والعدل لتكون الأشياء كلها بالحق والعدل فهما جوهر كل الشرائع وسياج أمن البشرية وأساس سعادتها.

والعدل صفة من صفات الحق سبحانه واسم من أسمائه الحسنى وقد أمر الله عباده بالعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ (النحل: ٩٠)، وأمر بالقسط وهو صنو العدل، فقال ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ (المائدة: ٨)، ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ (الأعراف: ٢٩) ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ (المائدة: ٤٢)، وما أعظم محبة الله تعالى لعباده المقسطين ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (المائدة: ٤٢) وقد وردت الآية ثلاث

على القاضي فهم ما يقال فهما لا يساوره شك وأن يعرف لغة المتحدثين وطرائق كلامهم وطبيعة حياتهم

مرات في المصحف الشريف (١).

والعدل هو حلم الإنسان الدائب الذي لم يكف دومًا عن السعي إلى تحقيقه وكان سعيه قد كلل بخطوات من نجاح أكدت كل خطوة منها هذا التلازم الرفيع بين العدل وارتقاء الإنسانية في درجات سموها كما أكدت أن الإنسانية ليست ببالغة ذراها الرفيعة في قمة وجودها الذي يتجلى في القبس النوراني الكامن فيها إلا محمولة على راحة العدل وساعده.

العدل لغة

العدل لغة: الإنصاف، وعدل عدلا وعدولا وعدالة؛ واستقام الشيء عدلا أي أقامه وسواه، وعادل بين الشيئين أي وازن، واعتدال يعني توسط بين حالين في كم أو كيف أو تناسب، وجو معتدل من الحرارة والبرودة. ويقال حسنة الاعتدال أي القوام وتعادلا أي تساويا (٢).

والقسط صنو العدل، فأقسط أي عدل ويقال أقسط في حكمه وفي الآية الكريمة ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى....﴾ (النساء: ٣) والقسط يعني العدل، ويقال أيضًا ميزان القسط أو موازين قسط وفي الآية: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ....﴾ (الأنبياء: ٤٧) والقسطَ الحصةَ والنصيب (٣).

ويأتي في معنى العدل أيضًا الإنصاف، ونصف الشيء نصفًا أي بلغ نصفه، وأنصف فلان أي عدل، وتناصف القوم أي أنصف بعضهم بعضًا والأنصف الأكثر إنصافًا (٤).

والعدل أيضًا يعني التوسط والوسطية – فمن معاني الوسطية التي وصفت بها الأمة الكريمة وترتب عليها شهادتها على البشرية كلها – العدل الذي هو ضرورة لقبول شهادة الشاهد، فما لم يكن عدلا فإن شهادته مردودة مرفوضة، والعدل والتوسط والتوازن كلمات متقاربة المعنى، فالعدل حقيقة توسط بين الطرفين المتنازعين والأطراف المتنازعة دون ميل أو تحيز إلى إحداهما، وهو بعبارة أخرى موازنة بين الأطراف بحيث يعطى كل ذي حق حقه دون بخس أو جور.

ومما قاله المفسرون في قوله تعالى ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ﴾ (القلم: ٢٨)، أوسطهم أي أعدلهم، ويؤكد هذا الإمام الرازي في تفسيره بقوله: «إن أعدل بقاع الشيء وسطه لأن حكمه في سائر أطرافه على سواء واعتدال، فالوسط يعني إذن العدل والاعتدال ويعني التعادل والتوازن بلا جنوح إلى الغلو أو التقصير (٥).

العدل في القرآن الكريم

ورد لفظ العدل في مواضع عديدة من كتاب الله تعالى، وورد أيضًا القسط، فقد ورد لفظ عدل ومشتقاته نحو «عدلا، لأعدل، اعدلوا، تعدل، تعدلوا»

اثنتين وعشرين مرة، وورد لفظ القسط ومشتقاته «أقسط، أقسطوا، القسط، يقسطوا، القسطاس، المقسطين» خمسا وعشرين مرة.

العدل والقضاء

إن الحكم بين الناس فيما ينشب بينهم من نزاعات وخلافات، أو فيما يقع من جرائم الدم والعرض والمال وغيرها هو من أخطر الأمور وأصعبها؛ ذلك لما فيه من مسؤوليات جسام تقع على عاتق القاضي، ليس فقط في الفصل والحكم ولكن من كل كلمة ينطق بها أمام الخصوم، بل وكل حركة أو تصرف في مجلس القضاء، فلابد أن يسوي بين خصومه في كل شيء، وتلك المسؤولية عظيمة أمام الله تعالى وأمام ضميره.

ولا غرو أن يتورع السلف عن تولي القضاء حتى كان الحاكم يحاول قهرهم على توليه بالحبس والضرب، وقد ورد في السنة النبوية ما يحذر من المسارعة إلى ولاية القضاء إلا لمتمكن من دينه، وكمال عقله، كما حذر المصطفى من السعي لدى ولي الأمر لتولي القضاء فلم يكن يولي أحدا شيئًا إذا طلبه، لما في توليته على تلك الحال من شائبة هوى النفس وحب الظهور وبعده عن حقيقة الولاية وهي الفصل في المنازعات وإيصال الحقوق إلى أصحابها لوجه الله تعالى، باعتبارها مسؤولية جسيمة وليست ترفًا واستعلاء على الغير ولا ذريعة لجلب مصلحة شخصية (٧).

وعن أنس قال: سمعت رسول الله يقول: «من طلب القضاء واستعان عليه وكل إليه، ومن لم يطلبه ولم يستعن عليه أنزل الله ملكا يسدده» (٨).

ولعظم المسؤولية وجلالها قال المعلم الأول: «من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين» (٩). وقيل إن المراد ذبح من حيث المعنى لأنه بين عذاب الدنيا إن رشد، وبين عذاب الآخرة إن فسد، وقال الخطابي: المراد ما يخاف عليه من هلاك دينه، فالذبح بالسكين فيه إراحة للمذبوح وبغيرها يكون الألم أكثر تعبيرًا ليكون أبلغ في التحذير.

القضاة ثلاثة

والقاضي اسم من قضى بين اثنين، أو حكم بينهما سواء سمي خليفة أو سلطانًا أو نائبًا أو واليًا، والقضاة ثلاثة كما قال المصطفى ﷺ: «قاضيان في النار وقاض في الجنة، فرجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار، ورجل قضى بين الناس على جهل فهو في النار، ورجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة»، ومن الحديث يتبين قدر المسؤولية وجسامتها، وبالتالي فمن يتولى القضاء يجب أن يكون نصب عينيه أنه واحد من ثلاثة وهو ليس بمفازة من النار إلا بأن يعلم الحق ويقضي به.

صفات القاضي العادل

وإذا ما كان القاضي أهلا لتولي القضاء، وجلس مجلس القضاء، فيجب أن تتوفر فيه الاستقامة والنزاهة، وسعة الصدر، وعفة اللسان، والتواضع والصبر والبشاشة، واستقلال الرأي، وهدوء الفكر، وهكذا نجد صفات الفضل كلها قد اجتمعت في القاضي، ويجب أن يخلص القضاء لله فمن أخلص قضاءه لله تعالى قذف في قلبه نورًا واستضاء به للحق فعرفه وحكم به.

كما لا يكفي في القاضي ورع بلا علم، ولا علم بلا ورع؛ فلا فضل لقاضٍ ورع أمن الهوى ولم يعلم الحق فقضى بغيره، ولا فضل لعالم عرف الحق وصده عنه الهوى فقضى بغيره.

والقاضي يجب أن يكون بشوش الوجه منفرج الأسارير رطب اللسان حلو الكلام يجيد مخاطبة كل إنسان بطريقة تناسبه وتلائمه دونما تقريظ أو تعجيز، فيجد لديه العامة وغيرهم الصدر الرحب لسماع وتلقي كل ما لديهم من مظالم دونما ضجر أو كدر. يقول سيدنا عمر في رسالته: إياك والغضب والقلق والضجر.

عدالة الشكل

إن الجلوس في مجلس القضاء يلقي كثيرًا من التبعات على صاحبه بدءًا من الالتزام التام بكل ما يفرضه جلال الموقف من ارتداء ثوب العدالة والتحلي بأخلاقها، وحسن معاملة المتقاضين، والمساواة بين الخصوم في كل شيء وأصغر شيء، فشكل العدالة بمعنى العدل في الأمور الشكلية- أولا- من أعظم الأمور التي تبث الطمأنينة في نفس وقلب المتقاضي، وتبعد عنه كل نوازع الخوف أو الرهبة ما يجعله يعرض مظلمته أو شكايته وهو مطمئن غير مرتبك أو مرتعد.

أما إن لاقى وجهًا عبوسًا ولفظًا فظًا وقلبًا غليظًا أو معاملة غير كريمة لأيقن باختلال ميزان العدالة من البداية واهتز يقينه، وجزعت نفسه، وبات فاقدًا أي أمل لنيل حقه.

فالعدالة عند القاضي مظهر وجوهر، قلب وقالب، شكل وموضوع، قول وفعل، هي كل حياته وهكذا يجب أن يكون (١٠).

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رسالته لقاضيه أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «آس بين الناس في مجلسك وفي وجهك وقضائك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك».

القضاء في الموضوع

يجب على القاضي أن يفهم ما يدلى إليه فهمًا لا يخالطه شك، وهذا لا يتأتى إلا إذا كان عالمًا بلغة المتحدثين وطرائق كلامهم، وملمًا بكافة شؤون الحياة وما يدور فيها، بل وفاهمًا لطبيعة البلدة التي يقضي فيها وطبائع أهلها، فهي أمور تيسر له مهمته في النفاذ ببصيرة واعية للب القضية وجوهر النزاع ومن ثم الولوج فيها على وعي تام وعلم أتم.

يقول سيدنا عمر في رسالته: «فافهم إذا أدلي إليك، وأنفذ إذا تبين لك.. والفهم الفهم فيما أدلي عليك مما ليس في قرآن ولا سنة، ثم قايس الأمور عندئذ، واعرف الأمثال ثم اعمد فيها ترى أقربها الى الله وأشبهها بالحق.

يقول العلامة ابن القيم الجوزية- يرحمه الله- في إعلام الموقعين: إن واجب القاضي أن يعلم ما يقع، وأن يحكم فيه بما يجب؛ الأول مداره على الصدق، والثاني مداره على العدل ﴿وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلا﴾ (الأنعام: ١١٥).

وفهم القاضي من نوع خاص فهو إنما يفهم في الله ولله، ويقيم هذا الفهم بالإضافة إلى الذكاء وسلامة الذوق ووفرة العلم بالقانون في أدق أحكامه وأخص أسراره وغاياته، ووقوف القاضي على طبائع الناس وأحوالهم وإلمامه بأعرافهم وعاداتهم، ويفسد هذا الفهم غلبة الميل والهوى والاستسلام للتعسف والتردد، وكثرة ما يقع فيه القاضي من السهو والغفلة.

وقيل لو اجتمع في القاضي قلة علم وسوء قصد وأخلاق سيئة وقلة ورع فقد تم خسرانه ووجب عليه أن يعزل نفسه ويبادر بالخلاص.

ويقول صلاح عبدالصبور في واقعة على لسان القاضي ابن شريح: «... القاضي لا يفتي بل ينصب ميزان العدل، لا يحكم في أشباح بل في أرواح أغلاها الله إلا أن تزهق في حق أو إنصاف، الوالي والقاضي رمزان جليلان للقدرة والحق لا تدنو من مرماها أفراس القدرة لا تبلغ غايتها إلا إن أمسك فرسان الحق بزمام أعنتها».

القاضي يقبل الصلح

يجب على القاضي أن يعرض الصلح على الخصوم، بل ويقبله منهم إذا كان فيه إنصاف للمظلوم طالما لا يحل حراما ولا يحرم حلالا؛ جاء في الرسالة: فالصلح جائز بين المسلمين إلا صلحًا أحل حراما أو حرم حلالا.

القاضي رجاع إلى الحق

إذا حكم القاضي حكمًا وتبين له فيما بعد أنه كان مخطئًا فيما قضى به وتبين له وجه الحق في الدعوى، فلا عليه إن عدل عن حكمه الخاطئ؛ جاء في الرسالة: «ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس وراجعت فيه نفسك وهديت فيه إلى رشدك أن تراجع فيه الحق، فالرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل».

الخاتمة

وهكذا يكون القاضي عادلاً إذا ما اهتدى إلى الحق واستنار قلبه بالعدالة، وقد حوت رسالة عمر بن الخطاب العديد من قيم وتقاليد القضاء التي لم يرد أحسن منها في التشريعات العصرية، وهكذا ستظل تلك الرسالة نبراسًا يقتدي به القضاة على مر العصور والأزمان، ولم لا وهي صادرة عن أمير المؤمنين وهو مضرب المثل في العدل، وصدق فيه القول: «حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر» رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين.

الهوامش

١- الآيات: (المائدة: ٤٢، الحجرات: ٩، الممتحنة: ٨).
٢- المعجم الوجيز ص: ٤٠٩.
٣- المرجع السابق ص: ٥٠١.
٤- المرجع السابق ص: ٦١٩.
٥- الخصائص العامة للإسلام. د. يوسف القرضاوي ص: ١٢٣.
٦- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم د. محمد فؤاد عبدالباقي ص: ٥٥٠، ٦٥٣.
٧- هذا حلال وهذا حرام د. عبدالقادر أحمد عطا ص: ٣٨٩.
٨- أخرجه الترمذي وأبوداود.
٩- أخرجه الترمذي وأبوداود.
١٠- قيم وتقاليد السلطة القضائية للمستشار: أمين طه أبوالعلا.

أعلام دفنوا بمصر وليسوا من أهلها (٣)

محمد نبيل بهي
باحث في التراث الإسلامي

نواصل عرض وبيان الأعلام الذين دفنوا بمصر وليسوا من أهلها وهم:

٨١- حاجي باشا: خضر بن علي بن مروان بن علي بن حسام الدين الأيديني: طبيب متكلم من فقهاء الحنفية أصله من قونية سكن مصر وتوفي بها سنة ١٤١٧م. ص ٣٠٧ ج ٢.

٨٢- الخالدي: خليل بن جواد بن بدر بن مصطفى الخالدي المقدسي: رحالة من فقهاء الحنفية كان من أعلم الناس بالمخطوطات وأماكن وجودها. توفي بالقاهرة سنة ١٩٤١م. ترجم له الشيخ أبوغدة في العلماء العزاب. ص ٣١٧ ج ٢.

٨٣- خليل مطران: الشاعر الكبير من كبار الكتاب له اشتغال بالتاريخ والترجمة ولد في بعلبك بلبنان وتوفي بمصر سنة ١٩٤٩م وكان يلقب بشاعر القطرين. ص ٣١٢ ج ٢.

٨٤- رفيق بك العظم: عالم بحاث من رجال النهضة العلمية في سوريا ولد في دمشق نشأ مقبلًا على كتب التاريخ والأدب زار مصر في صباه ثم استقر بها. وتوفي بالقاهرة سنة ١٩٢٥م. من كتبه: (أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة). (البيان في كيفية انتشار الاسلام).ص ٣٠

ج ٣.

٨٥- زينب فواز العاملي: أديبة مؤرخة ولدت في تبنين من قرى جبل عامل ببلاد الشام تعلمت بالإسكندرية وتوفيت بالقاهرة سنة ١٩١٤م.

من كتبها:

(الدر المنثور في طبقات ربات الخدور). وهو كتاب جليل القدر في تراجم مشاهير النساء قديمًا وحديثًا.

(الرسائل الزينبية). وهو مجموع مقالاتها المتنوعة في الأدب واللغة والاجتماع.

ولها أيضًا: (مدارك الكمال في تراجم الرجال) إضافة لثلاث روايات أدبية. ص ٦٧ ج ٣.

٨٦- عادل الغضبان: متأدب له نظم أكثره في المناسبات حلبي الأصل. سافر في صباه إلى القاهرة فتعلم بمعهد الآباء اليسوعيين وعمل في مطبعة دار المعارف وتولى تحرير مجلتها الكتاب. توفي بالقاهرة سنة ١٩٧٢ م. ص ٢٤٣ ج ٣.

٨٧- عبدالرحمن الكواكبي: رحالة من الكتاب الأدباء ومن رجال الإصلاح الإسلامي ولد وتعلم في حلب وأنشأ بها جريدته الشهباء وجريدة الاعتدال. رحل إلى مصر بعد مضايقات واستقر بها إلى أن توفي سنة ١٩٠٢م. له: (أم القرى) و(طبائع الاستبداد). وقد نشر د. عمارة دراسة عنه، ونشر أعماله الكاملة. ص ٢٩٨ ج ٣.

٨٨- الجوهري: عبدالرحمن بن إسحاق السدوسي: قاض كان فقيهًا حاسبًا عاقلاً ولد في «سر من رأى» وولي القضاء بمصر واستقر بها إلى أن مات سنة ٩٣٢م- ٣٢٠ هـ. ص ٢٢٩ ج ٣.

٩٠- الحافظ العراقي: عبدالرحيم بن الحسين بن عبدالرحمن أبوالفضل زين الدين: بحاثة من كبار حفاظ الحديث أصله من الكرد ومولده في رازنان من أعمال إربل تحول مع أبيه صغيرًا إلى مصر فتعلم فيها ونبغ ورحل إلى الحجاز والشام ثم عاد إلى مصر واستقر بها إلى أن توفي سنة ٨٠٦ هـ = ١٤٠٤م.

له: (المغني عن حمل الأسفار في الأسفار). وهو في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي.

وله كذلك الألفية في علم مصطلح الحديث وقد شرحها في كتابه (فتح المغيث).

وغيرها الكثير من الكتب في الحديث والسيرة. ص ٣٤٤ ج ٣.

٩١- القاضي الفاضل: عبدالرحيم بن علي بن السعيد اللخمي: وزير من أئمة الكتاب. ولد بعسقلان بفلسطين وانتقل إلى الإسكندرية ثم إلى القاهرة وبها توفي سنة ٥٩٦ هـ = ١٢٠٠ م. كان من وزراء صلاح الدين الأيوبي ومن مقربيه وكان يقول فيه (لا تظنوا أني ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم الفاضل) جمعت رسائله ومكاتبته في دواوين. ص ٣٤٦ ج ٣.

٩٢- العز بن عبدالسلام: الإمام عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي الدمشقي سلطان العلماء. ولد ونشأ في دمشق. ولي القضاء في مصر وتوفى بها سنة ٦٦٠ هـ = ١٢٦٢م.

له: (الإلمام من أدلة الاحكام).

و(قواعد الأحكام في إصلاح الأنام) أو القواعد الكبرى ص ٢١ ج ٤.

٩٣- عبدالغني المقدسي: عبدالغني بن عبدالواحد المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي: حافظ من حفاظ الحديث ومن العلماء برجاله. ولد في جماعيل (بالتشديد) قرب نابلس وانتقل صغيرًا إلى دمشق ثم رحل أصبهان والإسكندرية وتوفي بمصر سنة ٦٠٠ هـ = ١٢٠٣ م.

له: (الكمال في أسماء الرجال) في أسماء رجال الكتب الستة.

و(الدرة المضية في السيرة النبوية) و(عمدة الأحكام من كلام خير الأنام) وهو من أشهر كتب الأدلة الفقهية. ص ٣٤ ج ٤.

٩٤- عبدالقادر بن عبدالكريم الورديغي المغربي: فقيه مالكي نحوي فاضل وجاور بالأزهر في القاهرة إلى أن توفي سنة ١٣١٣ هـ =١٨٩٥م.

له: (سعد الشموس والأقمار وزبدة شريعة النبي المختار) وهو كتاب في فقه المذاهب الأربعة وهو مطبوع. وله رسالة في القضاء وغيرها من الكتب. ص ٣٩ ج ٤.

٩٥- عبدالقادر بن عمر البغدادي: علامة بالأدب والتاريخ والأخبار. ولد وتعلم وتأدب ببغداد وأولع بالأسفار فرحل إلى دمشق وأدرنه ومصر وجمع مكتبة نفيسة وتوفي بالقاهرة سنة ١٠٩٣ هـ = ١٦٨٢ م.

له (خزانة الأدب) وكتب غيرها في الأدب واللغة. ص ٤١ ج ٤.

٩٦- عبدالقادر بن مصطفى الرافعي: فقيه حنفي من علماء الأزهر. ولد في طرابلس الشام. تعلم بالأزهر وعلت شهرته في الفقه الحنفي حتى لقب بأبوحنيفة الصغير ولي إفتاء الديار المصرية قبل وفاته بثلاثة أيام. توفي بالقاهرة سنة ١٩٠٥م. ص ٤٦ ج ٤.

٩٧- القطب الحلبي: عبدالكريم بن عبدالنور بن منير الحلبي قطب الدين: من حفاظ الحديث حلبي الأصل والمولد مصري الإقامة والوفاة. توفي بمصر سنة ٧٣٥ هـ = ١٣٣٥ م.

له: تاريخ مصر في بضعة عشر جزءًا. وشرح للسيرة النبوية للحافظ عبدالغني وشرع في شرح البخاري لكنه لم يتمه. ص ٥٣ ج ٤.

٩٨- ابن أبي جمرة: عبدالله بن سعد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي المالكي أبومحمد: من علماء الحديث. توفي بمصر سنة ١٢٩٦م. من كتبه: (النهاية) اختصر به كتاب البخاري. وله (بهجة النفوس شرح مختصر البخاري) وهو كتاب مفيد مشتهر. ص ٨٩ ج ٤.

٩٩- الزيلعي المحدث: عبدالله بن يوسف بن محمد الزيلعي جمال الدين: فقيه عالم بالحديث من الزيلع (في الصومال الآن) توفي بالقاهرة سنة ١٣٦٠م. له: (نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية) في مذهب الأحناف وله أيضًا (تخريج أحاديث الكشاف) وهو غير الزيلعي شارح الكنز.

١٠٠- ابن هشام: عبدالملك بن هشام بن أيوب الخميري المعافري: مؤرخ كان عالمًا بالسيرة والأنساب وأخبار العرب. ولد ونشأ بالبصرة وتوفي بمصر سنة ٢١٣ هـ = ٨٢٨ م.

وهو صاحب السيرة النبوية المشتهرة بسيرة ابن هشام. ص ١٦٦ ج ٤.

١٠١- القاضي عبدالوهاب البغدادي: قاض من فقهاء المالكية الكبار له نظم ومعرفة بالأدب. ولد ببغداد وتولي القضاء في أسعرد بالعراق ورحل إلى الشام فمر بمعرة النعمان واجتمع بأبي العلاء المعري وتوجه بعدها إلى مصر فعلت شهرته وتوفي بها سنة ٤٢٢ هـ = ١٠٣١ م.
من كتبه:
(التلقين) و(النصرة لمذهب مالك) وشرح المدونة و(الأشراف على مسائل الخلاف) ص ١٨٤ ج ٤.

١٠٢- الزيلعى الفقيه: عثمان بن على بن محجن فخر الدين الزيلعي: فقيه حنفي قدم القاهرة من بلاد الصومال سنة ٧٠٥هـ فأفتى ودرس وتوفي بالقاهرة سنة ٧٤٣هـ له: (تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق) في ست مجلدات و(بركة الكلام على أحاديث الأحكام) ص ٢١٠ ج ٤.

١٠٣- نور الدين الحلبي: علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي: مؤرخ أديب أصله من حلب. توفي بمصر سنة ١٠٤٤هـ = ١٦٣٥ م. من كتبه (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون) المعروف بالسيرة الحلبية و(زهر المزهر) اختصر به المزهر في اللغة للسيوطي. وغيرها من الكتب. ص ٢٥١ج ٤.

١٠٤- ابن بلبان: علي بن بلبان بن عبدالله علاء الدين الفارسي المنعوت بالأمير: فقيه حنفي سكن القاهرة وتوفي بها سنة ٧٣٩ هـ = ١٣٣٩م.
له: (المقاصد السنية في الأحاديث الإلهية) وأشهر كتبه (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) في تسع مجلدات. ص ٢٦٨ ج ٤.

١٠٥- ابن النفيس: علي بن أبي الحزم القرشي علاء الدين: طبيب محدث مكتشف الدورة الدموية الصغرى أصله من بلدة قرش (بفتح القاف وسكون الراء في ماوراء النهر) ولد في دمشق وتوفي بمصر سنة ١٢٨٨م. له مؤلفات في الطب والفلسفة والمنطق والحديث والسيرة منها:
(الموجز في الطب) اختصر به قانون ابن سينا.

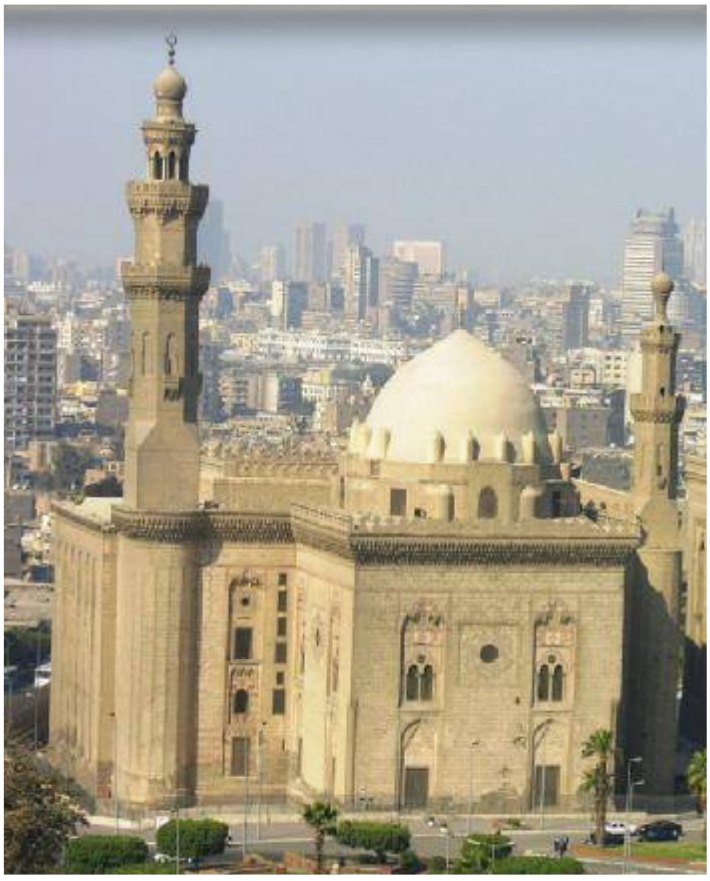

(فاضل بن ناطق) على نمط حي بن يقظان.
شرح الهداية لابن سينا في المنطق.
(الرسالة الكاملية في السيرة النبوية) ص ٢٧١ ج ٤.

١٠٦- المسعودي: علي بن الحسين بن على أبوالحسن المسعودي: مؤرخ بحاثة رحالة من أهل بغداد قدم مصر فأقام بها إلى أن مات سنة ٣٤٦ هـ = ٩٥٧ م. له: (مروج الذهب) و(التنبيه والإشراف) و(أخبار الامم من العرب والعجم). وغيرها من المؤلفات. ص ٢٧٧ ج٤.

١٠٧- ابن العديم: عمر بن أحمد بن أبي جراوة العقيلي كمال الدين: مؤرخ محدث من الكتاب الأدباء. ولد بحلب وتوفي بها سنة ٦٦٠ هـ = ١٢٦٢ م. له: (بغية الطلب في تاريخ حلب) و(دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري). ص ٤٠ ج ٥.

١٠٨ – عيسى منون: الشيخ الفقيه الأزهري درس في الأزهر وكان شيخًا لرواق الشوام ومن هيئة كبار العلماء صنف كتبًا منها (نبراس العقول في تحقيق القياس عند علماء الاصول). توفي بالقاهرة سنة ١٩٥٧ م. ص ١٠٩ ج ٥.

١٠٩- ابن جماعة: محمد بن إبراهيم الكناني الحموي الشافعي بدرالدين: قاض من العلماء بالحديث ولد في حماة وولي الحكم والخطابة بالقدس ثم القضاء بمصر ثم الشام ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمي وتوفي بمصر سنة ٧٣٣هـ =١٣٣٣ م. من كتبه:
(المنهل الروي في الحديث النبوي) و(كشف المعاني في المتشابه من المثاني) و(تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم). وغيرها من المؤلفات. ص ٢٩٧ ج ٥.

١١٠ –القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي أبو عبدالله من كبار المفسرين صالح متعبد من أهل قرطبة استقر في منية ابن الخصيب (المنيا حاليًا) وتوفي بها سنة ٦٧١ هـ = ١٢٧٣م. من كتبه: (الجامع لأحكام القرآن) وهو المعروف بتفسير القرطبي و(الأسنى في شرح الاسماء الحسنى) و(التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة) وغيرها من المؤلفات النافعة المفيدة. ص ٣٢٢ ج ٥.

١١١- الامام الشافعي:
محمد بن إدريس بن العباس بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي أبوعبدالله: أحد الأئمة الأعلام وأحد أذكياء الدنيا. واضع علم أصول الفقه وأحد الأئمة الأربعة. ولد في غزة هاشم بفلسطين

سنة ١٥٠ هـ وتوفي بمصر سنة ٢٠٤ هـ = ٨٢٠ م وقبره بها معروف مشتهر . ص ٢٦ ج ٦.

١١٢ –محب الدين الخطيب: من كبار الكتاب الإسلاميين. ولد في دمشق وتعلم بها وبالأستانة ثم رحل إلى مصر وأنشأ بها مجلتيه (الزهراء– الفتح) من مؤسسي جمعية الشبان المسلمين بها. تولى تحرير مجلة الأزهر ست سنوات وأنشأ المطبعة السلفية ومكتبتها. له: (ذكرى موقعة حطين) و(الأزهر ماضيه وحاضره والحاجة إلى إصلاحه) وكتب أخرى. ص ٢٨٢ ج ٥.

١١٣– الخانجي: محمد أمين بن عبدالعزيز: كتبي عالم بالمخطوطات وأماكن وجودها. ولد في حلب ثم انتقل إلى القاهرة سنة ١٨٨٥م فأنشأ بها مكتبة الخانجي التي ساهمت في نشر عيون ودرر ونوادر تراثنا العربي. توفي بالقاهرة سنة ١٩٣٩م. ص ٤٤ ج ٦.

١١٤– محمد حبيب الله بن عبدالله بن مايابي الشنقيطي: عالم بالحديث ولد وتعلم بشنقيط رحل إلى مراكش والحجاز ثم استقر بمصر مدرسًا في كلية أصول الدين بالأزهر وتوفي بها ١٩٤٤م. من كتبه: (زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم) و(دليل السالك إلى موطأ مالك) و(هداية المغيث في أمراء الحديث) ص ٧٨ ج٦.

١١٤– محمد الخضر حسين: عالم أديب باحث يقول الشعر من أعضاء المجمعين العربيين بدمشق والقاهرة. ولد بنفطة بتونس درس بالزيتونة وعمل بها مدرسًا ثم رحل إلى دمشق والأستانة وبرلين استقر بدمشق ثم تركها إلى مصر لاحتلال الفرنسيون لها. نال شهادة العالمية من الأزهر ثم صار عضوًا في هيئة كبار العلماء ثم بعدها عين شيخًا للأزهر. توفي سنة ١٩٥٨م بالقاهرة. ص ١١٣ ج ٦.

١١٥– محمد زاهد الكوثري: فقيه حنفي جركسي الأصل ولد بقرية شرق الأستانة وتعلم في جامع الفاتح ودرس فيه. اضطرته الظروف إلى السفر إلى مصر تنقل بينها وبين الشام ثم استقر في مصر موظفًا في دار المحفوظات. كانت له معرفة بالغة بالمخطوطات ونوادر المطبوعات ونشر الكثير من الكتب بتحقيقه وعنايته وتقديمه. توفي بالقاهرة سنة ١٩٧٠ م. ص ١٢٩ ج ٦.

١١٦– محمد بن عمر التونسي: أديب من أهل تونس استقر بمصر وتوفي بها سنة ١٨٥٧م. من مؤلفاته: (الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية) و(تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد المغرب والسودان). ص٣١٨ ج ٦.

١١٧– مرتضي الزبيدي:
محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني الزبيدي: علامة اللغة والحديث والرجال والأنساب: من كبار المصنفين أصله من واسط بالعراق ومولده بالهند في بلجرام ومنشأه في زبيد باليمن ووفاته بمصر سنة ١٧٩٠م = ١٢٠٥هـ له (تاج العروس في شرح القاموس) وهو من أهم كتب اللغة اهتمت بنشره دولة الكويت. و(إتحاف السادة المتقن شرح إحياء علوم الدين للغزالي) وغيرها من الكتب. ص٧٠ ج٧.

١١٨– محمد محمود بن التلاميد بن محمد التركزي الشنقيطي:
المشتهر بابن التلاميد: علامة عصره في اللغة والأدب شاعر أموي النسب. ولد في شنقيط وتوفي بالقاهرة سنة ١٩٠٤م. عمل مع الإمام محمد عبده في نشر درر التراث العربي. له الحماسة السنية في الرحلة العلمية. وتصحيح الأغاني وغيرها من المؤلفات. ص ٨٩ ج ٧.

١١٩– الطرطوشي:
محمد بن الوليد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي أبوبكر الطرطوشي: أديب من فقهاء المالكية الحفاظ من أهل طرطوشة بشرق الأندلس رحل إلى الإسكندرية واستقر بها إلى أن توفي سنة ٥٢٠ هـ = ١١٢٦م. له (سراج الملوك) واشتهر به وله كتب غيره. ص ١٣٣ ج ٧.

١٢٠– أبوحيان النحوي الأندلسي:
محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي الجياني من كبار علماء العربية والتفسير والحديث والتراجم. ولد في إحدى نواحي غرناطة ورحل إلى مالقة وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة وتوفي بها سنة ٧٤٥ هـ = ١٣٤٤ م. من مؤلفاته: (البحر المحيط) في التفسير ومختصره (النهر الماد) و(طبقات نحاة الأندلس) وغيرها من الكتب. ص ١٥٢ ج ٧.

١٢١– محمد رشيد رضا القلموني البغدادي الأصل صاحب ومنشئ مجلة المنار تلميذ الإمام محمد عبده وأحد رجال الإصلاح الإسلامي ولد في القلمون إحدى قرى طرابلس الشام رحل إلى مصر واستقر بها وأصدر مجلته المنار بها وأنشأ مدرسة لإعداد الدعاة بها. توفي بمصر سنة ١٩٣٥م. له: تفسير المنار وتاريخ الإمام محمد عبده في ثلاثة مجلدات. ص ١٢٦ ج ٦.

١٢٢– مصطفى صبري:
من علماء الحنفية فقيه باحث تركي الأصل والمولد والنشأة ولد في توقات وتعلم بقيصرية في الأناضول وعين مدرسًا في جامع الفاتح بإستنبول ثم تولى مشيخة الإسلام في الدولة العثمانية وقاوم الحركة الكمالية وبعد الحرب العالمية الاولى هاجر إلى مصر بأهله سنة ١٩٢٢م واستقر بها إلى أن توفي سنة ١٩٥٤م.
من مؤلفاته: (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين) و(موقف البشر تحت سلطان القدر) وكتاب في أحكام الطلاق. ص ٢٣٦ ج ٧.

١٢٣– خير الدين الزركلي:
خيرالدين بن محمود بن علي بن فارس الزركلي (بكسر الزاي والراء) الدمشقي: ولد في بيروت ونشأ بدمشق: شاعر أديب عمل سفيرًا للدولة السعودية بالقاهرة واستقر بها وألف فيها كتابه (الأعلام) الذي يعد من أهم كتب التراجم في العصر الحديث. وكان هو العمدة في جمع هذه التراجم. توفي رحمه الله بالقاهرة سنة ١٩٧٦ م.

من مناهل الأدب: «البيان والتبيين» لؤلؤة الجاحظ

د.محمد حسان الطيان
منسق مقررات اللغة العربية بالجامعة العربية المفتوحة
عضو مراسل بمجمع اللغة العربية بدمشق

البيان والتبيين للجاحظ أحد الموارد التي يستقى منها الأدب، وتكتسب بها الفصاحة، وترتقي بها اللغة، فكم استقامت به ألسنة.. وكم استوت به ملكات، وكم ارتقت عليه أذواق.

ولا غرو، فهو أحد دواوين الأدب التي ذكرها ابن خلدون في كلمته المشهورة: «وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين، وهي أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها»(١).

والحق أن هذا الكتاب يجمع أفانين الأدب المختلفة، فتجد ما شئت من شعر جميل، ونثر بديع، وخطب فصيحة، وأمثال سائرة، وحكم بليغة، تتوجها آيات بينات من الكتاب العزيز، وأحاديث نضرة من كلام سيد الفصحاء ﷺ.

ويسوق كل ذلك بأسلوبه الأخّاذ سيد من سادات البيان في تاريخنا الأدبي المشرق هو الجاحظ، وناهيك به أميرًا من أمراء البيان، وفارسًا من فرسان الفصاحة والبلاغة والأدب.

ويكفي في التدليل على أهمية الكتاب وقيمته ومكانته أن أورد بعض ما قيل فيه، وأن أقتبس نصوصًا منه.

قالوا في البيان والتبيين..

١- قال المسعودي في مروج الذهب: وكتب الجاحظ- مع انحرافه المشهور- تجلو صدأ الأذهان، وتكشف واضح البرهان؛ لأنه نظمها أحْسَنَ نظم، ورصفها أحسن رصف، وكساها من كلامه أجْزَلَ لفظ، وكان إذا تخوّفَ مَلَلَ القارئ وسآمة السامع خرج من جد إلى هزل، ومن حكمة بليغة إلى نادرة ظريفة، وله كتب حسان منها: كتاب البيان والتبيين، وهو أشرفها، لأنه جمع فيه بين المنثور والمنظوم، وغُرَر الأشعار، ومستحسن الأخبار، وبليغ الخطب، ما لو اقتصر عليه مقتصر لاكتفى به(٢).

٢- وقال الصفدي في نصرة الثائر على المثل السائر:

وحسبك بكلام يثني عليه أبوعثمان عمرو الجاحظ، وهو من أحذق أئمة الأدب، وأعرفهم بما يقول، وأبصرهم بمدارك العقول، وقوله في مثل هذا حجة، وما قرره في الأبيات هو المحجة.

وما أحسن قول القاضي الفاضل: وأما الجاحظ- رحمه الله- فما منا معاشر الكتاب إلا من دخل من كتبه الحارة، وشن الغارة، وخرج وعلى الكتف منها كارة.

وقد أولع الفاضل رحمه الله بذكره في ترسله، وذكر تصانيفه، ولو لم يكن له في كتب الأدب إلا كتاب البيان والتبيين لكفاه ذلك فخرًا.

ويقال: مما فضل الله به أمة محمد ﷺ على غيرها من الأمم، عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسياسته، والحسن البصري بعلمه، والجاحظ ببيانه(٣).

٣- وقال الطناحي في مقاله أجمل كتاب في حياتي البيان والتبيين للجاحظ: ويبرز من بين مؤلفات الجاحظ كتابه البيان والتبيين معلمًا ضخمًا من معالم كتب العربية، وبابًا واسعًا من أبواب الفكر العربي.

ولهذا الكتاب في حياتي أثر ضخم، فهو الذي قادني إلى كتب الجاحظ الأخرى، فقرأتها كلمة كلمة، ولم أتعامل معها تعامل المراجع الخاطفة، ثم هو الذي جذبني إلى كتب العربية الأخرى، ومن قبل ذلك ومن بعده فهو الذي أذاقني حلاوة البيان العربي، وهو الذي هداني إلى هذه الأنغام الجليلة الفخمة المترقرقة من مختار الكلام: شعرًا موزونًا معقودًا بقواف محكمة، ونثرًا مصقولاً مسنونًا يتهادى بالحرف العربي مشرقًا وضيئًا متسقًا؛ لينصبّ في السمع، ويتولّج في القلب، فيحدث تلك النشوة الغامرة، ويُمتع بذلك الطرب المؤنس الودود(٤).

نصوص من البيان والتبيين

أ- مقدمة الكتاب:

قال أبوعثمان عمرو بن بحر، رحمه الله:

اللهمّ إنّا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل، ونعوذ بك من التكلّف لما لا نحسن كما نعوذ بك من العجب بما نحسن، ونعوذ بك من السّلاطة والهذَر، كما نعوذ بك من العيّ والحَصَر.. وقديمًا ما تعوذوا بالله من شرهما وتضرعوا إلى الله في السلامة منهما(٥).

ب- مقولات في التذوق والنقد:

١- أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه(٦).

٢- لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك(٧).

٣- رأس الخطابة الطبع، وعمودها الدربة، وجناحاها رواية الكلام، وحليها الإعراب، وبهاؤها تخير الألفاظ.. والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه(٨).

ج - وصف رائع للبيان النبوي:

وأنا ذاكرٌ بعد هذا فَنًّا آخرَ من كلامه ﷺ:

«وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجَلّ عن الصّنعة، ونُزّه عن التكلف، وكان كما قال اللّه تبارك وتعالى، قل يا محمد: ﴿وما أنا منَ المتَكلّفين﴾ (ص: ٨٦).

فكيف وقد عابَ التشديق، وجانب أصحاب التقعيب(٩)، واستعمل المبسوطَ في موضع البسط، والمقصورَ في موضع القصر، وهَجَر الغريبَ الوحشيّ، ورغِبَ عن الهجين السُّوقيّ، فلم ينطقْ إلا عن ميراث حكمَة، ولم يتكلّم إلا بكلام قد حُفَّ بالعصمة، وشُيّد بالتأييد، ويُسّرَ بالتوفيق.

وهو الكلامُ الذي ألقَى اللّه عليه المحبّةَ، وغشّاهُ بالقَبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبَيّن حُسنِ الإفهام، وقلّة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقِلّةِ حاجة السامع إلى معاوَدته.

لم تسقط له كلمة، ولا زَلّت به قَدَم، ولا بارَتْ له حجّة، ولم يَقُم له خَصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبدّ الخُطَبَ الطّوال بالكلم القصار.

ولا يَلتمس إسكاتَ الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتجّ إلا بالصّدق ولا يطلب الفَلْج(١٠) إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة(١١)، ولا يستعمل الموارَبة، ولا يهمز ولا يَلمِز(١٢)، ولا يبطئ ولا يُعجَل، ولا يُسْهِب ولا يَحْصَر(١٣).

ثم لم يَسْمع الناسُ بكلام قَطّ أعمّ نفعًا، ولا أقصَدَ لفظًا، ولا أعدلَ وزنًا، ولا أجملَ مذهبًا، ولا أكرَم مطلبًا، ولا أحسنَ موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح معنًى، ولا أبين في فحوَى، من كلامه ﷺ»(١٤).

د - فن التمثيل في زمن الجاحظ:

ومع هذا إنّا نجدُ الحاكية من الناس يَحكي ألفاظَ سُكان اليَمَن مع مَخارج كلامهم، لا يغادر من ذلك شيئًا، وكذلك تكون حكايتُه للخُرَاسانيّ والأهوازيّ والزّنجي والسّنديّ والأجناس وغير ذلك، نعم حتّى تجده كأنه أطْبَعُ منهم، فإذا ما حَكى كلامَ الفأفاء فكأنما قد جُمعَتْ كلُّ طُرْفَة في كل فأفاء في الأرض في لسانٍ واحد، وتجدُه يحكي الأعمى بصُوَر ينشئها لوجهه وعينيه وأعضائه، لا تكاد تجد من ألْف أعْمَى واحدًا يجمع ذلك كلّه، فكأنّه قد جَمَع جميعَ طُرَف حركاتِ العُميان في أعمَى واحد.

ولقد كان أبو دَبُّوبة الزّنجي، مولى آل زياد، يقف بباب الكَرْخ بحضرة المُكارين، فينهقُ، فلا يبقى حمارٌ مريض ولا هَرِم حسيرٌ، ولا مُتعَبٌ بهيرٌ إلا نَهَقَ، وقبل ذلك تسمع نَهيق الحمار على الحقيقة، فلا تنبعث لذلك، ولا يتحرّك منها متحرّك حتّى كانَ أبو دبُّوبة يحرّكه، وقد كان جَمَعَ جميعَ الصور التي تجمع نهيقَ الحمار فجعَلها في نَهيق واحد، وكذلك كان في نُباح الكلاب.

ولذلك زعمت الأوائلُ أنّ الإنسانَ إنما قيل له: العالَمُ الصغيرُ سليلُ العالَم الكبير: لأنّه يصوّر بيديه كلّ صورة، ويحكي بفمه كل حكاية، ولأنّه يأكل النّباتَ كما تأكل البهائم، ويأكل الحيوانَ كما تأكل السّباع، وأنّ فيه من أخلاق جميعِ أجناس الحيوان أشكالاً(١٥).

الهوامش

١- مقدمة ابن خلدون، ٣/١٢٧٧-١٢٧٨.
٢- مروج الذهب، ص١٩٥.
٣- نصرة الثائر على المثل السائر، ص١٤٠.
٤- مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي، ٢/٥٢٧.
٥- البيان والتبيين، ١/٣.
٦- البيان والتبيين، ١/٨٣.
٧- البيان والتبيين ١/١١٥.
٨- البيان والتبيين ١/٤٤.
٩- التقعيب كالتقعير، وهو أن يتكلم بأقصى قعر فمه.
١٠- الفوز والظفر.
١١- الخلابة: المخادعة.
١٢- الهمز: العيب في الغيبة. واللمز العيب في الحضرة.
١٣- من الحصر وهو العي في الكلام.
١٤- البيان والتبيين. ٢/١٦-١٨.
١٥- البيان والتبيين. ١/٦٩-٧٠.

العدد (٥٦٨) ذو الحجة ١٤٣٣ هـ/ أكتوبر - نوفمبر ٢٠١٢ م

القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (٤)

عبدالله آيت الأعشير
مفتش منسق جهوي لمادة اللغة العربية - المغرب

في زمن طارت الفصاحة فيه من الأفواه مِثْل جرادة العيّار*، حتى أصبحنا نَعْلُكُ العربية الفصحى علك اللِّجام، ولم يعد لسيبويه وأمثاله من المُخضْرمِينَ وزْنٌ، ولا للحذاقة والفصاحة وجود. أضع بين أيدي القراء هذه الحلقة اللغوية الرابعة، منبِّها إلى أن الإعراض عن العربية الفصحى، لم يكن قط من سيِّئات هذا العصر، يَشْهد على ذلك كتبُ «لحْنِ العامّة» التي تنُوف عن أربعة وثلاثين كتابا، بدءًا من كتاب «ما تلحن فيه العامة» لأبي الحسن علي بن حمزة الكسائي المتوفى ١٨٩ هـ، مرورا بكتاب «لحن العامة» لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الإشبيلي المتوفى ٣٧٩ هـ، وكتاب «تثقيف اللسان وتلقيح الجنان» لأبي حفص عمر بن خلف بن مكي الصقلي المتوفى ٥٠١ هـ وكتاب «تقويم اللسان» لأبي الفرج

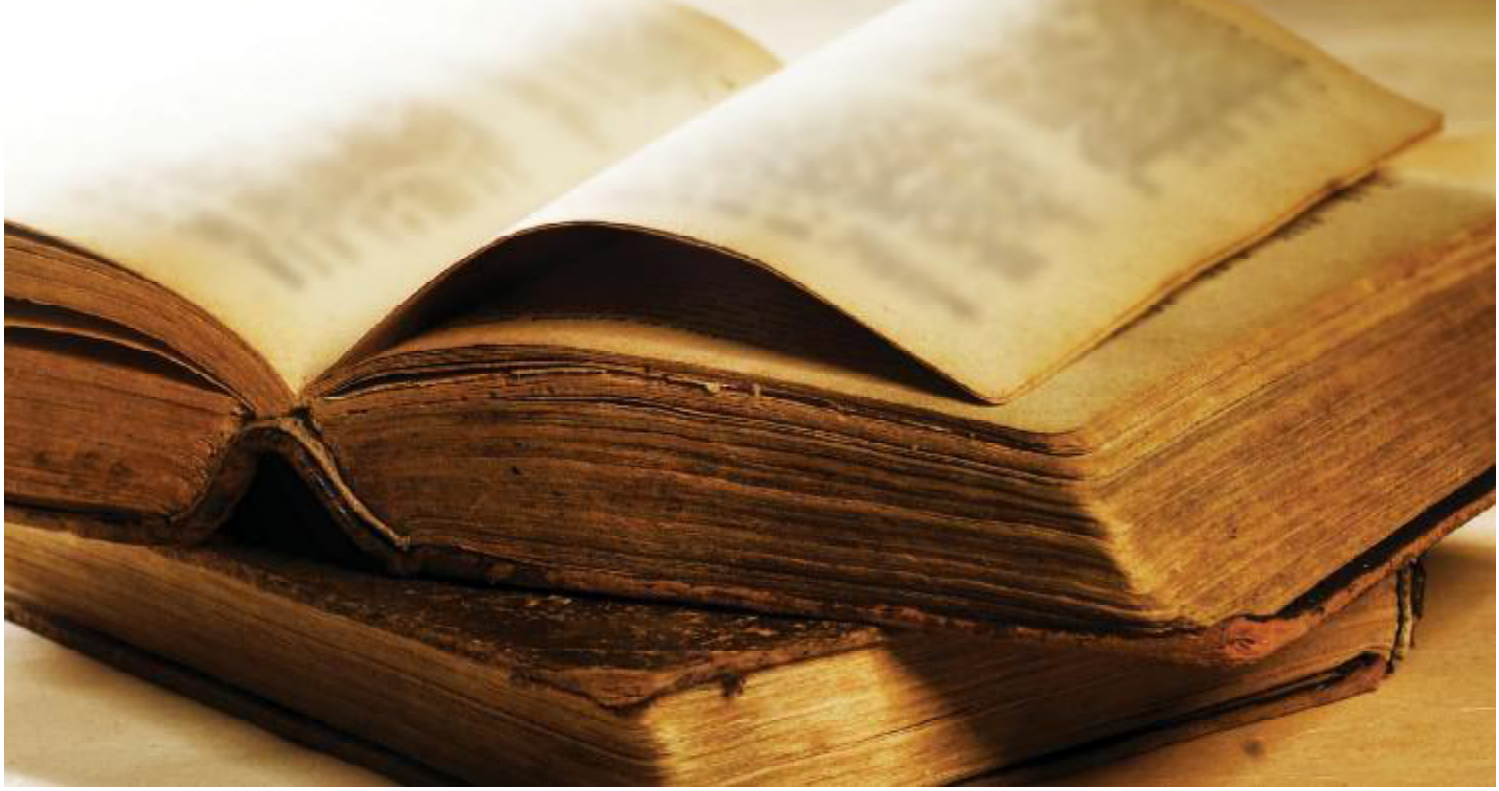

عبدالرحمن بن علي بن الجوزي المتوفى ٥٩٧ هـ، انتهاءً بتيسيرات المحدثين أمثال الشيخ إبراهيم اليازجي، والشيخ عبدالقادر المغربي،والشيخمصطفىالغلاييني، والشيخ عباس أبوالسعود، والأب أنستانس الكرملي، والشيخ إبراهيم السامرائي، والشيخ أحمد مختار عمر، والشيخ شوقي ضيف رحمهم الله، وغيرهم ممّنْ يُرْهِق تتبعهم ويُتْعب، مِنَ الذين حاولوا إسعاف العربية الفصحى من هذا الوباء الفتاك الذي أدخل عليها الشطط، وترك عليها ندوبا قد رُمّتْ على فساد، وسوء فهم مفضِيَيْن إلى اختلال المعاملات، كنتيجة حتمية لغموض واضطراب ما تقوله تلك الكلمات التي نُلْقيها جزافا من دون أن ندرك ضيْمَها وخَطَلَها على شاكلة هذه العبارة؛ التي توظف لفظة قرآنية في غير منزلتها ودلالتها التي ترتضيها: «لقد حوكم الظالم أمام الملإ» وهم يريدون أنه حوكم أمام الجمهور، أو أمام عامة الناس ورعاعهم. وهذا مخالف للصواب المراد، لا ترتضيه ولا تقبله لغة القرآن الكريم، الذي يُعدُّ الحافظ الأمين لعروة العربية الوثقى، لا انفصام لها، ولا تصحيف، ولا تحريف، مادام هو الضامن الذي يُقلِّد لغتنا الجميلة قلائد الفضل، التي تجعلها تجُرُّ أذيال الفخر على باقي اللغات وتخْرس شقاشِقها.

فعلى الرغم من إدراكنا أن دلالة الكلمة ليست ثابتة في كل الأماكن التي تستعمل فيها، ولا تختَصُّ بمعنى قارٍّ، لأن دلالتها تُحَدّد بضميماتها وعلاقاتها مع جاراتها من الكلمات التي تُغَيِّر أرْديّتها مثل الألفاظ الآتية التي استعملها القرآن الكريم بدلالات عديدة حسب سياق ورودها (قضى، وكلمة ، وروح، وقرن، وأمة...) فإن صيانة العربية وتنقيتَها من الشوائب، ومَعْيَرتَها حتى لا تنفلت الدلالة إلى حدود مارقة لم نسمع بمثلها في الأولين والآخرين، الذين يوزن لهم الرأي ويؤتَمُ بِهَدْيِهم، أنْهضَني إلى تخطئة هذه العبارة بالشواهد المُخْرسة التي لا تترك شعاعا من الحَمْلِ على أي مذهب تيْسيري على هذه الشاكلة:

لقد استعمل القرآن الكريم هذه اللفظة «الملأ – ملئه – ملئهم – ملأه» ثلاثين مرة تدل كلها على سادة القوم وخاصتهم من أهل المشورة، مثل قوله تعالى من سورة النمل آية ٣٢: ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي...﴾ وقوله تعالى من سورة ص آية ٦٩: ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ وقال ابن منظور في اللسان: «والملأ: الرؤساء، سموا بذلك لأنهم مِلاءٌ بما يحتاج إليه. والملأ، مهموز مقصور: الجماعة، وقيل: أشراف القوم ووجوههم ورؤساؤهم ومقدّموهم، الذين يرجع إلى قولهم... ويروى أن النبي ﷺ، سمع رجلا من الأنصار وقد رجعوا من غزوة بدر يقول: ما قتلنا إلا عجائز صُلْعًا، فقال عليه السلام: «أولئك الملأ من قريش، لو حضرت فِعالهم لَاحْتقرتَ فِعلكَ؛ أي أشراف قريش...»(١) الملأ إذن هم عِلْيَة القوم، والجمع أملاء. تأسيسا على هذه الشواهد التي تقطع دابر أي معترض، فإن العبارة الآنفة يجب طردها من حظيرة الفصحى لأنها تُدْخِل سوء الفهم إلى لغة القرآن. لذا يجب أن نستبدل بها العبارة الآتية إذا كنا نقصد حضور عامة الناس وجمهورهم: «لقد حوكم الظالم أمام الجمهور، أو أمام عامة الناس».

---

* جرادة العيار: العيار رجل مستعجل في أكل جرادة مشوية. ولما وضعها في فمه، أحرقته ثم طارت، فضرب به المثل.

١ – لسان العرب، أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري. المجلد الأول. باب الهمزة فصل الميم. ص ١٥٩. الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ ١٩٩٤، دار صادر بيروت.

رسالة إلى الريح الصقيع!

د. محمد بابا عمي - أكاديمي جزائري

ليلا نزلتَ..
عند اشتداد الظلمة حللتَ..
مع عواء الذئاب سريتَ..
وفي جحور الخفافيش انتشيت..
حملتُ ريشتي لأكتب لك «احتجاجا»،
أو بالأحرى، لأخطّ عنك «مرافعةً»..
فتصلّبت أصابعي بسببك..
أصلًا، كلُّ شيء يتصلّب في حضرتك..
ألستَ الذي تهجم على الأكواخ والبيوت والقصور، فتملأها حقدًا وحنقًا، فتغير قـــلـــب الـزوج على زوجته، وتنفّر الابن عن والده؟!
ألستَ الذي تيتّم الأيتام مرّتين، وترمّل الأرامل فتْرَتين.. فتزيد على حرمانهما حرمانًا أشدّ، ولا تبالي؟!
ألستَ مَن حوّلتَ وطننا «دشرةً» للمتصيّدين والعملاء، فأغريت البعض منّا على البعض الآخر، وسكبت روح الانتقام على القلوب، حتى بات الإخوة يكيدون لإخوتهم.. بلا حنوّ ولا رحمة؟!
لا تغترّ، أيها الريح الصقيع، فعمرك قصير وحُلمك حقير، وظهرك قصيم، وغدك جحيم..
مِن هنالك..
من فوق هضبة بلدتي..
من شامخ القمم..
من غَوَر القلب الرحيم..
من جذور الفكر الحكيم..
مِن هنالك.. يلُوح لي شعاعٌ من النور، ويلوّح لي طيف من الجنة، معلنا بأوضح عبارة: «نعم، أحلكُ وقت للظلام هو في الوقت نفسه بشائر أنوار الفجر. والليل يحمل جنين نور النهار، ويحمل بردُ الشتاء وثلجُه جنين الربيع»..
غدًا، ستشرق الشمس يا ولدي..
غدًا، سيعمّ الدفء يا بلدي..
غدًا.. هو لنا، هو خالصٌ للقلوب المؤمنة الضارعة، وهو رهنُ إشارة الأفئدة المفعمة بالحب والصدق والصفاء، إنه ملك «العقل والمعقولية» بلا منازع..
غدًا.. هو حاضنٌ للقرآن، معانق للإيمان، ملازم للبيان..
آه لو تعرفون.. آه لو تصبرون.. بضع ساعات فقط، لا أكثرَ.. سيحلُّ الفجر..
أجل، سيسود الفجر.. وإن يك فجرًا كاذبًا، فالفجر الصادق يعقبه.. لكنه لن يجيء أبدًا إذا أنتم استعجلتم وتهالكتم، لن يأتي أبدًا إذا أنتم تقاعستم وتكاسلتم..
أمّا إذا تشرنقتم وتمزّقتم، فسيعود الزمن إلى الوراء، وسيسير القهقرى؛ ويقينًا سيطول ليلكم، بل ليلنا.. وليلُ البشرية بقدّها وقديدها..
يا بطلَ الحقيقة، يا جيل الأمل، يا أحبتي.. يا شباب العشرة والعشرين حولًا.. باختصار، أنتم طيف الأمل، من مُهجكم سيغدو الليل قصيًا، وسيكون النهار دنيًا.. بكم فقط، لا بغيركم..
فلا تبدّدوا لحظة واحدة في التفاهات والسخافات والحماقات..
صِلوا الثانية بالثانية، والثالثة بالثالثة..
في نسج خيوط المستقبل، بلا توانٍ ولا تلكؤ..
ثقوا في أنفسكم، فنحن جميعنا ثقة فيكم..
لا تصغوا لمن سوّد خاطركم، ولا تكترثوا بمن وضع أمامكم علامة السلب «ناقص»، فلم ير فيكم سوى الخراب والسراب..
لا تبدّدوا.. صِلوا وثِقوا.. لا تصغوا

ولا تكترثوا.. لكن، ارحموا، ووقروا، واحترموا، فكلٌ ممن عاش قبلكم أحبّكم: حتى الذي سبّكم- يومًا- إنما فعل ذلك حبًا لكم؛ غير أنه لم يدرك ولم يع كيف يعبّر عن كوامنه.. أمن العقل أن تُردّ هديته على وجهه، حتى وإن جاءت نتة منتنة؟!

أيها الريح الصقيع.. خطابي لك كلماتٌ وعباراتٌ، وخطاب جيل البطولة سيكون بالعمل، وبالحركة، وبالإبداع، وبالتفاني.. سيكون كلامهم فعلاً، وفعلهم فعلاً.. وسيعلم الذين ظلموهم «أيّ منقلب ينقلبون».. بل سيقال لهم رغم أنفهم: «انتظروا إنا منتظرون»..

أيها الريح الصقيع.. لا تنتظر مني رسالة.. ولا احتجاجًا.. ولا مرافعة.. فقد ولّى «زمن التنديد»، ولن يعود.. بحول الله لن يعود.. ذلك أنّ الفعل غدًا هو الجواب، وشبابنا اليومَ هم فصل الخطاب..

أمّا أنا، فحسبي أني قرأت فجر هذا اليوم قوله تعالى ﴿ربُّ المشرق والمغرب لا إله إلاّ هو فاتخذه وكيلًا﴾، فجفّ حلقي، وهطل كالشلال عرَقي.. وقلت: «إذن، اللهُ تعالى، ينتظر مني اللحظة، أن أتخذه، وأجعله وكيلًا لي؟! لكن، ما بالي تردّدتُ، وما دهاني فسوّفت؟!»..

وحينها تجمّلت، وتشجّعت، فقلت: ياربّ، وكّلتك.. أنت وحدَك وكيلي.. أنت سبحانك حسبي.. اللهمّ اهزم بقدرتك الصقيع الذي أطال ليل أمّتي.. وابعث من جيل الأمل خالدا، وصلاح الدين، والفاتح.. آمين.. آمين.. آمين..

فاستغرقتُ في البكاء.. حتى غرقتُ في محيطات دمعي.. أملًا مشرقًا، وفجرًا جديدًا..

وقفتُ هناك في عرفة

نجاح عبدالقادر سرور- شاعر مصري

وقفتُ هناك في عرفة

أناجي الله في لهفةْ
دموعي كل عنواني
وأرجو العفو والرأفة

وقفتُ هناك في عرفة

رفعتُ إليه كَفّيّا
ودمعي ملء عينيّا
يزلزل بالهدى فيّا
وتاجي الطُهر والعِفة

وقفتُ هناك في عرفة

أطهّر ها هنا قلبا
أناجي بالتقَي ربّا
لساني لم يزل رطبا
بِذكر الله في أُلفة

وقفتُ هناك في عرفة

يطير القلب تَحنانًا
لكعبتنا وأقصانا
لِطيبةَ ثم قُدسانا
فؤادي صار في لهفة

وقفتُ هناك في عرفة

جعلت القلب لاثنين
فؤادي صار نصفَين
أرى في النصف حرَمَيْن
وفي الأقصى أرى نصفَهْ

وقفتُ هناك في عرفة

أنا الإسلام لي فَخري
نبيِّي سيد البشَرِ
وأنوار الهدى قصري
وديني البحر والضفّة

وقفتُ هناك في عرفة

أنا الإسلام ربّاني
على حُبٍّ وإيمانِ
ربيعي آيُ قرآني
وفِعْل الخير لي حِرفة

وقفتُ هناك في عرفة

بلاغة الإمتاع في الأدب الإسلامي القديم

عبداللطيف خروبة - أديب مغربي

لقد تعرض ديوان الأدب الإسلامي القديم إلى نوع من الإهمال والتهميش، فالعديد من النقاد والدارسين قديمًا وحديثًا انصبَّ اهتمامهم على الأدب في العصر الجاهلي والأموي والعباسي، ويقفزون على الأدب الإسلامي، وحتى حين يعرضون له فإنهم ينصرفون إلى جانب الإيقاع والمبنى ويتركون المعنى، لأنه في نظرهم لا يرقى إلى المستوى الذي عهدوه في الأدب الجاهلي والأموي والعباسي، فالمعْنى الذي كان يُؤخذ بعين الاعتبار عندهم هو المعنى الكاذب، ولذلك سادت عندهم مقولة: «أعذب الشعر أكذبه»؛ إلا أن المتأمل في معاني الأدب الإسلامي القديم يجدها عكس ما ذهب إليه أولئك، فهو أدب ممتع جميل.

وهذه المقالة تسعى إلى سبر أغوار بلاغة الإمتاع في معاني هذا الأدب، ممثلًا في الشعر الذي قيل في صدر الإسلام ، فما هي بلاغة الإمتاع؟ وما هي تجلياتها في معاني ومضامين أدبنا الإسلامي القديم؟

بلاغة الإمتاع هي التأثير الفني الجمالي الذي يخلفه النص الإبداعي في نفسية المتلقي وذوقه، وبلاغة الإمتاع لا تقوم فقط على أساس إثارة المتلقي عبر الانزياح، وخرق المألوف في اللغة على مستوى دلالة الكلمة أو التركيب النحوي والبلاغي أو الإيقاعي، وإنما تكون أيضًا على صعيد المعنى الذي يتضمنه النص في مختلف الأغراض والموضوعات.

إن تجربة الأديب الإسلامي القديم لم تكن تعاني نقصًا ولا ارتباكًا، لأنها تجربة تمتح من فيض الإسلام ونوره، فالدين الإسلامي فعل الحركة الأدبية عامةً والشعرية خاصةً، ذلك أن القرآن الكريم نقل الشعرية العربية إلى درجة راقية في الإبداع لم تكن من قبل، فالقرآن الكريم أنتج آفاقًا واسعة أمام الشعراء لإبداع كتابة شعرية جديدة تمتح من بيان ومعاني النظم الرباني (١)، وبذلك فإن المعاني الشعرية لها تأثيرها الجمالي ومتعتها، وهذه المتعة تتأسس على الإسلام وما جاء به من تعاليم ومفاهيم وتصورات جديدة مغايرة للمألوف، وما يحمله من رؤى جديدة إلى الكون والحياة، فالإسلام فتح المواهب المؤمنة الصادقة، المتحررة من قيود الجاهلية، في الإبداع الشعري.. فالحياة الدنيا عند الأديب المسلم أصبحت هينةً، والكون كله يسبح بحمد الله عز وجل، والجمال يتجلى حين ينفع الشعر في ردع قيمة رديئة، وحين يساعد على إبراز القيم الإنسانية والأخلاق الفاضلة، أو حين يعمل على نصرة العقيدة، فجمالية المعنى تتحدد فيما يتضمنه الشعر من قيم وآداب(٢)، وحين يصبح الشعر داعمًا للدعوة إلى الإيمان، ويمسك بيد الإنسان ليقوده إلى الحق والخير والنور.

إن الأدب الإسلامي ممتع في كل أغراضه وموضوعاته ومعانيه، فهو من الجوانب المهمة التي تحصل بها بلاغة الإمتاع، ذلك أنه يحمل الروح الإبداعي وجوهره(٣).. فبالنظر إلى الفخر نجده خاليًا من الوهم والخيال والادعاء، يقول الشاعر حسان بن ثابت رضي الله عنه مفتخرًا بقومه الذين فضلوا اتباع الهدى الذي جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام، وأنهم يطيعون أوامره وينتهون عما نهى عنه، ولا يعترضون عليه أبدًا:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم
قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته
تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا

إنهم جادون في نصرة النبي ﷺ في كل الظروف والأحوال

أعطوا نبي الهدى والبر طاعتهم
فما ونى نصرهم عنه وما نزعوا(٤).

وهذا كعب بن مالك يفتخر باتباع قومه الأنصار أوامر النبي صلى الله عليه وسلم، وأنهم يجاهدون تحت لوائه غير مبالين بالعدو، جاعلين من أجسامهم حصنًا منيعًا له

وفينا رسول الله والأوس حوله
له معقول منهم عزيز وناصر
وجمع بني النجار تحت لوائه
يمشون في الماذي والنقع ثائر(٥).

ومن الأبيات الجميلة في الفخر هذه الأبيات التي أنشدها عبدالله بن رواحة بين يدي النبي ﷺ، فابتسم عليه الصلاة والسلام عند سماعها:

نجالد الناس عن عرض فنأسرهم
فينا النبي وفينا تنزل السور
وقد علمتم بأنا ليس غالبنا
حي من الناس إن عزوا وإن كثروا
يا هاشم الخير إن الله فضلكم
على البرية فضلاً ما له غير(٦).

أما المديح فإن ما يميزه عن الشعراء الإسلاميين الأوائل هو خلوه من الكلام المغلوط، أو بما لا ينطبق على الممدوح، فقد كان مديحًا حافلاً بالمعاني السامية والصفات السمحة وخاصة إذا تعلق الأمر بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم، يقول حسان بن ثابت مادحًا قومه الأنصار الذين اجتمعوا تحت قيادة النبي ﷺ في الوقت الذي تفرق الناس وراء الأهواء المختلفة:

أكرم بقوم رسول الله قائدهم
إذا تفرقت الأهواء والشيع
أهدى لهم مدحتي قلبٌ يؤازره
فيما يحب لسان حائك صنع (٧)

ويقول مادحًا خير البرية معتبرًا ما يقوله من أحكام لا يمكن رده بأي حال من الأحوال، لأن كلامه ينور العباد:

مباركٌ كضياء البدر صورته
ما قال كان ضياء غير مردود (٨)

وما قيل عن المدح والفخر يمكن أن يقال عن الهجاء، فالشاعر الإسلامي لم يستعمل المعاني الساقطة ولا الأوصاف التي لا وجود لها في الشخص الذي يهجوه، يقول كعب بن مالك في هجاء بني النضير يوم أجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة لما خانوا عهده وغدروا به:

لقد خزيت بغدرتها الحبور
كذلك الدهر ذو صرف يدور
وذلك أنهم كفروا برب
عزيز أمره أمر كبير (٩)

ويعتبر الشاعر ذلك جزاءً مناسبًا لهم، لأنهم خانوا خير البرية، وهذا كلام حق لا كذب فيه ولا مبالغة ولا بهتان:

فلما أشربوا غدرًا وكفرًا
وحاد بهم عن الحق النفور
أرى الله النبي برأي صدق
وكان الله يحكم لا يجور(١٠)

وهذا حسان يهجو أبا سفيان قبل إسلامه، بعد أن هجا النبي عليه الصلاة والسلام، وأعلن الحرب ضده، ويصفه بالخواء الروحي، وهذا يجعله لا يساوي شيئًا، عديم الوزن والقيمة:

ألا أبلغ أبا سفيان عني
فأنت مجوف نخب هواء
هجوت محمدًا فأجبت عنه
وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء
فشركما لخيركما الفداء (١١)

الرثاء: إن الرثاء تعبير عن الحزن فالعين تدمع والقلب يخشع ولكن من غير لطم الخدود، ولا شق الثياب أو ضرب الرؤوس كما كان يفعل الجاهليون، وقد خص الشعراء في عصر صدر الإسلام برثائهم رسول الله بعد وفاته، والصحابة رضوان الله عليهم، وكذا ذويهم وأهاليهم وخاصة المؤمنين منهم، يقول كعب بن مالك يرثي حمزة بن عبدالمطلب وقتلى غزوة أحد، مشيدًا بأخلاقه النبيلة، ويبشره بمصيره في الجنة، جزاء الصبر وطاعة الرسول، فالحياة ليست ضيقة كما يراها الجاهليون، وإنما صارت واسعة رحبة، وهذا لا يدركه إلا المؤمن بالله:

فقلبك من ذكرهم خافق
من الشوق والحزن المنضج
وقتلاهم في جنان النعيم
كرام المداخل والمخرج (١٢)

وهذا عبدالله بن رواحة يرثي حمزة الذي كان لاستشهاده في غزوة أحد، وقع شديد على نفس النبي صلى الله عليه وسلم، ويرى أن موته فاجعة أصابت المسلمين جميعًا، ويذكر خلاله الحميدة رضي الله عنه:

بكت عيني وحق لها بكاها
وما يغنى البكاء ولا العويل
على أسد الإله غداة قالوا
أحمزة ذاكم الرجل القتيل؟
أصيب المسلمون به جميعًا
هناك وقد أصيب به الرسول(١٣)

ويدعو له بالجنة ويواسي الرسول عليه الصلاة والسلام في هذا المصاب الجلل، لأن الموت فرض على كل إنسان، وهو قضاء لا راد له، ولا شيء أمام المسلم إلا التسليم للقضاء:

عليك سلام ربك في جنان
مخالطها نعيم لا يزول
ألا يا هاشم الأخيار صبرًا
فكل فعالكم حسن جميل(١٤)

وللمرأة المسلمة مساهمات شعرية تتميز بجمال معانيها في هذا الباب، فهذه صفية بنت عبدالمطلب ترثي أخاها حمزة رضي الله عنه، ورغم الحزن ولوعة الفراق، تبدو راضية بالقضاء، بل ترى في شهادته عزًّا وتفوقًا، لأن المسلم طالما يتمنى الشهادة في سبيل الله، ويناضل من أجلها، لما فيها من الأمن والاستقرار في الآخرة:

فقال الخبير إن حمزة قد ثوى
وزير رسول الله خير وزير
فذلك ما كنا نرجي ونرتجي
لحمزة يوم الحشر خير مصير(١٥)

إن أجود الرثاء ما كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رحيله إلى جوار ربه، فالمسلمون لم يقدروا على فراقه، فالعيون فارقها النوم، والقلوب غادرها الصبر، يقول حسان بن ثابت:

ما بال عيني لاتنام كأنما
كحلت مآقيها بكحل الأرمد
جزعًا على المهدي أصبح ثاويًا
ياخيرمن وطئ الحصى لاتبعد(١٦)

ويتمنى لو أنه لم يولد، لأنه لا يطيق فراق الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام، كما لم يطقه كل الصحابة:

أأقيم بعدك بالمدينة بينهم
يا لهف نفسي ليتني لم أولد (١٧)

إن فقد النبي ﷺ لم يكن سهلاً على الصحابة رضوان الله عليهم، لأنه كان نورًا وهدى ينير الأرض ويهدي أهلها إلى الحق ويدعو ربه عز وجل أن يجمعه بالنبي والمؤمنين في جنة النعيم:

يارب فاجمعنا معًا ونبينا
في جنة تنبي عيون الحسد (١٨)

ورغم هول الصدمة، وعظمة المصاب فإن الشاعر لا ينسى الصلاة على الرسول عليه الصلاة والسلام، لأنها أمر من الله عز وجل، والمؤمن يزداد بها منزلة وأجرًا عند الله تعالى:

صلى الإله ومن يحف بعرشه
والطيبون على المبارك أحمد (١٩)

إنه رثاء يحمل معاني سامية، يجعل المتلقي يستمع لهدير النهر الشعري الذي يجري بين الكلمات والحروف والعبارات، ويدفع إلى استحضار عظمة النبي صلى الله عليه وسلم، ومكانته بين الصحابة رضي الله عنهم، والأمجاد التي حققها المسلمون بقيادته.

وهكذا يتضح أن الأدب الإسلامي القديم أدب في غاية الجمال، لأنه يقوم على الأسس الجمالية لهذا الدين، يمتع المتلقي بالمعاني التي تكمن بين طياته، لأنها معانٍ صافية في كل أغراض الشعر، مباحةً لا تخالف التصور الإسلامي، خالية من العصبية المقيتة، ومن النزعة الفردية، ومن الكذب والمراوغة، وتزوير الحقائق.

إنها معان تتميز بالصدق والتمسك بالحق، وبذلك خرج من ضيق الجاهلية إلى سعة الإسلام، ومن العبث والغوغائية إلى الجد، وهذا ما لم يلتفت إليه كثير من النقاد والدارسين قديمًا وحديثًا، وهو في كل ذلك لم يفقد رواءه وجماله، فصار أدبًا رفيعًا، وحاز بذلك قصب السبق، فهز نفوسًا أكثر مما هزها الشعر الجاهلي أو غيره، مما لا ينكره الدارس المحايد والناقد الموضوعي.

الهوامش

١- دراسات أدبية ونقدية ص٥٨ د.جميل حمداوي. ط١ مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ٢٠٠٧

٢- الشعر العربي القديم.. رؤية إسلامية. حميد سمير. كتاب دعوة الحق، العدد ١٣ ط٢٠٠٢ المغرب.

٣- رسالة الأدب والشهود الحضاري ص١٠٩، منشورات المشكاة ١٩٩٥ المغرب.

٤- ديوان حسان بن ثابت ج١ ص١٠٢ تحقيق د. وليد عرفات، ط دار صادر بيروت لبنان.

٥- السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٧١٣ ط١ دار صبحي بيروت لبنان ٢٠٠٧ .

٦- العصر الإسلامي شوقي ضيف، ص٤٩ ط دار المعارف مصر.

٧- ديوان حسان ج١ ص١٠٣ .

٨- نفسه ص١٢٨ .

٩- -١٠- السيرة النبوية ج٣ ص٨٨٠ .

١١- ديوان حسان ص١٨-ج١

١٢- السيرة النبوية ج١ ص٨٣١ .

١٣- -١٤- نفسه ص٨٤٧ .

١٥- نفسه ص٨٥٢ .

١٦- -١٧-١٨-١٩- ديوان حسان ج١ ص٢٦٩

حمد الرومي في ذمة الله

توفي إلى رحمة الله تعالى يوم الأربعاء ٢٠١٢/٩/٦م الشاب/ حمد سليمان خالد الرومي نجل سكرتير التحرير عن عمر يناهز العشرين عامًا ، حيث ولد حمد في يوم ١٩٩٣/٧/٧م، وكان قبل وفاته طالبًا بكلية الآداب بجامعة الكويت، وعرف بنشاطه في المجال الصحفي والاجتماعي، حيث عمل في نادي الارتقاء الصحفي بجمعية الإصلاح الاجتماعي، وكان يحرر باب (المحرر الصغير) بمجلة براعم الإيمان التي تصدر مع مجلة الوعي الإسلامي، وشارك في العديد من الفعاليات التي أقامتها المجلة وكان آخرها زيارة أقسام الأطفال في المستشفى الأميري وتوزيع الهدايا على المرضى، وشارك حمد أيضًا في العديد من الفعاليات الإسلامية الدعوية ومنها مشاركته في نصرة النبي ﷺ بعد نشر الرسوم المسيئة في الدنمارك، ويذكر أقرانه وأصحابه من خلال حساباتهم على تويتر أنه يرحمه الله كان بارًا بوالديه وأقاربه حريصًا على التواصل الاجتماعي مع أصحابه وأقرانه، ودائم العمل على تطوير نفسه فحصل على شهادة مدرب معتمد في التنمية البشرية قبل وفاته.

تتقدم أسرة التحرير في مجلة «الوعي الإسلامي» ومجلات «الوعي الشبابي» و«براعم الإيمان» بخالص التعازي لسكرتير التحرير سليمان خالد الرومي لوفاة نجله حمد، داعين المولى عز وجل أن يتغمده بواسع رحمته وأن يلهم أهله وذويه الصبر والسلوان.

و«إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ».

.. والزميل الفخراني في رحاب الله

فقدت الصحافة العربية عامة ومجلة «الوعي الاسلامي» خاصة أحد أبنائها العاملين في قسم التحرير الزميل رضا السيد الفخراني الذي وافته المنية يوم الأربعاء ٦-٩-٢٠١٢م في أحد المستشفيات بمصر عن عمر يناهز٥١ عامًا بعد صراع مع المرض استمر لأشهر عدة.

والفقيد الفخراني من مواليد العام١٩٦١م وحاصل على الإجازة في اللغة العربية من جمهورية مصر العربية، وقد بدأ حياته المهنية في الكويت مدرسًا للغة العربية، ثم عمل في مجال الصحافة متنقلًا بين عدة وسائل إعلامية كويتية حتى استقر في العمل لدى جريدة «الجريدة» مراجعًا للصياغة، وفي وكالة الانباء الكويتية «كونا» محررًا في النشرة المحلية، بالإضافة إلى مشاركته بشكل جزئي في مجلة الوعي الاسلامي كمحرر ديسك.

وكان الفخراني يعاني من مرض عضال في الكبد ألزمه البقاء في أحد المستشفيات المصرية لفترة، حيث خضع لعملية جراحية، إلا أن الآلام ما لبثت أن عاودته من جديد، وقد قضى الأشهر الأخيرة من حياته متنقلاً بين مصر والكويت.

وكان الفقيد بالرغم من مرضه الشديد مؤمنًا بقضاء الله راضيًا به مطمئنًا حسن الظن في ربه بل كان يتمتع بروح عالية من الدعابة، لم تغب عنه حتى في أحلك أيامه مما أكسبه احترامًا وحبًا وإشادة من الجميع.

وتتقدم أسرة التحرير بأحر التعازي لأسرة الفقيد سائلين الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته ويلهم ذويه الصبر والسلوان.

و«إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ».

ثلاثون عاما من العمل الثقافي في الشارقة

حصاد السنين..

التحرير

يواصل عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي الإبحار في العمل الثقافي من خلال صفحات كتابه الجديد «حصاد السنين.. ثلاثون عامًا من العمل الثقافي في الشارقة» الصادر عن «منشورات القاسمي»، والذي أعلن عنه في الدورة الثلاثين لمعرض الشارقة الدولي للكتاب، ذلك ليسلط الضوء على مشوار ثقافي طويل، ينطوي على مشروع ثقافي، يستمد رؤاه من وحي الموروث المحلي المفتوح على المنتج الثقافي الإنساني.

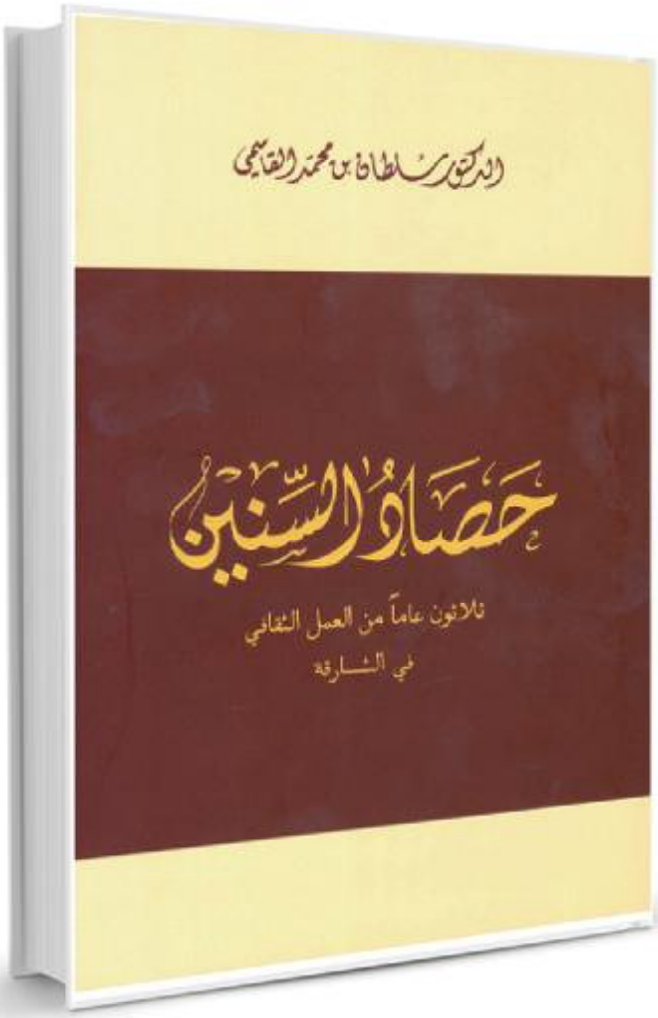

مشروع ثقافي يستعرض د.القاسمي ملامحه ومحطاته الرئيسية من خلال٤٢٣ صفحة من القطع المتوسط، تدعو القارئ إلى القيام بجولة عبر ثلاثين سنة من العمل الثقافي الجاد والشامل.. الذي يشمل مختلف مناحي الحياة الثقافية والفنية في الشارقة بامتداداتها الطبيعية الوطنية والعربية والعالمية، وذلك استجابة لرؤية المؤلف، التي تقوم على مقولة أن الفعل الثقافي إنساني بطبعه وفطرته السليمة، ولا يقف عند حدود قومية أو عرقية أو دينية بعينها، وربما لهذا السبب جاءت فصول الكتاب الخمسة والثلاثين بلا عناوين، بالمعنى التقليدي المعهود، بل عمد المؤلف إلى متتالية الزمن، كي تأخذ النصيب الأوفر حظًا في تقسيم هذه الفصول حسب السنين، وتعاقب فصول المشروع الثقافي في الشارقة عليها، بدءًا من عام ١٩٨٣ حتى عام ٢٠١١م.

بناء مجتمع

الخيط المنهجي البادي بوضوح

في مسيرة المؤلف ومؤلفه (حصاد السنين) يبدو جليًّا من خلال ربط المشروع الثقافي، الذي يشتغل عليه د.القاسمي بلا كلل أو ملل، منذ أن كان طالبًا في القاهرة وحتى الآن، لا يتوقف عند مظاهر الحياة الثقافية في البلاد، بل يطول كنه هذا المشروع ومصدر مشروعيته ومبتغاه متمثلًا بالمجتمع عمومًا وبفئة الشباب فيه على وجه التحديد، حيث تطالعنا أولى كلمات الكتاب بالعبارات التالية: «في بداية سنة ١٩٦٧، كنت أعكف على وضع خطة مدروسة لإعادة الشباب إلى الاهتمام بمجالات الثقافة، وقد عزمت أن أولي الثقافة والآداب والفنون اهتمامًا بالغًا في المرحلة التالية»، كما يظهر هذا الاهتمام بقطاع الشباب في مواقع عدة من الكتاب كأن يقول الدكتور القاسمي: «أعربت عن أملي في أن يتجاوب شباب المنطقة مع طموحاتي نحو خلق قاعدة ثقافية تشمل الآداب والفنون، وهدم التمادي في مجال البحث عن الأرباح والثروة، متجاهلين أهمية الثقافة.. وأنه لابد من السمو بالروح، وبنائها بالثقافة والفنون».

لغة سردية

الارتقاء بروح الانسان من خلال الثقافة والفنون وبها.. مقولة تتحول في حالة مشروع د.القاسمي الطموح إلى مشروع عمل يغص بالنشاطات والمبادرات والأفكار التي رأى الكثير منها النور، ومنها ما ينتظر، وما حاد صاحبها عن الطريق الذي خطه لنفسه ولمجتمعه قيد أنملة، لا، بل إن هذه الطريق تتعبد كل يوم بمزيد من هذه المبادرات والفعاليات، التي يستعرضها المؤلف بصورة متأنية في كتابه، ويأتي على ذكر تفاصيلها بلغة سردية مشوقة، ومن بينها المعرض الأول للكتاب في الشارقة، الذي أقيم لأول مرة في الثامن عشر من يناير سنة ١٩٨٢ بمركز «اكسبوا الشارقة»، وافتتحه د.القاسمي بنفسه في تقليد لا يزال مستمرًّا حتى يومنا هذا.

إن أوجه الحياة الثقافية بمختلف إشراقاتها في الشارقة والإمارات هي محور «حصاد السنين» ولها تعود البطولة في كل صفحة من صفحاته، التي يبدو حرص مؤلفها جليًّا عندما يتعلق الأمر بنقل صورة المشهد الثقافي في الشارقة، على مدار العقود الثلاثة الماضية، مشرقة كما هي للعالم بعيدًا عن أي تزويق، حيث يمضي المؤلف بسرد وقائع الفعاليات الثقافية التي شهدتها الإمارة، والقرارات التي اتخذها بهذا الشأن، والتصورات التي كانت مجرد أفكار تدور بخلده وشقت طريقها إلى حياة الناس وأصبحت جزءًا منها، بعد أن أطلق د.القاسمي مقولته الشهيرة التي يوردها في مقدمة كتابه والتي تقول: «إنه قد آن الأوان لوقف ثورة الكونكريت في الدولة لتحل محلها ثورة الثقافة».

وتوجز خاتمة الكتاب كل ما ورد فيه، حيث يؤكد أن «من يقرأ هذا الكتاب سيجد أن ما ذكر فيه هي الأنشطة الثقافية المميزة فقط، التي تؤسس مباشرة على الفعل الثقافي، مع وجود مئات من الأنشطة، من شعر ورواية وقصة، ومعارض فردية وجماعية للفنون التشكيلية، لعرب وأجانب، ومسرحيات عربية وأجنبية، يتكامل فيها مشروع الشارقة الثقافي»، الذي أنجز خلال ٣٠ عامًا، من ثلاثة أنشطة إلى ألف وستمائة نشاط في السنة.

د.القاسمي في سطور

- حاكم إمارة الشارقة، الإمارات، منذ عام ١٩٧٢.
- عضو المجلس الأعلى لاتحاد دولة الإمارات، منذ عام ١٩٧٢.
- بكالوريوس في العلوم، تخصص الهندسة الزراعية، كلية الزراعة، جامعة القاهرة، مصر، ١٩٧١.
- دكتوراه الفلسفة في التاريخ بامتياز، جامعة إكسيتر، المملكة المتحدة، ١٩٨٥.
- دكتوراه الفلسفة في الجغرافيا السياسية للخليج، جامعة درم، المملكة المتحدة، ١٩٩٩.
- الرئيس الأعلى لجامعة الشارقة منذ عام ١٩٩٧.
- الرئيس الأعلى للجامعة الأميركية في إمارة الشارقة منذ عام ١٩٩٧.

مؤلفاته

«أسطورة القرصنة العربية في الخليج»، و«الاحتلال البريطاني لعدن»، و«الخليج في الخرائط التاريخية». والأعمال المسرحية مثل «عودة هولاكو»، و«القضية»، و«الواقع صورة طبق الأصل». وكتب السيرة مثل «سرد الذات»، و«حديث الذاكرة»، و«حصاد السنين».

أرجوزة البليدي المالكي في أحكام الحضانة

تأليف : محمد بن محمد بن محمد الحسني التونسي المالكي المعروف بالبليدي (1096- 1176هـ)
تحقيق : صالح بن محمد بن عبدالفتاح

يقول راجي عفو ربٍّ مالكِ ... محمدُ الأندلسيُّ المالكي
الحمد لله وصلَّى ربُّنا ... على النبيِّ العربيْ شفيعِنا
محمدٍ وأنبيا الرحمنِ ... ومَلَك(١) وتابعِ العدنان
وبعد فالقصد بيان الحاضن ... مرتبا مع شرطه المعاين

مراتب الحضانة

فالأمُّ ثم أمُّها في النسب ... فجدةُ الأمِّ لأمٍّ فأبِ
ما لم تكن قربى فتلك اللَّذْ تؤم ... فخالةُ الطفل لأبوين فأمّ
دون التي للأب في المفتى به ... فخالةُ الأم كذا فانتبه
فعمةُ الأم تليها الجدة ... مُنح من رب العباد عِدّة
للطفل من أب فجدةُ الأب ... كما تقدم من هناك فاطلب
فالأبُّ ثم بعده الشقيقه ... ثم التي للأم(٢) بالحقيقه
لا حضن لاخت لأب(٣) وكذا ... أخ لأب عندنا في محتذا
ولهما في ظاهر المدونه ... عن(٤) ابن ناجي يا أخي مدوّنه
ثم يلي في الحضن أختُ الأب ... فعمةُ الأب فكن ذا طلب

فخالةٌ له فبنتُ الأخ أو ... لاخت أو الأكفا ثلاثة رووا
ثم وصيٌّ مطلقًا ولو ذكر ... لمحرم ومثلُها ذات صغر
أخٌ شقيق فلأم(٥) ثم جدّ ... لغير أم وله فلا تعد
وعده اللخمي ذا بيان ... ثم ابنُ أخٍ يا ذوي العرفان
هل جدٌّ اعلا داخل فيما مضى ... أو لا احتمالان كما للمرتضى
إمامنا الحبر ابن رشد ولهم ... في الجد الاعلى بحث إن كان لأم
فالعم فابنه فمولىً اعلا ... فأسفل وأسقطنّ الخالا
مع كون أمّ هاهنا قد غلّبوا ... لبُعْد ذا قد أسقطوا لا تعجبوا
كذاك أسقطَنّ بنتَ العمّ ... وبنتَ عمةٍ مزال الهمّ
وعمة لجدة وخاله ... لها كذاك ثم بنت الخاله
نحو ثلاثٍ وثلاثين من الـ ... مراتب الغر فقد نلت الأمل

شروط الحضانة

وشرط حَضْنٍ عقلٌ ذي كفاية ... أمانةٌ حِرْزُ مكانٍ غايه
حضان ذي رشد وإلا فكذا ... إن كان ذا ولاية فحبذا
سلامةٌ من عادي الأمراض ... عُرفًا منحت مُتَرَع الحياض
بلوغ ذي الحضن كذا الإسلام ... لا يشترطه عندنا الإمام

شروط الحضانة

وإن يسافر عاصب ومن له ... ولاية المال كما قد نبّهوا
ستّ بُرودٍ وهو حرٌّ مَأْمَنُ ... طريقُه بلدتُه اللذْ يسكن
ولم يكن مساويًا في الدرجه ... له مع الأم رقيت الدرجه
ولم تسافر معه فإنها ... تسقط عنها وتفارق ابنها
حديثه صلى عليه ربي ... قد خص منه ذا لحفظ النسب

وغـيـر أنـثـى مـحـرمًـا مـطـيـقـة ... ولـو أمـيـنـا فـزت بـالـحـقـيـقـة
ومـطـلـقًـا يـلـزمـه مـن يـكـفُـل ... لازلـت فـي الـعـلـم مـجـيـدًا تـفـضُـل
لا حـضـن يـا صـاحِ لـزوجـة بَـنَـت ... بـغـيـر مـحـرم لمـن قـد حـضـنـت
أو أهـل حـضـن أو ولـي المـال ... وإن يـكـن ذا فـلـهـا فـي الحـال
مـا لـم يـك المحـضـون أنـثـى وتـعـد ... إن قـالـت المـرضـع غـيـرهـا يـرد(٦)
أو يـك رقًّـا طـفـل أو ذو كـفـل ... يـكـون بـالحـضـن قـلـيـل الـشـغـل
أو يـسـكـتْ سـنـةً مـن عِـلْـمِـه ... حُـكْـمًـا دخـولًا أحـسـنن بـنـظـمـه
ولـن يـعـود حَـضْـنُـهـا إذا خـلـت ... عـن زوجـهـا مـا لـم تـكـن قـد جـهـلـت
كـذاك إسـقـاط بـغـيـر عـذر ... مـن مـرض أو سـفـر فـلـتـدر
وبـعـد عـام مـعـه أو لـم يـهـن فـراق ... مـحـضـون لـشـخـص أن يـضـن
وحـيـث مـاتـت جـدة وأم ... خـالـيـة فـحـضـنـهـا يـؤم
كـذاك أنـثـى حـضـنـهـا لـم يـكـن ... قـبـل زواج فـحـري وقـمـن
إلـى الـبـلـوغ الحـضْـن يـبـقـى لـلـذكـر ... إلـى دخـول الـبـيـت مـن غـيـر ضـرر
فـهـاك خـمـسـيـنَ مـن الأبـيـات ... نـرجـو بـهـا الخـتـم عـلـى الـثـبـات
ثـم صـلاةٌ وسـلام الـلـه ... عـلـيـك دومًـا(٧) يـا عـريـض الجـاه
وآلِـك الـغـرِّ الـكـرام الـبـرره ... وصـحـبِـك المـنـتـخـبـيـن الخـيـره
مـا عـيـس حـادٍ طـربـت وحـنـت ... سـاجـعـةٌ وذات شـجـن(٨) حضنت

الهوامش

(١) في (ب): ومالك.
(٢) في (ب): للأب وهو خطأ.
(٣) في (ب): للأخت للأب.
(٤) في (ب): عند.
(٥) في (أ): فلأخ وهو خطأ والمثبت من (ب).
(٦) في (ب): ترد بالتاء.
(٧) في (أ): دوامًا والمثبت من (ب).
(٨) في (ب): شاج.

التربية .. وسلوكيات الناشئة

الزبير مهداد - كاتب مغربي

يحتاج الطفل فترة حضانة طويلة نسبيًا، تلزم الوالدين والقائمين عليه بإحاطته بكل ما يساعده على النمو جسميًا وعقليًا واجتماعيًا، ومن خلال التفاعل الذي يتم بين الطفل والمحيطين به، يأخذ نموه الاجتماعي مساره في إطار ثقافة معينة، متميزة بلغتها وقيمها ومعاييرها السلوكية. وهذه المضامين اللغوية والقيمية والسلوكية تكسب الطفل خبرات اجتماعية تساعده على تحقيق تكيفه وإحساسه بالأمان والاطمئنان وسط جماعة يشعر بانتمائه إليها وتماثله معها [١].

في هذا المحيط المنزلي، وفي فترة الطفولة خاصة، تتشكل شخصيات الأفراد وتتحدد سماتها. فالشخصية هي النتاج النهائي لمجموع السمات والعادات التي تميز الفرد، وهي كما تظهر لدى الفرد لا تشكل جانبًا واحدًا من جوانب بنائه النفسي، ولكنها الصورة المتكاملة في البناء. والتنشئة الاجتماعية تجعل جوانب البناء تبدو في صورة متكاملة، وتجعل سمات الشخصية تعبر عن ثقافة معينة، أي إن صفات وخصائص معينة تظهر عند الفرد فتجعلنا ننسبه إلى أمة معينة، فهناك محددات اجتماعية تعطي الشخصية خصائصها المعينة التي لا تطمسها التغيرات التي تطرأ عليها.

شخصية مواطنينا سلبية ومأزومة

إن الشخصية على المستوى الفردي نتاج اجتماعي، والجانب الاجتماعي يشكل النواة التي ينهض على أساسها بناء الطابع الذي يشترك فيه غالبية الأفراد المنتمين إلى ثقافة ما[٢].

فما هي الثقافة التي تعبر عنها سمات الشخصية في مجتمعاتنا العربية الإسلامية اليوم؟ إنها شخصية توصف بالوصولية والانتهازية، متذبذبة القيم غير ملتزمة دينًا، تقدس الثروة، ولا تتورع عن

الانغماس في الفساد الخلقي والسياسي، بدون طموح علمي ومفتقرة لروح المبادرة الأدبية والثقافية، جاهلة متعصبة، تغيب قيم التسامح والحوار، وقيم التضامن والتكافل والإخاء، مع إحساس بالاغتراب النفسي والثقافي، وغير ذلك من السمات التي يمكن التقاطها بسهولة من الدراسات النفسية والاجتماعية التي تزخر بها الكتب والمجلات الأكاديمية، وتدل بصدق على أن مجتمعنا قد أصبح بلا هوية ولا شخصية حضارية، وأنه يعيش أزمة حضارية أفقدته بوصلته، وأصبح الناس تائهين تابعين مقودين، والواقع الذي دعي المواطن العربي المسلم إلى الاستغراق فيها بعيد عن قيم الثقافة العربية الإسلامية وخصائصها ومبادئها.

يصف أحد الباحثين هوية المواطن العربي بأنها متذبذبة متصدعة متأزمة التركيب، والمواطنون غير مؤهلين للإسهام في تنمية مجتمعاتهم وغير قادرين على رفع التحديات التي تواجههم على المستوى الحضاري[٣] ويضيف هذا الباحث بأن التركيبة النفسية والاجتماعية للمواطنين تحمل كثيرًا من الصفات أغلبها سيئ سلبي، ويرجع الباحث أسباب هذه الوضعية إلى نظام التنشئة الاجتماعية التي تكتسي صفة خاصة بحكم انتمائنا لمجتمع خضع منذ عقود من الزمن لمجموعة من التحولات في أنماط قواعده الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، مما حدا به إلى التعامل مع المعطيات الحضارية بنوع من التشتت والقلق وصعوبة بناء نسق تربوي جديد يمكنه من السير قدما نحو الأهداف المبتغاة[٤].

لقد أهدرت المعاني الدينية وابتعد الإنسان عن القيم النبيلة والتعامل الاجتماعي القويم، فدبت المصلحة الشخصية الفردية والأنانية والابتعاد عن روح الجماعة، وانتشرت آليات التعاملات التجارية والمادية إزاء انحسار القيم الاجتماعية والسلوك السوي الذي يتفق مع التوجهات القيمية للدين في بناء المجتمعات الإنسانية. بالرغم من المكانة البارزة التي احتلتها الأديان في تاريخ

البشرية، والدور المهم الذي لعبته في بناء الحضارات وتعبئة البشر في سبيل إنجاز المهام الكبرى التي لا يمكن أن يتأتى للبشرية إنجازها بمعزل عن التدين[٥].

طرق تنشئة خاطئة

إن طرق التنشئة الاجتماعية للأفراد تمثل دورًا سلبيًا في تعيين نوعية الشخصية وفي تركيب الهوية من حيث ارتباطها بالبنية الاجتماعية للعائلة وبأنماط التفاعل المتأزم مع المحيط، أزمة الهوية التي اعترتنا نتجت بلا ريب عن آثار التحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية التي عاشها العالم منذ الحرب الكونية الأولى والتي أخضعت دولنا قسرًا لهيمنة الثقافة الغربية وأجهزتها العسكرية وأنظمتها الاقتصادية والتي تختلف اختلافًا كليًا عن قيمنا وثقافتنا، فأزيح الدين من حياتنا واستبدلت قيمنا الأصيلة بقيم غير ثابتة وغير واضحة، وكانت النتيجة هذه الهوية المتذبذبة والمتأزمة وهذه الشخصية السلبية الانعزالية.

إن عيوبا تعانيها مجتمعاتنا تشكل أسباب أزمة عميقة ومنبعًا لأخطاء فادحة، والخروج من الأزمة يتطلب عملًا واضح المعالم لإعادة تثبيت الهوية الإسلامية في الأفراد ولإعادة تشكيل الشخصية المسلمة وبناء الأفراد والمجتمعات على أساس إسلامي.

لاشك أن السرعة في التغير الاجتماعي وتواتر الأحداث وقوتها كان لها أثر في خلخلة البناء الاجتماعي وزحزحة مكانة الدين في هذا البناء، وأحدثت انقلابات جذرية في المجتمعات مست القواعد الدينية والقيم المجتمعية وكل ما يتصل بالتنظيم الاجتماعي؛ بالرغم من أن الدين ظل يشكل أحد أهم الركائز لدى الإنسان منذ قيام البشرية إلى الآن. مما يستدعي بإلحاح النظر في مكانة الدين لتنظيم حياة الناس وإضفاء حال الطمأنينة والسكينة التي افتقدوها.

تذبذب قيمي

في المجتمع، في كل مؤسساته الفرعية، يجب أن تسود القيم المستمدة من الإسلام ومعانيه السامية وتقاليده الراسخة العريقة والعادات التي تستلهم التراث الأصيل، وداخل الأسرة، وهي أهم المؤسسات الاجتماعية الفرعية، يجب أن تسود المعايير الثقافية المتماثلة مع معايير المجتمع، لأن الوسط العائلي يعتبر أحد أهم محددات سمات شخصيات الأفراد وملامح هويتهم، لأن تنشئتهم تتأثر بعناصره ومكوناته وظروف أهله وقيمهم واتجاهاتهم، فحين توجد معايير ثقافية

متماثلة داخل ثقافة معينة تتصل بأساليب تنشئة الفرد، فإنه من الممكن القول بأن تلك المعايير سوف تخلق أساليب مشتركة للاستجابة، تعد مسؤولة عن القدر المشترك من السمات الأساسية بين أفراد المجتمع الواحد أو أفراد الثقافة الواحدة(٦) وسيوجد إذ ذاك فهم مشترك بين فئات المجتمع وإطار عام للقيم التي ينبغي التزامها بما يحقق غايات المجتمع في بلوغ النهوض الحضاري وفق أسس واضحة(٧).

إننا نضبط سلوكنا على ضوء القيم، فكلما كانت هذه القيمُ واضحةً، كان ممكنا توقُّعُ نوع السلوك والتنبؤ به، فالفرد قادر دومًا على تعزيز مكانة القيم، وجعل دوافعه الداخلية ووعيه وإدراكه الأخلاقيّ، أساسَ استجابته السلوكية وضابطَ تفاعله الاجتماعيّ.. فالحكمُ الخلقي واتخاذ القرار متأصلان في قدرة الإنسان على التقييم.

هذا لا يعني أن جميعَ القيم التي قد يحملها الناشئة داعمةٌ للحياة، إذ يمكن التمييز بين نوعين من القيم، فهناك قيم تُدمّر الإنسانَ من الداخل وتمزقُ النسيجَ الاجتماعي الروحي في المجتمعات وتلوّث الطبيعة، وهناك قيم تبني العالم الداخلي للإنسان، وفي الوقت نفسه تجدّلُ النسيجَ الاجتماعيّ الروحي في المجتمع، قيم تتمحور حول علاقات جميلة بين الناس وحول احترام الطبيعة.

يمكننا أن نتحدثَ عن قيم الحياة، ولكن لا معنى للحديث أو الكتابة عن القيم بمعزل عن الممارسة والسياق المجتمعي بمختلفِ أبعاده، كما أنه من الخطأ الحديثُ عن قيم في السياسة، وثانية في التعليم، وثالثة في الدين وأخرى في الاقتصاد أو الأسرة أو في الفنون؛ وكأن هناك مجموعات مختلفة من القيم في المجالات المختلفة، فذلك يؤدي إلى اضطراب ثقافي اجتماعي وتذبذب أخلاقي.. إن تجزئةَ القيم حسب المجالات المختلفة في الحياة هو مظهر آخر من مظاهر الانفصام الثقافي الذي نعانيه.

التربية ترسخ القيم

إن للفرد إمكانات ذاتية متنوعة غير مستغلة، وقدرة فطرية على الاستجابة السلوكية السليمة، وهناك دومًا معايير وقيم سليمة يجب إشاعتها وإحلالها محل القيم والمعايير السلبية السائدة، وضمان تحقيق تفاعل الفرد معها، هذه القيم لازمة لبناء حضارة تستمد خصائصها من ديننا، حضارة أصيلة وشاملة وقوية.

إن الثقافة تشكل الشخصية الأساسية لدى الأفراد(٨)، ويستدل على وجودها من الانتظام الملاحظ في سلوك الأفراد والعناصر المكونة لها يجب أن تكون منسقة تنسيقا طبيعيًا أو متطابقة في المعنى الواحد إلى حد معقول، فالسلوك الاجتماعي للفرد يحدده التراث الثقافي الذي يقيم معايير داخل الأفراد، وهذه المعايير يجب أن يكون متفقًا عليها بشكل عام بين الأفراد الذين يرتبطون معا بعلاقات حياة مشتركة أو تعاون(٩).

وهذا الاتفاق هو الذي ينشأ عنه التقارب والتشابه في الخلفية الاجتماعية، مما ينعكس بشكل قوي على تفاعلهم ويجعلهم يتقاربون فيما بينهم ويلتحمون «كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا»، ويزدادون إعجابًا ببعضهم وتمييزًا لاختياراتهم الثقافية الجمعية وقيمهم واتجاهاتهم المتشابهة، حيث تغدو هذه الأمور ذات أهمية فردية وجماعية.

لهذا فمعرفة التربية وأصولها الثقافية والاجتماعية أمر ضروري لكل من يريد أن يربي الناشئة على الوجه السليم؛ إذ على ضوء مفهومنا للتربية وأهدافها وتدبير الطفولة ونموها وقضاياها وتنشئتها، يتوقف نجاحنا في تعاملنا مع الصغار؛ وبوضوح الهدف من التربية في ذهن الراشد، معلمًا كان أو أبًا، وشخوصه أمام نظره على الدوام يستطيع أن يتخذ منه مقياسًا يقيس به عمله ونتائجه من آن لآخر.

وجهل الأسرة بالتربية وأصولها والطفولة ونموها وحاجاتها، وطرق التعلم الاجتماعي وقواعده، يحول دون قدرتها على رصد ملامح التطور النفسي والبدني للطفل، ويؤدي إلى توظيف المعلومات الناقصة والخاطئة في تربية وتوجيه الناشئة دون وعي بخطورتها، وتنقل الأسرة ما هو سائد في وسطها من أساليب واتجاهات التنشئة وهي في أغلب الأحيان اتجاهات غير سوية، وتتم عملية النقل بمحاكاة المحيطين بها من آباء وأمهات وغيرهم، أو تقليد ما تتم مشاهدته عبر وسائل الإعلام، ويدعمه الإيحاء الذي يمارسه الآخرون بواسطة التعيير والمقارنة والمأثورات الشعبية، مما يؤدي إلى تبني وترويج قيم وعادات سيئة وتبريرها والدفاع عنها.

إننا مسلمون، فيجب أن يكون فهمنا للتربية مرتبطا بالمنظور الإسلامي الشامل للكون والإنسان والحياة، ويكون نظامنا التربوي خاضعا للضوابط الدينية والثقافة الأصيلة والقيم الإنسانية الإيجابية، وفي الوقت نفسه متفاعلاً مع المتغيرات الحادثة على المسرح الاجتماعي، وهذا الأمر يتطلب تحقيقه إشاعة معرفة بالإسلام وحقيقة دعوته ومراميها ومقاصدها بين عموم المربين وكل الآباء والأمهات، وتثقيفهم ثقافة إسلامية عامة وتربوية متخصصة، حتى يتمكنوا من أداء وظيفتهم التربوية وإنشاء أجيال تتحلى بسمات شخصية إيجابية، تُحكم القيم النبيلة في سلوكها واستجاباتها ولا تُحكم الأهواء الشخصية التي تتعارض مع مصالح الآخرين وتهدد الاستقرار والتماسك الاجتماعيين.

الهوامش

١- إبراهيم خليفة: المربيات الأجنبيات في البيت العربي الخليجي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٤٠٥، ص ٦٥.

٢- إسماعيل الملحم: وحدة الشخصية القومية للأمة العربية، مجلة الوحدة، الرباط، عدد ٢٢-٢٣ (يوليو ١٩٨٦) ص ٩١.

٣- نورالدين قربال: إشكالية هوية الإنسان المغربي، جريدة الاتحاد الاشتراكي يوم ٢٨ مايو ١٩٩٥ ص ٣.

٤- قربال، المرجع نفسه.

٥- للتوسع انظر: علي ليلة: رأس المال الديني والقيمة المضافة للفعل الإنساني، مجلة الديموقراطية (الأهرام) السنة السابعة العدد ٢٦ أبريل ٢٠٠٧ ص ٤١-٥٠.

٦- محمود رجاء حنفي: الثقافة وأثرها في تشكيل شخصيات الأفراد، «الوعي الإسلامي»، عدد ٣٦٧ سنة ١٤١٧ ص ١٨.

٧- زيد بن عبدالمحسن الحسين: إطلالة، مجلة الفيصل عدد ٢٥٥- ص ٧.

٨- محمود السيد أبوالنيل: علم النفس الاجتماعي، بيروت، دار النهضة العربية ١٩٨٥، جزء٢- ص٣٣.

٩- حنفي، مرجع سابق ص ١٩.

هل يحقق تعري الفتاة المسلمة جمالها؟!

خالد الحارثي- كاتب سعودي

أنا فتاة.. أريد أن أكون جميلة وجذابة تلاحقني نظرات الإعجاب، يسحر بي كل من يراني، ويقف مذهولًا أمام مفاتني ومحاسني، أريد أن أكون بأبهى حلة في كل وقت، ولتحقيق ذلك علي أن أواكب صرخات الموضة بكل أشكالها وعلي أن أتحرر من هذه القيود المحيطة بي والتي تسمى أعرافًا وتقاليد وقد أصبحت بالية ولا فائدة منها سوى أن تضيق علينا الخناق، وتقف عائقًا أمام تحررنا وانطلاقنا نحو الحضارة والتقدم.

هكذا وللأسف باتت الكثير من فتياتنا المسلمات يفكرن في وقت أصبح فيه تقليد الغرب بكل ما يفعل من منكرات هاجس هؤلاء الفتيات وشغلهن الشاغل، فما يكاد الغرب يلقي علينا بنفاية من نفايات دور أزيائه والتي تسمى الموضة حتى تسارع الفتيات لاقتنائها وتقليدها دون أي تقيد بعرف أو خلق أو دين.

ولكل هؤلاء الفتيات أقول: من حقك أن تكوني جميلة وأن تكوني بأبهى صورة وأروع شكل، ولكن اسألي نفسك ولو للحظة، هل كشف جزء من بطنك وظهرك يحقق لك الوصول إلى غايتك.

أما علمت يا أختاه أنه لا معنى للجمال إن كان رخيصًا وسهل المنال، وهل تأتي قيمة اللآلئ إلا من كونها محجوبة داخل الأصداف، وهل تأتي قيمة الألماس إلا من كونها داخل الأرض، ولو أن الجواهر

كانت ملقاة على الطرقات لما كان لها قيمة تميزها عن الصخور والأحجار.. أختاه.. إن جسدك غال فلا ترخصيه ولا تسمحي لأحدٍ برؤيته إلا بحقه، إن جسدك ليس مشاعًا للجميع يرونه بالمجان بل هو حكر على شخص واحد وهو الزوج، ولا يراه إلا بثمن غال وهو العقد والمهر.

أختاه.. إن كنت ترين أن التحضر والتمدن يكون باللباس الخليع غير المحتشم فأنت مخطئة، فالتحضر يكون بسعة العقل ورقي الفكر، وقد تلاحقك نظرات المارة وأنت تسيرين مكشوفة ولكنها نظرات غرائزية وشهوانية، وقد تشدها مفاتنك، ولكنها تنظر لك أيضًا على أنك إنسانة رخيصة مبتذلة، وقد يظهر لك من يراك إعجابًا بجسدك ورشاقتك، وسحر مفاتنك ولكن صدقيني لن يحمل لك أية نظرات احترام أو تقدير.

أختاه.. إن التزامك باللباس الشرعي هو رمز عزتك ورفعتك وكرامتك وإن من يعجب بك لمجرد رؤية جسدك شبه العاري هو إنسان غير جدير بأي احترام أو تقدير، ومن يستحق التقدير حقًا هو من يعجب بك لخلقك ودينك والتزامك.. إن التحرر يكون بسلامة القلب ورقي العقل وترفعه عن الجهل والتقليد الأعمى لكل ما نرى.

عزيزتي لا تظني أن الغرب يريد بك خيرًا عندما يصور لك العري على أنه بوابة التألق والتميز والحضارة، بل إنه يريد إذلالك والقضاء على قيمك وأخلاقك وأن تصبحي فريسة سهلة بين أنياب الذئاب تنهش من جسدك وكرامتك من دون أي عناء.

عزيزتي إن مبتدعي هذه الموضة وهو العري على يقين تام بأن المرأة المسلمة إن ضاعت ضاع المجتمع كله، وإن فسدت فسد المجتمع الإسلامي كله ولذلك بات الغرب يتفنن في إبداع أنواع كثيرة من الأزياء والموديلات وما يسمى «بموضة الربيع والصيف والشتاء» ليشغلك بها عن تحقيق الهدف من وجودك وعن القيام بدورك كزوجة وأم وعنصر فعال في المجتمع.. فاعلمي يا أختي أن تطورنا ونهضتنا بيدك أنت، فكوني فتاة صالحة نقية ملتزمة لتصبحي أمًا صالحة تنجب وتربي جيلًا قادرًا على إعادة أمجادنا ونصرة إسلامنا.

أختي العزيزة: أنت جوهرة ثمينة صانك الإسلام وحماك وحفظ لك كرامتك، والدليل في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب: 59).

فالزي الإسلامي حماية لك، وهو الدرع الذي يبعد عنك السوء ويفرض احترامك على كل من يراك.

– وأخيرًا أوصيك يا أختي بأن تتقي الله في جسدك ولباسك، وحذارِ من العري والتبرج ولا تنسي قول رسولنا الكريم ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» (رواه مسلم).

هكذا أنصف الإسلام المرأة

هناء ثابت
كاتبة وباحثة من سوريا

كان لماضي المرأة بلا ريب أثرٌ عظيمٌ في نفسها إذ حملها على التَخَلّق بأخلاق اقتضتها حالتها غير ما غرسته فيها الطبيعة من المواهب الفطريّة وقد تثبت فيها تلك الأخلاق المكتسبة مع توالي الأجيال ومما زادها ويزيدها وضوحًا: (التربية والانتخاب الجنسي.. فبالتربية تتدرّب الفتاة على السجايا المرغوب فيها فتقوى تلك السجايا بالتمرين وبالانتخاب الجنسي وتنمو فيها الصفات التي تروق للرجل إذ إنّه لا يتزوّج إلاّ مَن اتصفت بها فتتوارث تلك الصفات من جيل إلى جيل وتبرز شيئًا فشيئا.. في حين أنّ الصفات المكروهة تضعف وتتلاشى لاجتناب الرجل كلّ امرأة متصفة بها، وهذا هو المُراد بالانتخاب الجنسي).

فما هي إذن الصفات والسجايا التي اكتسبتها المرأة من ماضيها؟ أمّا من الوجهة الجسمانية فقد اكتسبت ضعف العضلات والجسم عمومًا وهو نتيجة معيشتها الهادئة بالنسبة إلى معيشة الرجل، وأمّا من الوجهة المعنويّة فالصفات التي برزت فيها هي: «الميل إلى الحياة البيتيّة والعناية بمهام المنزل والحياة والخوف والجَلَد والصبر والاهتمام بالجزئيّات والأمور الدقيقة والسعي إلى اجتذاب الرجل وإرضائه لأنّه يقف عليه كلّ شيء والطاعة واللّين إزاء ربّ الدار وصاحب القوّة والسلطان (وذلك يجعلها تخشّن الكلام مع مَنْ دونها من الخدم كأنّها بذلك تثأر لنفسها)، ولديها مهارة غريبة في حرز رغبته كي تستبقه إلى إنجازها.. وحذق في تضليله وخداعه إذا كان قاسيًا (أوعلى الأقل إخفاء عواطفها إذا اضطرت إلى ذلك).. تلك بعض الصفات التي نَمَت في خُلُق المرأة لأنها كانت لازمة لها حتى تعيش مع الرجل وتحوز رضاه.

وكيف تتوقّع من المرأة المنزوية في دارها أن تكون لها نفس القدرة الفعليّة التي نالها الرجل من جرّاء احتكاكه بالعالم واهتمامه بالمسائل الخطيرة.. العموميّة والخصوصيّة، فإنّها ما برحت تُعامَل.. إمّا بالازدراء أو بالتمليق وكلاهما مُضرّ على السواء، وقد نجم عن ذلك أنّها عاشت في عزلة وجهل أو اكتفت بإنماء مواهب سطحيّة تبهر أكثر مما تفيد والرجال غالبًا يكرهون النساء العالمات صاحبات الخُلُق القوي والعقل الراجح؟ بل كيف لا تكون المرأة نعجة عديمة الاستقلال والذاتية المعنويّة مع ما تحمله من ضغط الرأي العام أجيالاً طويلة ذلك الرأي الجاهل الذي يبيح للرجل كلّ شيء ويأبى إلاّ أن يؤاخذها بأدنى هفوة، ذلك الرأي الذي لا يلوم إلاّ الضحيّة؟

إنّ الحديث اليوم عن اتصاف المرأة بالإنسانية واستحقاقها كرامة الإنسان أمر بديهي مُسَلّم به لا يحتاج لإعادة ولا إلى ذكر ولكننا نذكر ذلك الواقع التاريخي الأسود قبل الإسلام ليعلم كلّ إنسان فضل الإسلام الحنيف على الإنسانية إذ كان هو المعلّم المؤثّر في التقدم الإنساني العظيم.. ولتحسّ المرأة أنّها مدينة في فوزها بحقوق الآدمية والكرامة.

فقد أقر القرآن الكريم مشاركة المرأة للرجل في الإنسانية فهي جزء مخلوق منه ثم هي شريكة في بثّ الحياة البشرية على هذه المعمورة، وتجلّى ذلك بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

كذلك قرر القرآن استقلال المرأة عن الرجل وأنّها مسؤولة عن نفسها مسؤولية مستقلة عن الرجل وأنها تثاب على عملها الصالح ثوابًا كاملاً لا ينقص شيئًا عن ثواب الرجل: ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنّة ولا يظلمون نقيرًا﴾.. وألغى القرآن الكريم ما جرت عليه التقاليد في الجاهلية من حرمان المرأة من التملّك فأقر لها هذا الحق وجعله حقًا لها، في قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ فقرر الإسلام لها حق الملكية والإفادة بالكسب وقد أثبت هذا الحق للمرأة في جملة مستقلة، بقوله تعالى: ﴿وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾.. ولم يقل جلّ شأنه: للرجال والنساء نصيب مما اكتسبوا فأفاد بذلك استقلال المرأة في حقوقها عن الوصاية وأنّها في أصالة هذا الحق كالرجل سواءً بسواء فأقر لها حق التصرف بنفسها وألغى ما كانت عليه الجاهلية في ميراث النساء فكانوا إذا مات الرجل جاء أحد أقربائه وسبق إلى امرأة الميّت وألقى عليها الخمار فكان أَوْلى بها من نفسها.. حيث قال تعالى: ﴿لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا..﴾ وهكذا ما زال القرآن يُعْلي من شأن المرأة ويغرس في نفسها الثقة والإيمان بحقوقها حتى أصبحت تقف أمام الخلفاء موقف الجسارة دفاعًا عن تلك الحقوق وتصحيحًا للخطأ فيها.

كما رفع القرآن من منزلة المرأة الأدبية واستنقذها من الحضيض وبوأها الأوج فبقيت في سماء المجتمع الإسلامي شيئًا مقدّسًا تتطاول إليه الأنظار بالحماية والرعاية.. فهي في هذا الجو من الاحترام والتقديس تمتعت بنعمة الإسلام.. وتطوّرت المكانة التي كانت تشغلها المرأة وتحررت من عصور الاستلاب والاستغلال وتمتعت بمكانة هامّة في المجتمع.. حيث ساواها مع الرجل وأعطاها معظم حقوقها في كلّ شيء، لذلك نرى أنّ المرأة هي الأساس في المجتمع، وقد لاقت اهتمامًا كبيرًا منه لدرجة أنّها تشكل نصف المجتمع.

–ومن هذا كله يظهر لنا: أنّ الإسلام قد خفض للمرأة جناح الرحمة وشملها في جميع تشريعاته بعطف كريم ورعاية رحيمة وسما بها إلى منزلة رفيعة لم تصل إلى مثلها في أيّ شريعة أخرى من شرائع العالم قديمة وحديثة.. وساوى بينها وبين الرجل في معظم شؤون الحياة ولم يفرّق بينهما إلاّ حيث تدعو هذه التفرقة طبيعة كلّ من الجنسين ومراعاة الصالح العام وصالح الأسرة وصالح المرأة نفسها.

سلسلة الإعلام (٤-٤)

صحافة العرب المطبوعة.. سيناريوهات المستقبل

هالة عبدالحافظ/ إشراق أحمد - دار الإعلام العربية

«التكيف- البحث عن مستقبل جديد من خلال الاندماج مع كيانات أكبر- التوزيع المجاني- اتباع أسلوب الصحافة الاستقصائية- التوازن بين المحلية والقومية والعالمية- تغيير الشكل المقدم».. لم تكن هذه العناصر سوى بعض الرؤى والمقترحات لمستقبل آمن للصحافة المطبوعة العربية، وهي محور الحلقة الرابعة والأخيرة في هذه السلسلة التي تناولنا في الحلقة الأولى منها واقع الإعلام العربي المطبوع في الألفية الثالثة وتحدياته، بينما رصدت الحلقة الثانية الدور الذي تمارسه الصحافة العربية في الوقت الحالي الذي صار الاعتماد أكثر على الميديا الحديثة في الوصول إلى المعلومة والتفاعل معها، وأثر ذلك في الصحافة المطبوعة.. وتعرّضت الحلقة الثالثة للاستثمار في الصحافة المطبوعة، وفي هذه الحلقة نتابع رؤى مختلفة حول مستقبل الصحافة العربية المطبوعة بما يتناغم مع روح العصر والمستقبل.

سيناريوهات المستقبل

تناولت العديد من الدراسات والمناقشات التحدي الذي يواجه الصحافة المطبوعة ومستقبلها وانتهت إلى ثلاثة سيناريوهات ذكرها سامي السعيد النجار تحت عنوان «رؤية الخبراء للعوامل المؤثرة على مستقبل قارئي الصحف المطبوعة في مصر»، حيث يتمثل السيناريو الأول في أن تصبح الصحف الإلكترونية بديلا عن الصحف المطبوعة، ويدللون على ذلك بتوقف واختفاء الكثير من المطبوعات الورقية في السنوات الأخيرة، وتراجع أرقام توزيع الصحف، وتراجع عائداتها الإعلانية لصالح الوسائل الإلكترونية المستحدثة، ومن ثم تتمكن الصحيفة الإلكترونية من تقديم نطاق واسع من الخدمات التي لا تستطيع الصحف المطبوعة أن تقدمها، بينما يؤكد الاتجاه الثاني على أن الصحافة الإلكترونية لن تصبح أبدًا بديلًا عن الصحافة المطبوعة، انطلاقًا من أن تاريخ وسائل الإعلام التقليدية لم يشر إلى ذلك، ومن ثم من المتوقع أن تسير صناعة الصحافة المطبوعة مع الصحافة الإلكترونية على شبكة الإنترنت بشكل متواز مع تزايد في الاتجاه لاستفادة الصحافة المطبوعة من شبكة الإنترنت، وأخيرًا يرى السيناريو الثالث أنه لا يمكن الحكم على مستقبل الصحافة المطبوعة أو حتى الصحافة الإلكترونية الآن، لكن من المؤكد أن هناك تأثيرات عدة سوف تطرأ على الصحافة المطبوعة وأهمها الاتجاه إلى المحلية وإلى التخصصية.

التكيف

«لابد أن نعلم جيدًا أن الصحافة شيء إنساني إن وجد فيه الإنسان وجدت الحاجة إلى الأخبار والإعلان، ووجدت

أيمن الصياد: لا بديل عن التكيف والتكامل بين الصحافة العربية والتكنولوجيا

متغيرات جديدة تكيفت معها».. بهذه الكلمات عبر أيمن الصياد، رئيس تحرير مجلة «وجهات نظر»، عن مستقبل الإعلام المطبوع، مؤكدًا أنه ممن يميلون إلى وضع خطوط فاصلة حادة بين ما يسمى بالإعلام التقليدي والجديد، وهذا لا يعني التقسيم، لكن كل ما في الأمر أن المحيط والواقع يتغير، فالإعلام مثله مثل أي كائن حي لابد أن يتكيف مع واقع جديد ومعطيات العصر كي يعيش، مشيرًا إلى أن صحيفة الأهرام قبل ثلاثين عامًا كان فيها خطاط يكتب لها المانشتات، وقبل عشرين عامًا انتهى هذا الخطاط، فما حدث هو تكيف مع معطيات الواقع الجديد وتدخل قوي للتقنيات.

ونفى الصياد فكرة انقراض المطبوعات الورقية إلا إذا لم تتكيف مع الواقع الجديد، وحدّد عددًا من الصيغ التي لابد أن تتغير في المطبوعات وفقًا لمتغيرات العصر، وتتمثل في أن تلعب المطبوعات الورقية وظيفتها الأساسية، وتركز في منافستها مع الإعلام الجديد على أكثر ما تتميز فيه، فعلى سبيل المثال الأخبار لا تتناسب مع المطبوعات الورقية؛ لأنها تحتاج إلى سرعة؛ لذلك لابد من النظر للأمور نظرة متعمقة ومتفحصة، تعمل على التحليل والتفسير وتقديم الآراء.. ولابد أن نعلم أن الإعلام محتوى ووسيلة.

فالمحتوى لابد أن يترك الخبر ويبحث فيما وراءه ويحلله ويفسّره بعمق ويقدم للقراء آراء، أما الوسيلة فهي في تطور تدريجي فكان هناك تلغراف وفاكس حتى توصلنا إلى الإيميل وكل الوسائل الموجودة التي تتناسب مع معطيات العصر.

وتابع: هناك في الإعلام ما يسمى بالوسيلة التكاملية، فاليوم كل الوسائل تخدم الخبر، فعندما تستضيف إعلامية شهيرة سياسيًا بارزًا نجد الخبر في رسائل الـ«إس إم إس»، ونجد الحوار على المواقع الإلكترونية، وفي الوقت ذاته نجده على يوتيوب وتويتر وفيسبوك، فهنا حدث تداخل وتكامل.. ما يعني أن فكرة الإعلام قائمة اليوم على علاقات شبكية وليست مركزية؛ فلا يوجد شخص واحد دائمًا هو المرسل للرسالة، ولا يوجد شخص واحد مستقبل لهذه الرسالة، وهكذا يكون الاتصال شبكيًا وهذا هو التكيف.

واختتم الصياد مؤكدًا أن المستقبل ليس محصورًا في ما هو موجود الآن؛ لأن هناك مساحة واسعة لا يمكن التنبؤ بها، ذاكرًا مقولة «باروين»: «لو لم ينمُ الإنسان ويتطور مع واقعه لانقرض».

تغيير جذري

بينما أكد أحمد أبو القاسم، سكرتير عام نقابة الصحفيين الإلكترونيين المصرية، أن الصراع على البقاء بين الصحافة الإلكترونية والورقية سيصبح جزءًا من التاريخ أو التراث، متوقعًا أن تتغير الصحافة المطبوعة خلال السنوات القادمة تغيرًا جذريًا عن السنوات الماضية، وربما تم توزيع طباعاتها مجانًا كما تفعل معظم دول أوروبا، وسيكون هناك سعي لإصدار صحف متخصصة كالفن، والرياضة، والاقتصاد، وأيضًا دوريات علمية.

وقال إنه من الصعب اليوم أن يدفع القارئ ثمن وجبة تقدّمها له المطبوعات، دون أن يختارها، في حين أن هناك مواقع تقدم الوجبات التي يريدها القارئ وعلى أعلى مستوى، وكاملة الأركان، فاليوم المطبوع متحكم في القارئ، بسياسته وتوجهاته، وآرائه، في حين أن القارئ هو المتحكم في الإلكترونيات، وهو السيد- على حد قوله.

وتابع: الصحافة الإلكترونية قلبت الموازين، وتوصلت إلى Ipad لتراعة الوسائط والكتب، وتتفنن في طرق عرض الصحافة إلكترونيًا، فاليوم هناك المواقع التي تُبث مباشرة من قلب الأحداث بالصوت والصورة، وتجلى ذلك في الكثير من الصحف والمواقع في أميركا وأوروبا، فعندما تنشر المظاهرات مباشرة، ستكون أكثر تأثيرًا وانتشارًا في حين إن المطبوعة سيكون تأثيرها محدودًا.

ورأى أن المستقبل ليس للصحافة المطبوعة على الإطلاق، وكان الجدال دائمًا بين هل العلاقة بين الصحافة المطبوعة والإلكترونية تكاملية أم هي علاقة صراع بقاء، فهذا اليوم لم يعد هناك جدل على الإطلاق، مشيرًا إلى وجود هفوات للصحافة الإلكترونية مع مرور الوقت ستتلاشى، وهي عدم ثقة المعلن بها؛ لذلك يضطر إلى أن يدفع أكثر في الورقية فقط لثقته فيها، ففي الورقية يدفع مبالغ أكثر بنسبة من ٣٠-٤٠٪، لكن مع مرور الوقت ستزداد الثقة لما فيها من مغريات، ونسبة التعرض لها أعلى من الورقية بكثير.

وتوقّع أبو القاسم أن تجدد الصحافة الورقية من نفسها ولكن دون جدوى؛ لأنه سيكون لها نهاية عاجلًا أم أجلًا، أما الصحافة الإلكترونية ستطور من نفسها، متوقعًا أن يكون الوضع في الوطن العربي خلال الفترة المقبلة كالوضع في الدول الأوروبية، بأن أجزاءً من الأخبار ستكون باشتراك مادي كواشنطن بوست، نيوز ويك، وسيتم تجديد الاشتراك بشكل أسبوعي، مع توصيل كابل لرؤية التليفزيون من خلال الإنترنت كـabc news، وسيتغير أسلوب عرض المادة، مع تزايد ملحوظ في نمو

مواقع للصحف الإلكترونية ليس في مصر وحدها، بل في كل البلدان العربية.

لا بديل عن الصحافة المطبوعة

واختلف د.سليمان صالح، رئيس قسم الصحافة بكلية الإعلام- جامعة القاهرة، حول مستقبل الإعلام المطبوع، حيث طرح في كتابه «مستقبل الصحافة في ضوء ثورة الاتصال» مجموعة من العوامل التي رأى أن معها يستحيل أن تصبح الصحف الإلكترونية بديلًا للصحافة المطبوعة وأهمها نوعية المعرفة، حيث أشارت الكثير من الدراسات التي تناولت علاقة الجمهور بالإنترنت إلى أن جمهور الإنترنت لا يبحث عن المعرفة، إنما أكثر الأشكال استخدامًا للإنترنت هو إرسال الرسائل الإلكترونية، وأن نسبة الذين يستخدمون الإنترنت للحصول على الأخبار والمعلومات لا يزيد على ١٥٪ من عدد المستخدمين، وكذلك طبيعة المعلومات المتاحة المقدمة على شبكة الإنترنت، حيث يغلب عليها طابع التجزئة والتناثر، وهي سمات لا يمكن أن تشكل معرفة لها معنى، فالفرد يمكن أن يتنقل بسرعة عبر مجموعة من الروابط في القصة ليحصل على كثير من المعلومات، لكنه في النهاية لا يستطيع أن يحدد موقفه بوضوح من الحدث، لأنه بذلك يفقد السياق العام للقصة عبر الروابط وتشغله الصور والمعلومات المسلية والتفاصيل الكثيرة على حد قوله، وأخيرًا خصائص المعلومات على الإنترنت، حيث رأى أنه ينقصها الدقة والتوازن والموضوعية وأن نسبة كبيرة من الجمهور تشكك في مصداقية ما تحصل عليه من الإنترنت في مقابل الصحافة المطبوعة.

واقترح د.صالح مجموعة من الآليات تعتبر استراتيجية متكاملة يمكن للصحافة المطبوعة من خلال الالتزام بها المحافظة على بقائها وتتمثل في النقاط التالية:

- ضرورة إعادة النظر في الوظائف التي تقدمها الصحافة المطبوعة.
- ضرورة أن تعكس الصحافة المطبوعة تنوع المجتمع.
- ضرورة أن تقوم الصحافة المطبوعة بتبني نموذج جديد للمعرفة.
- تطوير المعايير المهنية والأخلاقية الحاكمة للعمل الصحفي.
- ضرورة العناية بإعادة تأهيل المحررين وتدريبهم وتطوير مهاراتهم وقدراتهم على تغطية الأحداث بأساليب جديدة.

أفكار شبابية لازدهار الصحافة المطبوعة

قام عدد من طلاب كلية الإعلام جامعة القاهرة قسم صحافة (تمهيدي ماجستير)، وهم (مهيرة عماد، مي سعيد، أحمد قطب، أحمد المهدي، منى عمر، شيماء سيد وغيرهم» بالتوصل إلى عدد من الأفكار لازدهار الصحافة المطبوعة في الوطن العربي، أهمها:

- تغيير علاقة الصحف الورقية بالجمهور، من خلال الاهتمام بالقواعد اللغوية والمهنية والإدراك التام لما يريد القارئ قراءته أو معرفته وتشكيل علاقات جيدة بين الصحيفة والجمهور.
- يعد عنصر الإخراج مهمًا جدًا للمحافظة على مكانة الصحيفة الورقية، والتميز على النسخة الإلكترونية، فلابد من الاهتمام به وتطوير الشكل الإخراجي للمطبوعة وتدريب المخرجين والصحفيين على نظم الإخراج الجديدة ومواكبة التطور الدائم لها.
- عدم الفصل بين المخرج والمنفذ.
- التكامل بين المطبوعة والموقع الإلكتروني، فمن الممكن أن تكتفي الصحيفة بوضع العناوين المهمة من خلال الموقع الإلكتروني لديها، وطلب الرجوع إلى النسخة المطبوعة لبقية الخبر أو المقال، ومن ثم سوف يزيد احتياج القارئ إلى المطبوعة.
- تنمية أصول الجريدة عن طريق شراء أجهزة تساعد على تطوير العمل الصحفي.
- الاهتمام بالجانب الإنساني للموضوعات، وبريد القراء مع تخصيص عدد من الصفحات له ليس فقط نصف صفحة.
- إضافة البريد الإلكتروني للموضوع بالجريدة للتواصل مع الصحفي لتحقيق التفاعلية.
- تدريب الصحفيين على أهمية السرعة لمواكبة الصحافة الإلكترونية.
- عمل اختبارات ودورات للصحفيين للتعامل مع أجهزة الكمبيوتر.
- توجيه الصحفيين لمحاولة معرفة رغبات الجمهور.
- أن تعامل الجريدة الصحفي على أنه مبدع وليس موظفًا أو حكرًا عليها.
- تعديل قوانين الصحافة الخاصة بحرية إصدار الصحف والسماح بالتنوع.
- لابد من وجود توجه حقيقي من قبل الحكومة لمساندة الصحافة المطبوعة.
- عمل استطلاعات يومية للرأي في كل باب من أبواب الصحيفة المطبوعة حول المواضيع الأكثر جدلًا وإثارة للجدل وعمل استفتاءات شهرية حول أبرز الشخصيات في الشهر على سبيل المثال عن طريق اختيارات القراء.
- الاهتمام بالصحافة الخدمية وتقديم خدمات تجذب القارئ.
- الإعلان عن محتوى الجريدة مسبقًا على الموقع الإلكتروني.
- الإكثار من الإصدارات المتخصصة.
- على الصحافة المطبوعة التقليل من المقدمات الطويلة والدخول إلى النقاط المهمة دون إطالة، كما في النسخة الإلكترونية.
- محاولة الاستفادة من المدونات BLOGS والاستعانة بمعلومات منها ونشرها بالمطبوعة.
- تقديم كتّاب رأي جدد، فطالما يأتي القراء على شراء مطبوعة معينة من أجل كاتب مفضل.

(رجال عاطلون).. ظاهرة أم واقع تحياه البيوت؟!

القاهرة : منير أديب

«رجال لا يعملون» حقيقة يعيشها آلاف الرجال وظاهرة لا يقتصر وجودها علي قُطر دون آخر سواء كان عربيًا أو حتى أجنبيًا؛ وإنما تمتد لتشمل بيوتات مازالت تعاني من بطالة الرجل قبل المرأة بل علي العكس تمامًا، فهذه البيوتات تشهد على أن المرأة هي العاملة الوحيدة فيها بينما يغط الرجل في نوم عميق مرات بإرادته ومرات أخرى بسبب الظروف الاقتصادية التي يعيشها الناس.

هذه البيوت افتقدت قوامة الرجل على كل المستويات، فما عاد يعمل الرجل لأسباب لا علاقة لها بما يتذرعه هؤلاء الرجال من أنه ينتظر الوظيفة المناسبة أو أن الراتب لا يكفي، وقد حاولنا من خلال هذا التحقيق سرد القصص المأساوية للرجال العاطلين وظروف عدم عملهم وتأثير هذه الظاهرة على المجتمع والأسباب الحقيقية وراء رضا هؤلاء الرجال بما صنعوه لأنفسهم من مهنة اللا مهنة، فإلى نص التحقيق الذي تطرقنا فيه لرأي الدين في هذه الظاهرة وهل هناك علاقة بينه وبين الخلفية الدينية للرجال والتي تدعو دائمًا للعمل والاجتهاد؟.

من قصص البطالة

في البداية يقول ثروت محمد: أنا من أسرة غنية جدًا وكنت أعمل في أحد البنوك ولكنني تركت الوظيفة لأنني كنت أشعر بأنها عبء عليّ، فقد كانت تستلزم مني الاستيقاظ مبكرًا مع العلم أنني لم أكن في حاجة إلى ما يأتيني منها.

وأضاف، كثير من الناس يبحث عن وظيفة وعمل ولكنني كنت أصرف راتبي كله، وأنا لست في حاجة إليه، فلدي مزرعة كبيرة امتلكتها عن والدي.

وذكر، استدنت أكثر من مرة من البنوك، ولكن لشراء مستلزمات خاصة بمزرعتي، ولا علاقة لذلك بعدم عملي، ولست نادمًا على تركي العمل، فأنا بطبيعتي أرفض القيد حتى وإن كان من خلال وظيفة.

وأنهى كلامه، بأن له أصدقاء كثيرون تركوا وظائفهم، ودخلوا ضمن العاطلين بإرادتهم الحرة، فتركوا وظائفهم لعدم حاجتهم لها.

وتحكي رضا سيد، قصة زوجها مع البطالة بقولها: «منذ تزوجنا من عشر سنوات ولا هم له غير الجلوس على المقهى فيقدمها على عمله فهو يقضي عليها أكثر من ٨ ساعات متفرقات طوال

اليوم ومرات لا نراه إلا عند النوم ومرات أخرى لا يأتي إلا منتصف الليل ونحن نائمون».

وتضيف، أن أغلب وقته يقضيه في التسلية مع أصدقائه، وإذا لم يجد شيئًا يفعله يقوم بإثارة المشاكل إما بين أولاده أو بينه وبيني ليصبح البيت كالجحيم بسبب بطالته.

ومع الأزمات المالية المتطاحنة تقول رضا، يطلب زوجها منها العمل في أكثر من مكان ولا تحركه أي نخوة ولا تدفعه رجولته للخروج للعمل ظنًّا منه أن البيت مملكة الرجل لا المرأة، فالمرأة عليها أن تعمل وتكد والرجل عليه أن يجمع المال وينفقه.

وذكرت، ذات مرة أحببت أن أحرك ما بقي من نخوة بداخله فافتعلت له قصة من خيالي لعله يخرج للعمل ويحلف عليّ بعدم الخروج من البيت للعمل.

قلت له يوما: «إن الرجل الذي أعمل معه تحرش بي جنسيًّا، وإنني ما عدت أطيق العمل معه، ففوجئت برده البارد عليّ قائلًا: قومي بضربه بالحذاء، ووقتها أيقنت أنه لا فائدة منه وإن وجوده زي عدمه.

والأعجب حسب قول رضا، أنه طلب منها أن تقوم بتوفير فرصة عمل لأبنتهما التي تبلغ من العمر٩ سنوات كخادمة في إحدى البيوت وهو ما رفضته بقوة، ومن يومها والمشاكل بيننا للركب، وهو الشيء الذي لن أسمح به ما دمت حية.

يقول توفيق ممتاز، أنا من طبقة متوسطة وميسورة الحال ولكنني في ذات الوقت أعاني كثيرًا من قلة العمل، فرغم أنني بحثت كثيرًا عن عمل مناسب إلا أنّ محاولاتي جميعها باءت بالفشل.

وأضاف، حاولت أكثر من مرة قبول عمل لا يناسب مؤهلي، ولكنني في النهاية اضطررت لترك العمل وأصبحت عاطلًا بلا عمل.

وأكد، أنه مازال يبحث عن وظيفة، وهو الآن عاطل وسبب عطله ليس بدافع منه، ولكن بسبب المجتمع الذي لم يوفر له وظيفة حتى الآن أو على الأقل لم يوظف إمكانياته.

مصروف للرجل

وتضيف فوقية سالم، إن زوجها لا يحب في حياته قدر حبه للراحة والنوم والسهر مع الأصدقاء وأنه يعود للبيت صباحًا، متسائلة، إذن كيف يعمل؟

تقول: حدثت مشكلة بيني وبينه بعد زواجنا بستة أشهر بسبب قلة عمله، وتدخل في هذه المشكلة أهلي، ولكنه وقتها تعلل بعدم وجود الوظيفة المناسبة وأن الوظائف الموجودة لا تدر دخلًا مناسبًا له وأنه فقط في انتظار العرض المناسب، وكلها لا شك علل وأسباب واهية.

وتذكر، أنها سمحت لنفسها أن تخرج للعمل بعدما وجدته يرفض العمل وبالتالي لا تجد أي أموال تصرف من خلالها علي البيت ووقتها- حسب ما تقول- وجدت معارضة شديدة من والدها، ولكنها أصرت على العمل كي تحافظ على بقاء البيت كما هو.

وحول مأساتها تقول فوقية، ليت الأمر يكتفي بذلك، ولكنه يأخذ مصروفه مني ويقوم بإنفاقه على ملذاته وشهواته، فالمال الحلال الذي جاء بالجهد والكد ينفقه زوجي في الحرام.

وتضيف، أثرت معه مشكلة ذات يوم كان الهدف منها أن أترك له البيت حتى أعرف كيف يقوم بالإنفاق علي بيته وعاودته بعد ثلاثين يومًا ففوجئت بالبيت وقد استضاف فيه أصدقاؤه ذوي الأخلاق السيئة فبدلًا من جلوسهم على المقهى كانوا يقيمون في بيتي.

ضرب ليلًا ونهارًا

طلبت منه ذات يوم أن يلتزم بمصروفاته الشخصية ويترك مصروفات البيت والأولاد على عملي فأثار معي مشاكل الدنيا وأخذ يضربني ليل نهار، وانتهي به الأمر بأن أوقفني عن العمل في محاولة للضغط عليّ في الوقت الذي يرفض فيه العمل، مما اضطررت للتعامل معه بالنظام السابق وتحمل تبعات هذا الاختيار من البداية.

تحكي سيدة أخري قصتها مع ابنها رفضت ذكر اسمها بقولها: «نسخة من أبوة خلص الجامعة وانضم لإخواته البنات، منتظر من يقوم بالإنفاق عليه دون أن يحاول العمل،

البعض يتخلى عن «القوامة» مقابل إنفاق الزوجة

غياب قيمة العمل سببه غياب الدين عن بعضهم

واستهلك كل وقته في البحث عن الوظيفة الميري والمرتب المغري وظل على هذا الوضع أكثر من خمس سنوات.

والأدهى من ذلك، كما تقول والدته، أنه يبحث عن عروسة وكل يوم يفاجئها بخطبته لبنت شكل.

ويقول الحاج صلاح، يبلغ من العمر خمسون عامًا: «لا يمكن لصاحب المهنة أن يعمل دون أن يكون مهيئًا لذلك وبالتالي يبدو للبعض أننا عاطلون وفي حقيقة الأمر نحن نعمل أفضل ما يكون وإذا عملنا فإننا نجيد ما نعمل والرسول صلي الله عليه وسلم يقول: «إذا عمل أحدكم عملًا فليتقنه».

ويضيف، أنه يؤمن بعمل المرأة وأن الحياة تستلزم مساعدة كل طرف للطرف الآخر، لأن الحياة صعبة وهذا لا عيب فيه.

وأكد، أنه لا يضغط على زوجته للعمل وأن مسألة عملها مرتبط بشعورها بحجم المسئولية والمصاريف التي يتطلبها البيت.

غياب المفاهيم الدينية

ويقول الدكتور محمد عبد المنعم البري رئيس جبهة علماء الأزهر الشريف السابق: إن انتشار هذه الظاهرة دليل على غياب الثقافة الدينية في المجتمع، وبالتالي غياب قيمة العمل التي حث الإسلام عليها من خلال استشهادات قرآنية كثيرة وأحاديث مروية عن الرسول ﷺ.

وأضاف، إن تفضيل الرجل على المرأة يكون بقدرة الرجل على العمل والتكسب، فالله تعالى يقول «الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم».

ويلفت، إن الإسلام حكم هذه العلاقة فجعل رعاية الأسرة وتوفير فرص سبل الحياة الهانئة من الأعباء التي تقع على كاهل الرجل، فإذا أخل بها وجب تطليق الزوجة منه وعدم طاعتها له، والحالة الوحيدة التي تعمل فيها الزوجة هو أن يكون الزوج مريضًا أو في ظرف يمنعه من العمل.

التأثير علي المجتمع

ويقول الدكتور أحمد زايد، أستاذ علم الاجتماع بجامعة القاهرة: «إن هذه الظاهرة تؤثر سلبًا علي المجتمع وأكثر ما تترك أثرًا علي الأبناء نظرًا لاختلال المهمات بين الأب والأم، فلا يعرف الأبناء أيهما من مهامه العمل؟».

وأضاف، إن كثيرًا من الأبناء لا يحبون العمل ولا يقدسونه نظرًا لأنهم يجدون الأب مشغولًا عنه في أمور سطحية وغير قادر علي الكسب ولا يرغب مطلقًا في العمل، وهو يقلد في ذلك والده، فمن شابه أباه ما ظلم.

وأكد أن هذا النوع من الرجال يكون سببًا في ضياع الأسرة بأكملها من الأم حتى أصغر الأبناء وبالتالي يظهر أثر ذلك جليًا علي المجتمع ككل.

وطالب المؤسسات الاجتماعية بدور أكبر في توعية بعض الآباء بخطورة هذه الظاهرة على الأسرة والمجتمع معًا، وهذه الخطوة تكون على المستوى الاجتماعي والبنيوي للمجتمع بأكمله.

دراسة

كشف الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء بالقاهرة، أن عدد العاطلين عن العمل في مصر بلغ ٣ ملايين و١٨٣ ألف عاطل خلال عام ٢٠١١، بنسبة تبلغ ١٢٪ من إجمالي القوى العاملة، وإن نسبة البطالة بين النساء تصل إلى ٢٣٪ وإن أعلى نسبة من العاطلين تضمها فئة عمرية تتراوح بين ٢٠ و٢٤ سنة بنسبة ٤٠٪، تليها الفئة العمرية الممتدة بين ٢٥ و٢٩ سنة بنسبة ٢٣٪، ثم الفئة العمرية «١٥-١٩ سنة» بنسبة ١٠٪.

مسجد إشبيلية الجامع.. درة على جبين إسبانيا!

إعداد : تركي محمد النصر

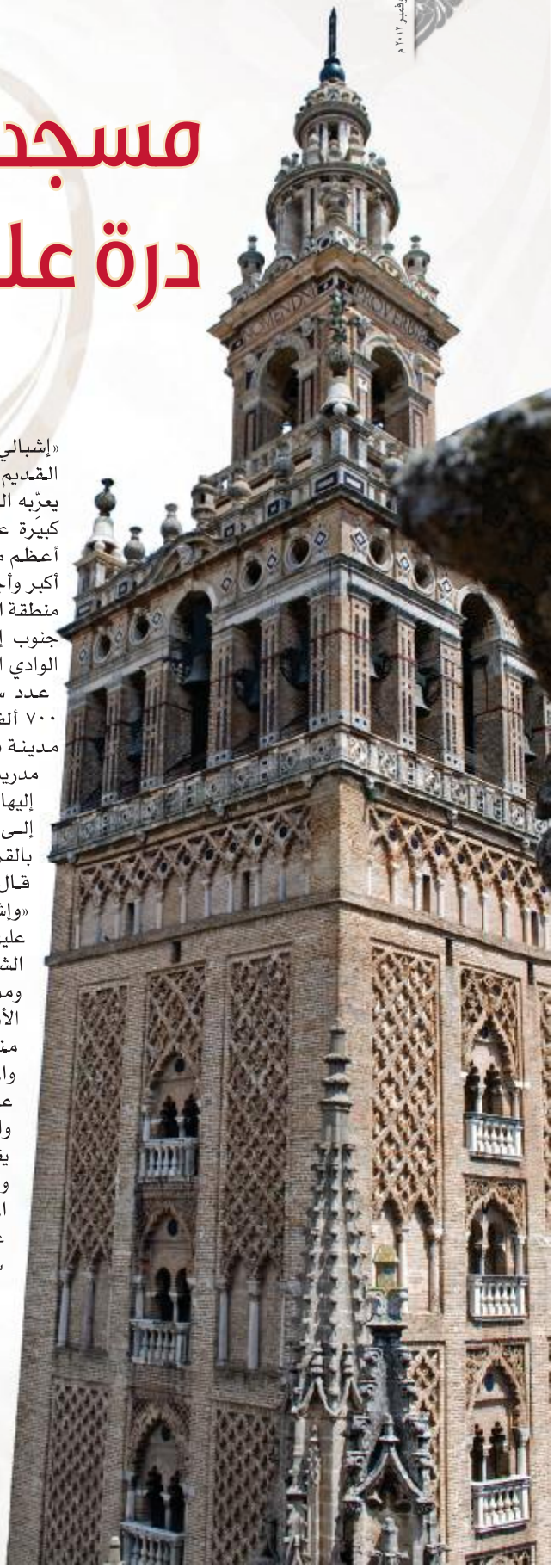

«إشبالي» المدينة المنبسطة، هو الاسم القديم لهذه المدينة العريقة قبل أن يعرّبه العرب إلى «إشبيلية»، وهي مدينة كبيرة عظيمة كانت أيام المسلمين من أعظم مدن الأندلس، وتعد اليوم من أكبر وأجمل مدن إسبانيا، وهي عاصمة منطقة الأندلس.. ومحافظة إشبيلية في جنوب إسبانيا، وتقع على ضفاف نهر الوادي الكبير.

عدد سكانها في عام ٢٠٠٧م حوالي ٧٠٠ ألف نسمة، مما يجعلها رابع أكبر مدينة في إسبانيا في السكان، بعد مدريد وبرشلونة وفالنسيا، وينسب إليها خلق كثير من أهل العلم، تقع إلى الجنوب الغربي من قرطبة بالقرب من المحيط الأطلسي.

قال ياقوت الحموي في معجمه: «وإشبيلية .. قريبة من البحر، يطل عليها جبل الشّرف، وهو جبل كثير الشجر والزيتون وسائر الفواكه، ومما فاقت به غيرها من نواحي الأندلس زراعة القطن، فإنه يحمل منها إلى جميع بلاد الأندلس والمغرب، وهي على شاطئ نهر عظيم، قريب في العظم من دجْلة والنيل، متيسر فيه المراكب المثقّلة، يقال له وادي الكبير».

وقال الحميري في كتابه الروض المعطار في خبر الأقطار: «ويطل على إشبيلية جبل الشرف، وهو شريف البقعة، كريم التُّربة، دائم الخضرة، فراسخ في فراسخ طولًا وعرضًا، لا تكاد تشمس منه بقعة لالتفاف زيتونه، واشتباك غصونه.. ».

بدأت إشبيلية عصرها الجديد المشرق عندما فتحها المسلمون، وارتفعت أعلام الإسلام على الأندلس، وتقدّمت جيوش طارق بن زياد (ت: ١٠٢هـ) تفتتح المعاقل والحصون عام ٩٣هـ، ثم قدمت موجة أخرى من الفاتحين بقيادة موسى بن نصير عام ٩٧هـ، فأتم فتح المدن التي لم يفتحها طارق بن زياد، وآلت إشبيلية إلى المسلمين بعد حصار دام شهورًا عدة؛ لحصانة أسوارها ومناعتها، واختارها موسى بن نصير حاضرة للأندلس لوقوعها على البحر، وارتباطها بطرق مع سائر المدن الأندلسية الأخرى، وسهولة اتصالها ببلاد المغرب، قاعدة الجيوش الإسلامية، في حالة قيام الأندلس بالثورات، ولكن إشبيلية لم تتمتع بهذا التفوق، إذ تحولت العاصمة إلى قرطبة عقب مقتل عبدالعزيز بن موسى عام ٩٨هـ.

أصبحت البلاد مسرحًا للفتن والفوضى، بعد أن انبعث الصراع القبلي بين عدد من الولاة الأمويين، وبقي الأمر بينهم كذلك حتى دخل الأمير عبدالرحمن بن معاوية الأندلس (ت: ١٧٢هـ)، وأنقذها من الفتن التي شملتها، فقضى على مظاهر الفوضى المستحكمة بها، وكوّن دولة عربية إسلامية تعد امتدادًا للدولة الأموية.

لم يحدث كبير تغير بعد الفتح الإسلامي لإشبيلية، غير ذلك الذي حدث في الجانب الديني والاجتماعي، ووفد إلى إشبيلية عدد من العرب وسكنوها، إلا أنهم آثروا النزوح إلى العاصمة قرطبة، ولما استقر فيها جند حمص عام ١٢٤هـ، نزلت بإشبيلية قبائل عدّة عربية مثل: بني موسى، وبني زهر، وبني حجاج، وبني الجد، وبني خلدون، وتحول كثير

من النصارى إلى الإسلام: لحسن معاملة المسلمين لهم.

وفي عام ١٥٨هـ، اعتلى عبدالرحمن بن معاوية سرير الملك بقرطبة، فتمتعت إشبيلية في عهده- ومن خلفه من بني أمية- بازدهار شامل في حياتها، وأقام فيها أمراء بني أمية المنشآت العظيمة الخالدة، وكان عصر عبدالرحمن الأوسط العصر الذي اتصلت فيه إسبانيا الإسلامية بالمشرق العباسي لأول مرة اتصالاً مباشرًا، ذلك أن إسبانيا في عهدها الإسلامي الأول، وخاصّة في عهد عبدالرحمن الداخل، كانت تحافظ على مُثُلها وتقاليدها الشّاميّة.

استولى المعتمد بن عباد (ت: ٤٨٨هـ) على مقاليد الأمور بإشبيلية عام ٤٣٣هـ، وجعلها حاضرة لمملكته الصغيرة، وشهدت إشبيلية في عصر بني عباد ازدهارًا لم تشهده من قبل، ووصل بها الأمر أن أصبحت أعظم مدن إسبانيا الإسلامية، بعد أن تخلت لها قرطبة عن الزعامة، ولكن سرعان ما بدأت عظمة إشبيلية بالتلاشي، خاصة عندما توالى عليها عدد من خلفاء الموحدين الضعفاء، حتى وصل الأمر إلى دخول جيوش قشتالة إليها بعد حصار دام ١٧ شهرًا، كان ذلك في سنة ٦٤٥هـ.

الحياة العلمية في إشبيلية

تُعدّ إشبيلية مركزًا من مراكز الثقافة الأندلسية العريقة، حيث يوجد بها جامعة قديمة ترجع إلى قرنين من الزمان، تحتوي على كليات للآداب والحقوق والعلوم وكلية مستقلة للطب، وتدرس العربية قليلاً بكلية الآداب، وينسب إليها خلق كثير من أهل العلم.. منهم في العلوم الشرعية أبوعبدالله بن عمر بن الخطاب الإشبيلي (ت: ٢٧٦هـ) وهو قاضيها، وفيها من اشتهر بالطب وتوارثوه جيلاً بعد جيل، وهم بنوزهر، وأشهرهم أبوالعلاء بن زهر بن أبي مروان (ت: ٥٢٥هـ)، كان من علماء الطب بالمغرب وتُوفي بإشبيلية، وأبوبكر بن زهر الحفيد، محمد بن آبي مروان بن أبي العلاء بن زهر، ولد سنة ٥٠٧هـ، وكان أوحد زمنه في صناعة الطب، وكذلك كان من أعلم أهل زمانه باللغة العربية، كما اشتهر منها من علماء الزراعة أبوالعباس أحمد بن محمد بن الخليل المعروف بابن الرومية (ت:٦٣٧هـ) عالم النبات الأموي المشهور، وكان عالمًا محدثًا تلقى عنه الكثير من التلاميذ العلوم الشرعية، وأبوزكريا يحيى بن محمد بن العوام الإشبيلي (ت:٥٧٥هـ)، وهو أول من عرف وحدد الترب على أساس نوعها، والنباتات التي تختص بتربة دون غيرها.

إنشاء المسجد

بلغت إشبيلية ذروة مجدها وعظمتها في عهد الموحدين، وخاصة في عهد أبي يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن (ت: ٥٨٠هـ)، وابنه أبي يوسف يعقوب المنصور (ت: ٥٨٥)، وأصبحت بحق حاضرة الأندلس وازدهرت فيها الحضارة والعمارة.

ومن معالم إشبيلية الحضارية الحي العربي القديم، حيث الشوارع الضيقة التي لا تسمح إلا بمرور السيارات الصغيرة، والهدوء العجيب الذي تنعم به الشوارع نهارًا، وجداول الماء التي في أفنية البيوت، والجدران التي تحمل نقوشًا عربية منقولة بأشكالها المعروفة في القصور والمساجد، وأكثرها يكرر جملة «لا غالب إلا الله».

وأنشئ في المدينة منذ تأسيسها في العصر الإسلامي مسجدان جامعان..

الأول: مسجد ابن عديس، الذي بناه الأمير عبدالرحمن الأوسط عام ٢١٣هـ، ومازالت بقاياه ظاهرة حتى اليوم، وإن كانت تقوم عليها كنيسة سان سلفادور، وكانت قد أصيبت مئذنة المسجد في عام ٧٥٧هـ بأضرار جسيمة؛ نتيجة لزلزال عنيف هدم الجزء العلوي منها، وأقيم مكانها طابق النواقيس الحالي، ثم هدم المسجد بأكمله عام ١٠٨١هـ باستثناء المئذنة والبهو، وبنيت مكانه الكنيسة الجديدة.

لما ضاق مسجد ابن عديس- بعد مضي ثلاثة قرون على إنشائه- على المصلين من أهل إشبيلية، وكانوا يصلون في رحابه وأقبيته، وفي حوانيت الأسواق المتصلة به، فيبعد عنهم التكبير بالفريضة.. أمر الحاكم الموحدي أبويعقوب يوسف بن عبدالمؤمن ببناء مسجد جامع بالقصبة.

الثاني: المسجد الجامع بالقصبة الذي أسسه أبويعقوب يوسف، وهو منارتنا في هذا البحث.

عمارة الجامع

بدأ العمل المبارك في بناء هذا الصرح في شهر رمضان المبارك عام ٥٦٧هـ، وعُهد إلى شيخ العرفاء أحمد بن باسة الإشبيلي- وهو من أبرز خبراء البناء والتصميم والتخطيط وتنفيذ المشاريع الموحدية الكبرى والبناءين من أهل إشبيلية ومراكش وفاس- بذلك، وقد حفر المهندسون أساسه حتى وصل الحفر إلى الماء، ثم وضع أساسه من الآجر والجير والجص والأحجار، وأسست دعائمه تحت مستوى سطح الأرض.

صحن أوسط يدخل إليه من ١٥ بابًا ومئذنة تظهر للعين من بعد.. والبهو الرئيس تزينه أشجار البرتقال

استمرت عملية البناء من غير توقف ولمدة أربعة أعوام، حتى وصل البناء إلى التسقيف، وشابه- إلى حد كبير- مسجد قرطبة الجامع من حيث الاتساع والفخامة، واهتم العرفاء ببناء قبة المحراب، وأودعوا فيها كل عبقريتهم.

المنبر

صُنع للمسجد منبر من أغرب ما قدر عليه من غرابة الصنعة، اتخذ من أكرم الخشب مفصلًا منقوشًا مرقشًا محكمًا بأنواع الصنعة والحكمة في ذلك، من غريب العمل، وعجيب الشكل والمثل، مرصّعًا بالصندل، مجزّعًا بالعاج والأبنوس، يتلألأ كالجمر بالشعل، وبصفائح من الذهب والفضة، وأشكال في عمله من الذهب الإبريز يتألق نورًا، ويحسبها الناظر لها في الليل البهيم بدورًا.

ثم أقيمت له مقصورة أحاطت بالمحراب والمنبر لصلاة الخليفة، وبني ساباك يربط بين المسجد والقصر؛ حتى يتسنى للخليفة أن يمشي فيه أثناء خروجه من قصره إلى الجامع للصلاة، وكان المسجد يشتمل على سبعة عشر رواقًا عمودية على جدار القبلة، البلاط الأوسط منها أكثر البلاطات اتساعًا، وعقود الجامع منكسرة تستند إلى دعائم من الآجر، وكان يدعم جدران الجامع الخارجية دعامات ضخمة لتدعيم الجدران، وافتتح الجامع في احتفال حضره الخليفة الموحدي أبويعقوب يوسف بن عبدالمؤمن، وولي عهده الناصر، وجميع بنيه وأشياخ الموحدين، والقاضي وأعيان المدينة، وخُطبت أول جمعة من على منبره بتاريخ ٢٤ ذي الحجة سنة ٥٧٧هـ.

المنارة الشامخة

بعد الافتتاح المبارك، أمر الخليفة الموحدي أبويعقوب يوسف بن عبدالمؤمن ببناء مئذنة شامخة للمسجد، إلا أنه تُوفي في هذه السنة فتوقف العمل، ولما تولى ابنه أبويوسف يعقوب المنصور الذي خلف أباه؛ أمَرَ والي إشبيلية بالإشراف على إتمام مشروع أبيه، وإكمال بناء مئذنة تجاوز في ارتفاعها مئذنة قرطبة، ولم توضع اللمسات الأخيرة النهائية بتعليق التفاحيح الذهبية بأعلى الصومعة إلا بعد فراغ هذا الخليفة من غزوة «الأراك» أو «الأرك» في شهر شعبان من سنة ٥٩١هـ، وارتفعت المئذنة في رشاقة مشرفة على سهول إشبيلية، لا صومعة تعدلها في جميع مساجد الأندلس، تظهر للعين على مرحلة من إشبيلية مع كوكب الجوزاء، تثير إعجاب المسلمين والنّصارى فيما بعد على السواء.

وصف المسجد

تخطيط الجامع هو عبارة عن مساحة مستطيلة يتبع طراز المسجد التقليدي، وهو الصحن الأوسط والأربع ظلات المحيطة به، ويُدخل إليه عبر خمسة عشر بابًا، سبعة منها في الضلعين الشرقي والغربي، والباقي في الضلع الشمالي، والباب الرئيسي يعرف بـ«باب الزعفران»، ومازال يحتفظ بمصراعيه، وصحن الجامع عرضي عرف باسم «بهو البرتقال»؛ لكثرة أشجار البرتقال المزروعة بأرضيته، ويحيط بالصحن

بائكات الظلات الأربعة، وظلة القبلة تشغل ثلثي مساحة الجامع، وتتكون من سبع عشرة بلاطة تسير عقودها عمودية على جدار القبلة، أما الظلتان الجانبيتان فتتكون كل منهما من بلاطة واحدة.

النهاية الحزينة

لما سقطت إشبيلية في يد «فرناندو الثالث» ملك قشتالة سنة ٦٤٦هـ، قام بتحويل المسجد الجامع إلى كنيسة أسماها كنيسة «سانتا ماريا»، وحفظت بها رفات فرناندو الثالث ملك قشتالة، وشُيّد بالجامع قبر للرحالة «كريستوفر كولومبس» مكان مربع المحراب، وظل المسجد قائمًا على تلك الحال دون أن تصيب عمارته أضرار جسيمة، وتلاحقت عليه بعد ذلك المصائب على إثر الزلازل التي ضربت البلاد، فاضطر المجلس الكنسي بإشبيلية إلى اتخاذ قرار بهدمه وبناء كاتدرائية إشبيلية مكانه، وبالفعل هدمت الجهة القبلية للجامع، ووضع حجر الأساس في البناء الجديد عام ٨٠٤هـ، وظل بهو الجامع المعروف بـ «بهو البرتقال» محتفظًا بسلامته إلى حد كبير، حتى تهدمت مجنبته الغربية عام ١٠٢٦هـ. ولم يتبق من جامع الموحدين إلا دعامات البائكتين الشمالية والشرقية المطلة على الصحن، وعدة عقود تطل على بهوه من جهتي الشمال والشرق، ومن بين هذه العقود عقد الباب المعروف بباب الغفران، ومصراعا الباب المصفح بالبرونز وكتاباته الكوفية.

أما المئذنة فقد تحولت بعد سقوط إشبيلية إلى برج للأجراس ملحق بالكنيسة، ثم أزالت إحدى الصواعق الجزء العلوي من المئذنة عام ٨٩٩هـ، كما سقط جزء آخر منها في زلزال عام ٩٠٩هـ، وأقام الإسبان مكان هذا الطابق العلوي طابقًا جديدًا من البناء عام ٩٧٤هـ، نُصب في أعلاه تمثال من البرونز يدور مع الرياح، ومن هنا أطلق عليه اسم «خيرالدة» أو «دوارة الهواء»، وتحول هذا الاسم إلى «خيرالدا»، وأصبح يطلق منذ أوائل القرن الثامن عشر على البرج بأكمله، ولا يخفى على الزّائر أنّ «الخيرالدا» اليوم هي إحدى معالم إشبيلية الخالدة، لدرجة أنّها جرت في وجدان وتراث الإشبيليين، حتّى كادت تضاهي سمعة نهرها (الوادي الكبير) الذي يحمل اللفظ العربي نفسه.

خاتمة

سقطت قرطبة عاصمة الخلافة القديمة، وكبرى قواعد الأندلس، ومثوى العلوم والآداب.. بعد أن ملكها المسلمون أكثر من خمسمائة عام، وكان سقوطها عام ٦٣٣هـ ضربة قاسية، وكارثة جسيمة في العالم الإسلامي كله، وعُدّ سقوطها نذيرًا مهددًا بخضوع معظم البلاد إما عاجلًا وإما آجلًا، وتبعها بالسقوط بلنسية عام ٦٣٦هـ، ودانية عام ٦٤١هـ، وجيان عام ٦٤٣هـ، وشاطبة ومرسية عام ٦٦٤هـ، وإشبيلية عام ٦٤٦هـ.

استولى النصارى على آخر المدن الإسلامية (غرناطة)، وخفق علم النصرانية فوق مآذن جوامعها، وطويت صفحة الأمجاد والبطولات بأصابع الخيانة والذل، وانتشرت أخبار مذابح الصليبيين في الممالك الإسلامية، وقد وصف الشاعر أبوالفداء الرندي (ت: ٦٨٤هـ) أفعالهم بقصيدته المعروفة:

لكلِّ شيء إذا ما تم نقصانُ
فلا يُغرُّ بطيب العيش إنسان
هي الأمورُ كما شاهدتها دُولٌ
من سره زمن ساءته أزمان
فاسأل بلنسيةً ما شأنُ مرسية
وأين شاطبةٌ أم أينَ جيّان
وأين قرطبة دار العلوم فكم
من عالم قد سما فيها له شان
حيث المساجد قد صارت كنائسَ
ما فيهم إلا نواقيسٌ وصلبانُ
حتى المحاريبُ تبكي وهي جامدةٌ
حتى المنابرُ ترثي وهي عيدان

وتقف مئذنة مسجد إشبيلية الجامع، ويبدو الشموخ عليها واضحًا رغم وضع الأجراس فوقها، وكأنها تقول: «هأنا مازلت مسلمة، وسيرجع إليّ المسلمون في يوم ما، ليملأوا سمائي نورًا وتكبيرًا».

غربت شمس الإسلام عن بلاد الأندلس، بعد أن أنارت هذه البلاد لقرون، أقاموا خلالها أروع حضارة عرفها الغرب، وكان من أثر حضارة الإسلام أن فتحوا أدمغة الغرب إلى العلم والحضارة، وأحيوا فيه إنسانيته، بعد أن عاش تحت الأوهام والخرافات قرونًا.

وبقيت حضارة المسلمين شاهدة وناطقة على المجد التليد الذي شيده المسلمون، فهاهو جامع إشبيلية وجامع قرطبة وقصر الحمراء والزهراء، معالم حضارية تحكي قصة المسلمين في الأندلس المفقود، قال أحدهم متألمًا:

وقفتُ بالزهراءِ مستعبرًا
معتبرًا أندب أشتاتًا
فقلت: يا زهراء ألا فارجعي
قالت: هيهات وهل يرجع من ماتَ؟!
فلم أزل أبكي وأبكي بها
هيهات يُغني الدمع هيهاتا

المراجع:
١- المسجد الجامع بقصبة إشبيلية، د.عماد عجوة.
٢- معجم البلدان لياقوت الحموي.
٣- العمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي، د.محمد محمد الكحلاوي.
٤- العمارة الإسلامية في المغرب والأندلس، د.أحمد التوني رستم.
٥- لماذا غربت شمس الإسلام عن الأندلس، د. أبو النور أحمد الزعبي.
٦- الأعلام، لخير الدين الزركلي.
٧- ابن العوام الإشبيلي، د.محمد هشام النعسان.
٩- المساجد والقصور في الأندلس، د.عبدالعزيز سالم.

هل تقود أدوية الإقلاع عن التدخين إلى الانتحار؟!

هدير جلال – القاهرة : دار الإعلام العربية

«وداعًا للتدخين، حياة بلا تدخين».. هذه بعض الوعود الكثيرة التي نتابعها في الإعلانات الخاصة بالأدوية المضادة للتدخين.. لكن هل فكر أحد منا في مدى صلاحية هذه الأدوية؟ وهل تعرف على نسب النجاح التي حققتها في القضاء على التدخين؟!.. الواقع أن دراسات عديدة أثبتت فشل هذه الأدوية في القضاء على التدخين، بل وأكدت المخاطر العديدة التي تسببها في التأثير على الحالة النفسية لمستخدميها، ما قد يؤدي بهم إلى الاكتئاب والانتحار، فضلًا على تسببها في العديد من الأمراض القاتلة كالسرطان وأمراض القلب والرئة.. «الوعي الإسلامي» سألت المختصين حول هذه الأدوية، وجاءتكم بالتفاصيل.

حالة من الحيرة يعيشها كل من يريد أن يقلع عن التدخين.. أيهما يصدق! هذه الإعلانات التي تعده بتقديم وسيلة سهلة تساعده على تحقيق حلمه بالتخلص من وباء التدخين، أم يصدق الدراسات العلمية التي تحذره من استخدامها، ومنها ما كشفته إحدى الدراسات من

أن الأدوية المضادة للتدخين أو تلك التي تساعد على الإقلاع عنه لها آثار جانبية خطيرة أبرزها الدخول في دوامة الاكتئاب التي قد تقود بدورها إلى الانتحار، وأوضحت الدراسة التي نشرتها المجلة (أتلانتك) الأمريكية أن نحو 90% من حالات الانتحار المبلغ عنها في الولايات المتحدة الأمريكية كانت لأشخاص يتناولون أدوية لمكافحة التدخين؛ لذلك طالبت الدراسة من يحاولون الإقلاع عن التدخين بالبحث عن وسائل أخرى لتجنب الأدوية المضادة للتدخين؛ لأنها تضر أكثر مما تنفع.

آثار جانبية خطيرة:

وبسؤال د.محمد رؤوف حامد، أستاذ علم الأدوية، والنائب السابق لرئيس هيئة الرقابة على الأدوية، عن صحة هذه الدراسات، أكد مصداقيتها، موضحًا أن لهذه الأدوية مخاطر عديدة من أهمها التأثير في الجهاز العصبي، فالتدخين يعني دخول النيكوتين إلى الجسم، وأي مادة تدخل إلى الجسم لكي تعطي آثارًا مقاربة للنيكوتين، يلزم أن يكون لها آثار جانبية خطيرة متعلقة أكثر بالناحية النفسية.. ومعروف أن الدواء المقصود في هذه الدراسة يتكون من مادة «فارينكلين»، التي تتكون من نيكوتين لكنه أضعف من النيكوتين الموجود في السجائر العادية، وأي دواء من هذه النوعية يحدث تلوثًا في الجسم، فضلاً على أن مثل هذه الأدوية يكون لها آثار جانبية غير معروفة من قبل، وهذا أمر خطير؛ لذلك تحتاج إلى المتابعة وإلى إجراء كثير من التجارب للتأكد من صلاحيتها وكيفية الحد من خطورتها.

وأوضح حامد أن معظم هذه الأدوية تسبب تأثيرات نفسية خطيرة، كأن تجعل الشخص أكثر توترًا، وأكثر إحباطًا ما قد يدفعه إلى الانتحار، ولعل هذه التأثيرات هي التي دفعت إحدى شركات الأدوية المسؤولة عن بيعه في مصر إلى الإعلان عن تأثيراته الجانبية.

كما أكد عدم اقتناعه بهذه النوعية من الأدوية، موضحًا أن علاج إدمان التدخين أو إدمان المخدرات، يلزم أن يتم وفقًا للأسلوب العلمي الذي ثبت نجاحه في علاج الإدمان، عن طريق إعطاء جرعات من نفس المادة التي يتناولها الشخص، لكن يتم التقليل التدريجي من هذه الجرعات؛ فمثلاً يتم إعطاء الشخص 50 سيجارة في الشهر الأول ثم 40 في الشهر الثاني و30 في الشهر الثالث وهكذا إلى أن يتم سحب آثار هذه المادة نهائيًا من الجسم، وهنا يلزم أن يتم متابعة هذا العلاج عند أحد المتخصصين.

ويتم هذا العلاج بالتوازي مع علاج آخر وهو «العلاج السلوكي النفسي»، الذي يتم عن طريق وضع أسئلة تطرح على الشخص لمعرفة اهتماماته، ويتم الاستفادة من ذلك بتوفير أعمال تشغل الشخص عن التفكير في التدخين، مثل ممارسة هواية معينة كالقراءة أو لعب إحدى أنواع الرياضة المفضلة لديه، فالشوق للتدخين يقل عندما يبدأ الشخص بتنمية مهارته أو الاهتمام بأشياء أكثر منفعة، وبفضل هذا العلاج تقل التأثيرات الناتجة عن انسحاب النيكوتين من الجسم بطريقة آمنة.

لم تثبت فعاليتها!

وأتفق معه د.رفعت أبوالفتوح، أستاذ أمراض الصدر والحساسية، مؤكدًا أن معظم الأدوية المضادة للتدخين وكذلك السيجارة الإلكترونية، لم يثبت فعاليتها بعد في مكافحة التدخين، فهي مازالت تحت البحث والتجريب، فضلاً على عدم استخدامها من قبل العديد من الأشخاص؛ لذلك نتائجها غير مؤكدة بعد.

وأضاف «أبوالفتوح» بأن العامل الحقيقي المؤثر في قدرة الشخص على الإقلاع عن التدخين هو رغبة وإرادة هذا الشخص؛ أي هل يريد إنقاذ نفسه ومن حوله من مخاطر التدخين أم لا؟، فالرغبة القوية تغني عن الاستعانة بأية أدوية، والعكس لو استعان الشخص بكافة الأدوية الموجودة في العالم ولم يكن لديه الرغبة الحقيقية للإقلاع عن التدخين لن تفيده هذه الأدوية، وأكد «أبوالفتوح» على المخاطر الكبيرة للتدخين بقوله «أنصح كل أب أو شاب أن يقلع عن التدخين لحماية نفسه ومن حوله، فتأثير التدخين لا يعود فقط على الشخص المدخن بل أيضًا على الآخرين».

وحدّد «أبوالفتوح» أهم مخاطر التدخين على الجسم بقوله: ليس صحيحًا أن التدخين يؤثر في الرئتين والقلب فقط، بل تمتد آثاره للجسم بأكمله مسببًا العديد من الأمراض منها النزلات الشعبية الحادة التي من شأنها التأثير في الرئتين وعلى عضلة القلب، كذلك يسبب سرطان الرئة والحنجرة، وارتفاع ضغط الدم، والذبحات الصدرية وقرح المعدة، إضافة إلى الشيخوخة المبكرة،

حيث يضعف جسم الشخص ويصبح غير قادر على القيام بأي شيء يتطلب قوةً بدنيةً.

وأردف أبوالفتوح قائلاً: إن مخاطر التدخين تمتد إلى الجنين في رحم الأم، فإذا كانت الأم مدخنة أو تعرضت لاستنشاق كمّ كبير من دخان السجائر قد يؤدى ذلك إلى أنّ تلد أطفالاً مشوهين، وللتدخين آثار سلبية على نمو الجنين والحالة الغذائية للأطفال حديثي الولادة، حيث إنهم يعانون صعوبة في النمو بشكل طبيعي، كما أن أوزانهم تكون أقل من نظائرهم في السن، كما يؤدى أيضًا إلى الولادة المبكرة أو الإجهاض.

الإرادة القوية:

ولأن الإقلاع عن التدخين هو الهدف الأسمى الذي يسعى إليه معظم المدخنين، ومنهم من ينجح في ذلك ومن يفشل؛ لذلك يؤكد د.نبيل الزهار، أستاذ علم نفس بكلية التربية جامعة قناة السويس، أن المدخن شخص ضعيف الإرادة، فهو يعتمد على التدخين كشيء أساسي في حياته، ولا يستطيع العيش بدون دخول النيكوتين في جسده؛ لذلك أصبحت كل أهدافه تنصب على إشباع هذا الجانب بغض النظر عن مدى الأضرار التي ستعود عليه؛ لذلك تجده دائمًا شديد العصبية ويعاني حالة من التوتر الدائم.

وأكد «الزهار» أن الإرادة القوية هي العامل الأساسي والأكثر أهمية للمساعدة على الإقلاع عن التدخين، فالشخص الذي يرغب في الإقلاع عن التدخين يجب أن تتولد لديه الإرادة القوية حتى يتمكن من ذلك، وهذه الإرادة لا تتواجد في الغالب إلا بعد فوات الأوان؛ أي عند وقوع الشخص في مشكلة صحية خطيرة كإصابته بمرض في القلب كتصلب الشرايين أو مشكلة في الرئتين أو الصدر وغيرها من الأمراض الخطيرة التي تكون نتيجة طبيعية للتدخين، فهنا ينصح الطبيب المريض بالإقلاع عن التدخين وإلا فأنه يسبب المزيد من المشاكل الصحية التي قد لا يمكن حلها.

وأوضح «الزهار» أن دعم الأسرة أيضًا له دور كبير جدًا في تشجيع الفرد على الإقلاع عن التدخين، وأكد على ضرورة أن يكون هذا الدعم معنويًا وعاطفيًا، وألا يكون في شكل إهانة أو إجبار؛ لأن ذلك سيأتي بنتيجة عكسية تجعل الشخص يتمسك أكثر بالتدخين..مؤكدًا أن الدراسات العلمية أثبتت أن معظم المدخنين يقومون بعملية التدخين في البداية كتقليد منهم لآبائهم، فإذا كان الأب مدخنًا يصبح الابن مدخنًا أيضًا، والأمر لا يتوقف فقط على الآباء بل أيضًا على الأشخاص وثيقي الصلة أو شديدي القرابة لهذا الشخص، حيث يتوحد معهم، ومن ثمّ يبدأ في تقليدهم، ومن هنا وجّه «الزهار» طلبًا لكل أب حريص على صحة أبنائه بأن يتوقف عن التدخين حتى لا يقلدونه لاحقًا.

تدخين تليفزيوني!

كشف صندوق مكافحة وعلاج الإدمان والتعاطي التابع لرئاسة مجلس الوزراء المصري، عن ارتفاع نسب مشاهد التدخين وتعاطي المخدرات في الدراما التليفزيونية الرمضانية من 51 ساعة خلال عام 2010 إلى 71 ساعة خلال عام 2012.

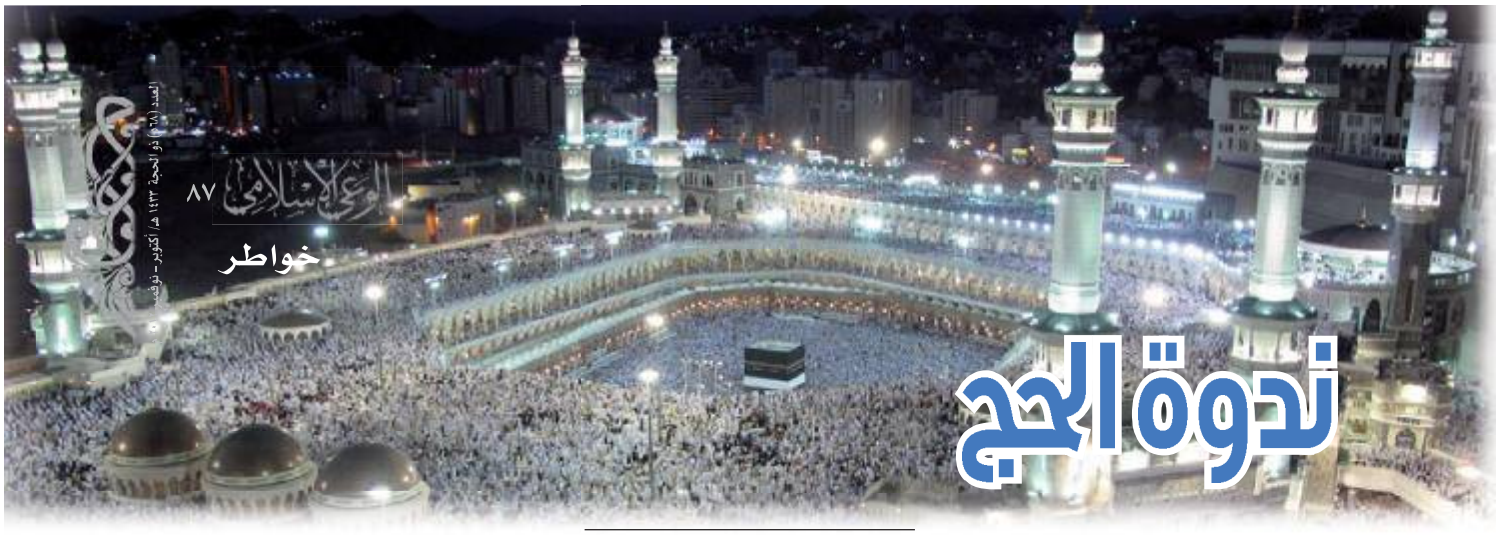

ندوة الحج

محسن عبدربه
ناقد أدبي

عقدت الندوة الشهرية لأسرة أبي أحمد، وبدأت أمينة الندوة أم أحمد الندوة بقولها: زوجي العزيز أبا أحمد، أبنائي محمد أحمد محمود محمدي حمادة حمدي، بناتي نورا عزة علا إيمان توحيدة.. يقول الله- عز وجل- ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ. فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٦-٩٧). رفع الابن محمد يده قائلًا: لقد تعلمنا أن الاسم المفرد يكون مجرورًا بالكسرة، فلماذا جاءت كلمة ببكة مجرورة بالفتحة؟! قالت أم أحمد: لأنها ممنوعة من الصرف أي التنوين، للعلمية والتأنيث.

قالت توحيدة: وما معنى كلمة بكة؟ ولماذا سميت بذلك؟!

قالت أم أحمد: بكة بالباء لغة في مكة، سميت بذلك لأنها تبك أعناق الجبابرة، أي تدقها، قال حمدي: ما معنى الحج في اللغة؟! قالت أم أحمد: الحج في اللغة هو القصد، قال محمدي: وما المراد بالاستطاعة؟! قالت أم أحمد: تحمل مشاق السفر إلى البيت الحرام، قالت عزة: ما معنى ﴿أول بيت وضع للناس﴾؟! قالت أم أحمد: إن أول بيت بني لعبادة الله، هو الذي ببكة، قيل: هو أولها من حيث القدم، وقيل: من حيث الشرف، قالت علا: ما معنى ﴿آيات بينات﴾؟ وما هي تلك الآيات؟!

قالت أم أحمد: آيات واضحات، منها مقام إبراهيم، ومنها أن من دخله يأمن على نفسه ولا يتعرض له أحد، عند أبي حنيفة: من دخله لا يقبض عليه ولو كان قاتلًا، بل يرجأ إلى الخروج، قالت نورا: ما معنى ﴿ولله على الناس حج البيت﴾؟ قالت أم أحمد: فرض الله على الناس حج البيت أي: قصده، قال أبو أحمد: ما معنى الحج وما أشهره؟! وما معنى قوله تعالى: ﴿فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدالَ فِي الْحَجِّ﴾ (البقرة: ١٩٧)؟! قالت أم أحمد: المراد بالحج وقته، وأشهر الحج هي شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة، وقيل كله. فلا رفث: فلا مباشرة للنساء أو فلا فحش في الكلام، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَلا فُسُوقَ﴾ ولا خروج عن حدود الشريعة، ومعنى قوله تعالى ﴿وَلا جِدالَ فِي الْحَجِّ﴾ أي: ولا خصام مع الرفقاء، قال حمادة: ما معنى الإفاضة من عرفات؟! قالت أم أحمد: النزول منه، قال أحمد: ما معنى المشعر الحرام؟! ولماذا سمي مشعرًا؟! قالت أم أحمد: المشعر الحرام جبل يقف عليه الإمام، وسمي مشعرًا لأنه معلم العبادة، قال محمود: ما معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾؟ ولمن الخطاب؟! وما سبب نزول هذه الآية؟! قالت أم أحمد: ثم انزلوا من عرفة حيث ينزل الناس، لا من المزدلفة لتترفعوا عن الخلق، والخطاب لقريش.. فقد كانت تترفع عن الناس فنزلت هذه الآية لردعها عن ذلك.

قالت إيمان: ما المراد بالمناسك؟! قالت أم أحمد: العبادات المختصة بالحج، قال أبو أحمد: ما معنى قوله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾؟ وما سبب نزول هذه الآية؟! وما الإشعار في هذا؟! قالت أم أحمد: ليس عليكم إثم ولا ذنب أن تطلبوا فضلًا من ربكم بالتجارة في أثناء أشهر الحج، وقد كانوا في الجاهلية يقيمون أسواقًا للتجارة، فلما جاء الإسلام تأثموا من ذلك فنزلت هذه الآية تبيح لهم الاتجار في أشهر الحج، وهذا إشعار لهم أن هذا الدين لم يفرض عليهم ليحرمهم من الكسب ويعطل مواهبهم، ولكن ليهديهم أقوم السبل ويحفزهم إلى أسمى الغايات.

قالت عزة: ما معنى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ (البقرة: ٢٠٠)؟ قالت أم أحمد: فإذا أتممتم عبادتكم الخاصة بالحج فاذكروا الله بقدر ذكركم آباءكم أو أكثر، وقد كانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فذكروا مفاخر آبائهم ومحاسن أمهاتهم. قال حمدي: ما المراد بالأيام المعدودات في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ (البقرة: ٢٠٣)؟! قالت أم أحمد: أيام التشريق الثلاثة. قالت توحيدة: ما معنى وأذن؟ أي: وأعلم، الخطاب لإبراهيم عليه السلام، رجالًا: أي مشاة، جمع رجل، ضامر: أي مهزول هزله السفر، ضمر البعير يضمر ضمورًا. فج الفج: الطريق الواسع المحصور بين جبلين، جمعه فجاج. عميق: بعيد القاع.

قال أبو أحمد: يا أبنائي، الحج ركن من أركان الإسلام الخمسة، وفيه يلتقي المسلمون من جميع الأجناس والألوان تلبية لخالقهم وحبًّا له، تظهر فيه وحدتهم وقوتهم ومهابتهم، فيعمل لهم الآخرون ألف حساب، كما أن في الحج تذكيرًا بالآخرة: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٦).

إعداد : محمود محمد الكبش
باحث بوحدة البحث العلمي في إدارة الإفتاء

شرطُ العلمِ فيمَن تصدّر للفتوى وعُرِف بها:

عَرَفَ الصّحابةُ قيمةَ العلمِ في حياةِ العالمِ والمتصدّرِ للنّاسِ تعليمًا ودرسًا؛ فكان أحدهم لا يتكلّم إلا بما عَلِمَ، ولا يحدّث إلّا بما سَمِعَ، ولا يَخوض في شأن الفتوى وإرشاد النّاس إلّا العالمون منهم، ولا تُعقَد المجالسُ إلا لمن عُرِف بالفهْم والتقوى، ولا يفتي في الحلال والحرامِ وأحوال النّاس إلا مَن توافرتْ فيه شروطُ المجتهدين.

وقد وَرَدَ عن الصّحابةِ ما يدُلُّ على أهميّة هذا الشّرط والتزامِه منهجًا علميًا وعمليًا في حياتهم، فأقوالهم دلّتْ على سيرتِهم، وحثُّهم النّاسَ على العلمِ وترغيبهم فيه واضحٌ، ونَهيُهم مَن ليسَ أهلاً في العلم أن يخوضَ فيها منهجٌ متّبعٌ، وتحذيرُهم من المتعالمين الّذين يفتون النّاس في كلّ شيء ولا يتورّعون شرعةً ودينٌ؛ وبذلك عظّموا شأنَ الفتوى؛ فلم يُؤثَرْ عنهم شيءٌ من أغاليطِ الجهّال، أو شواذّ المسائل والأحكام.

وممّا أُثِرَ من أقوالهم في صفة المفتي ونعتِه وحالِه، بل ويمكن اعتبارُه مَعْلَمًا من معالمِ المنهجِ الّذي سار عليه مَن قعّد لهذا الفنّ، وَوَضَعَ أصولَه وضوابطَه- من العلماء والأصوليّين- ما يلي:

١- عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنّه قال: «ألا أُنبِّئُكم بالفقيه حقّ الفقيه؟ مَن لم يقنّط النّاسَ من رحمة الله، ولم يرخّص لهم في معاصي الله، ولم يؤمّنهم مكرَ الله، ولم يترك القرآنَ إلى غيره، ولا خيرَ في عبادة ليس فيها تفقّهٌ، ولا خير في فقه ليس فيه تفهّمٌ، ولا خير في قراءة ليس فيها تدبّرٌ» (رواه الدّارميّ: (١/٨٩)، والآجري في «أخلاق العلماء»: (ص: ٧٢)).

فتاوى الوعي

حديثُ النّبيِّ ﷺ في تغييرِ المنكرِ

السّؤال الثّاني من الفتوى رقم (٣٦٣٣)

عرض على «اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» بالسّعودية السّؤال التّالي:

حديث (تغيير المنكر)؛ هل المقصود: لكي يتغيّر المنكر أن نترك المكان الذي به منكر، أم نظلّ.. ونكرهه، وننكرُه بقلوبنا؟ أفيدونا مأجورين.

فأجابت بما يلي:

المسلمون في إنكار المنكر درجات؛ منهم من يجب عليه إنكارُ المنكر بيده؛ كولي الأمر، ومن ينوب عنه ممن أعطي صلاحية لذلك، كالوالد مع ولده، والسيد مع عبده، والزوج مع زوجته؛ إن لم يكف مرتكب المنكر إلا بذلك، ومنهم من يجب عليه إنكاره بالنصح، والإرشاد، والنهي، والزجر، والدعوة بالتي هي أحسن؛ دون اليد والتسلط بالقوة؛ خشية إثارة الفتن وانتشار الفوضى، ومنهم من يجب عليه الإنكار بالقلب فقط؛ لضعفه نفوذًا ولسانًا، وهذا أضعف الإيمان، وقد بيّن النّبيُّ ﷺ ذلك في قوله: «من رأى منكم منكرًا فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وإذا كانت المصلحة الشرعية في بقائه في الوسط الذي فشا فيه المنكر أرجح من المفسدة، ولم يخش على نفسه الفتنة بقي بين من يرتكبون المنكر، مع إنكاره حسب درجته، وإلا هجرهم محافظة على دينه.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

ضلال الآخرين

الموضوع (١٩٩٧/٦١)

سئلت «لجنة الفتوى في الأزهر الشريف» السؤال التالي:

أرجو تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ وهل من الحديث ما يقال: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»، وهل تناقضٌ بين الآية والحديث؟

فأجابت اللجنة بالتالي:

هذه الآية تنصّ على أنّ الإنسانَ لا يتحمّل وزرَ غيرِه إذا كان هو مهتديًا، لكنّ الاهتداء لا يكون إلا بالقيام بالواجبات، ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالسّكوت على المنكر ممنوع، ولابُدّ من تغييرِه بإحدى الوسائل الممكنة، ففي الحديث الشريف: «من

وهذا القول جامعٌ في بابِه؛ لاشتماله على جملةٍ من الشّروط التي يجب أن تتوافرَ في المفتي مِن: رحمةٍ بالنّاس، وصدقٍ في الإفتاء، وعدم تهاونٍ في تـرْكِ النّـاس ومعـاصيهم، وضَبطِ الرُّخص في الأحكام، واشتراطِ العلم، وفهم الواقع والحال، واعتمادِ القرآن والسُّنّة مستندًا في الفتوى، وتركِ الفتوى بلا علم.

٢- وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما أنّه قال: «مَنْ أفْتَى الناسَ بفُتْيا وهُو يَعْمَى عنها؛ فإنّما إثمُها عليه» (رواه الدارمـيّ: (١٦٠)، والبيهقي في «المدخل» ص (١٧٩)).

٣- وعن ابن سيرين رحمه الله أنّه قـال: قـال حذيفـة رضي الله عنه: «لا يفتي النّاسَ إلّا ثلاثةٌ: رجلٌ قد عَرَف ناسخَ القرآن ومنسوخَه، أو أميرٌ لا يجد بُدًّا، أو أحمقُ متكلّف» (رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله»: (٢٢١٤)).

٤- وعن نافع رحمه الله عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: «العلم ثلاثةٌ: كتابٌ ناطقٌ، وسُنّة ماضيةٌ، و(لا أدري)» (رواه الخطيب في «الفقيه والمتفقه»: ص(٧٢٠)).

وقد أشار الإمام الخطيب البغدادي رحمه الله إلى ما يستفاد من الآثار الواردة عن الصحابة في اشتراط العلم فقال: «أصول الأحكام في الشّرع أربعة: أحدُها: العلمُ بكتاب الله، على الوجه الّذي تصحّ به معرفةُ ما تضمّنه من الأحكام: محكمًا ومتشابهًا، وعمومًا وخصوصًا، ومجملاً ومفسرًا، وناسخًا ومنسوخًا. والثّاني: العلمُ بسُنّة رسول الله ﷺ الثابتة من أقواله وأفعاله، وطرقِ مجيئها في التّواتر والآحاد، والصّحة والفساد، وما كان منها على سبب أو إطلاق. والثّالث: العلمُ بأقاويل السّلَف فيما أجمعوا عليه، واختلفوا فيه؛ ليتبعَ الإجماعَ، ويجتهدَ في الرّأي مع الاختلاف. والرّابع: العلمُ بالقياس الموجب؛ لردّ الفروع المسكوت عنها إلى الأصول المنطوق بها، والمجمَع عليها؛ حتّى يجدَ المفتي طريقًا إلى العلم بأحكام النّوازل، وتمييز الحقّ من الباطل، فهذا ما لا مندوحةَ للمفتي عنه، ولا يجوز له الإخلالُ بشيء منه» «الفقيه والمتفقّه»: ص(٦٩٣)).

رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»، فمن لم ينكر المنكر لا يكون مهتديًا، والإنكار يتّفق مع الحديث: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم» فلا يوجد تناقض بين الآية والحديث، ويوضّح هذا ما رواه أبو داود والترمذي وغيرهما عن قيس قال: «خطبنا أبوبكر الصديق رضي الله عنه فقال: إنكم تقرؤون هذه الآية وتتأولونها على غير تأويلها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (المائدة: ١٠٥)، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه؛ أوشك أن يعمّهم اللهُ بعذابٍ مِن عندِه» وهو حديث حسن صحيح.

وروى أبوداود والترمذي وغيرهما عن أبى أمية الشعباني قال: أتيت أب ثعلبة الخشني؛ فقلت له: كيف تصنع بهذه الآية؟ فقال: أيّة آية؟ قلت: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾، قال: أما واللّه لقد سألتَ عنها خبيرًا، سألتُ عنها رسول اللّه ﷺ فقال: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحًّا مطاعًا وهوىً متبعًا ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه؛ فعليك بخاصة نفسك، ودعْ عنك أمرَ العامة، فإنّ من ورائكم أيامًا: الصبرُ فيهن مثلُ القبض على الجمر، للعامل فيهن مثلُ أجرِ خمسين رجلاً يعملون مثلَ عملكم»، والكلام كثير في هذا الموضوع.

وخلاصتُهُ: أنّه لابُدّ من الاهتمام بأمر المسلمين، ومنه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فإذا فعل ذلك فقد اهتدى، وبالتالي لا يقع عليه وزرُ مَن ضَلّوا الطريقَ.

السّكوت عن رشوة الموظّف

(٦/٤٠ع/٨٤)

(٣٢٩) عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التالي، ونصُه:

هل يجوز للموظّف تبليغُ رئيسه عن المرتشي، أو السّارق، أو الذي يستغل وظيفتَهُ (سواء كان زميلاً له، أو رئيسًا له، أو مسؤولاً عنه) في تحقيق مصالحه الشخصيّة، حيث سمعتُ أنّه لا يجوز قطعُ الأرزاق مع وضوح الحديث: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» (أخرجه مسلم).

أفتونا فيما نحن مختلفون فيه، وجزاكم الله خيرًا.

وقد أجابت اللجنة بالتّالي:

في مثل هذه الحال يجب على من يطّلع عليه أن ينصحَه سرًّا، فإن لم يرتدعْ؛ أنذرَهُ بأنّه سيبلغ الأمر لرؤسائه، فإن لم يرتدع أيضًا: أبلغ الأمر إلى من يستطيع منعَهُ مِن هذه التّصرفات: والله أعلم.

إعداد : خالد محمد خلاوي

تعرف على الوظائف الجديدة في بريد مايكروسوفت Outlook

أطلقت شركة «مايكروسوفت» أخيرًا خدمة بريد إلكتروني جديدة باسم Outlook وهذه الخدمة الجديدة ستكون البديل لخدمة البريد الإلكتروني الشهيرة الهوتميل، وركزت مايكروسوفت في خدمة بريدها الإلكتروني الجديدة على البساطة في التصميم وسهولة الاستخدام والسرعة في استخدام وظائف البريد الإلكتروني.

ومن مميزات بريد «مايكروسوفت» الجديد إمكانية ربطه مع حساباتك في الشبكات الاجتماعية للتواصل معهم من خلال البريد، وأيضًا يمكن ربط حسابك في تطبيق المحادثة «سكايب» مع البريد ومن ثم إجراء محادثة الصوت أو الفيديو من داخل البريد مباشرة بالإضافة إلى دمج خدمة الحوسبة السحابية SkyDrive في خدمة البريد الإلكتروني

الجديدة فإن المستخدم يتمكن من إرسال المرفقات كبيرة الحجم.

وتعد شركة "مايكروسوفت" بأن الخدمة الجديدة لن تقوم بتحليل رسائل البريد الإلكتروني لعملائها، فضلًا عن عدم استخدامها لأغراض الدعاية والتسويق، بالإضافة إلى أن خدمة البريد الإلكتروني الجديدة ستكون خالية من الإعلانات.

وأوضحت الشركة أن عملاء خدمة البريد الإلكتروني

إصدار النسخة الثانية من تطبيق «كتابي»

يعتبر تطبيق «كتابي» من أهم التطبيقات التي تشد الانتباه على جهاز «الآيفون» لما يحتويه من كتب قيمة يتجاوز عددها المائتي كتاب، وتغطي مختلف الموضوعات.. فمنها ما هو ديني ومنها ما هو تربوي ومنها ما هو ثقافي، ويتيح التطبيق تصفح فهرس الكتاب للتأكد من محتواه وملاءمته لاهتماماتك، بالإضافة إلى مشاركة آرائك وتعليقاتك وتبادل النقاشات لتكون تجربة قراءة تفاعلية مميزة.

وبحسب موقع عالم التقنية فإن مجموعة Froot المتخصصة بتطبيقات الهواتف المحمولة الذكية والمملوكة من قبل شركة الحلول التقنية أطلقت النسخة الثانية من تطبيق «كتابي» ومن أهم التحديثات التي جاءت في هذا الإصدار ما يلي:

إمكانية استعراض والبحث عن كتبك المفضلة بسهولة حسب اسم الكتاب والتصنيف واسم المؤلف.

إضافة خاصية استرجاع الكتب، التي تمكنك من استرجاع كتبك المشتراة سابقًا.

إمكانية تسجيل الدخول للحصول على كتب مجانية.

تشغيل القراءة الليلية، لقراءة أسهل ليلًا.

إضافة علامات للقراءة، والبحث داخل الكتاب.

دعم فني مباشر (Live Chat Support) لحل جميع مشاكل القراء.

Hotmail يمكنهم تسجيل الدخول في الموقع www.outlook.com بنفس بيانات المستخدم والتحويل إلى خدمة البريد الإلكتروني الجديدة، إلا أن عملية التحويل ليست إجبارية نظرًا لأن العناوين القديمة التي تنتهي بـ «@hotmail.com» ستظل سارية بعد عملية التحويل.

وبالإضافة إلى ذلك يتمكن المستخدم حسب الرغبة من الحصول على عنوان Outlook جديد إلى جانب العنوان القديم للبريد الإلكتروني.

ويتم استعمال خدمة البريد الإلكتروني Outlook الجديدة على الهواتف المحمولة المزودة بنظام تشغيل «جوجل أندرويد» عن طريق التطبيق المجاني من Hotmail.

أكثر من ١٠ مليارات رسالة يوميًا على برنامج «واتس أب»

أعلنت خدمة المراسلة الفورية الشهيرة «واتس أب» whatsapp من خلال حسابها في «تويتر» عن وصول عدد الرسائل اليومية في الخدمة إلى ١٠ مليارات رسالة عبر الهواتف الذكية، وقالت الشركة إن عدد الرسائل المستقبلة وصل إلى ٤ مليارات رسالة و٦ مليارات للرسائل المرسلة. وتعتبر خدمة «واتس أب» من أشهر خدمات المراسلة الفورية التي استطاعت أن تستقطب الملايين من المستخدمين حول العالم وجعلت الناس تنسى استخدام الرسائل النصية التقليدية.

كيف تجعل حسابك في «تويتر» حسابًا معتمدًا؟

يلاحظ متصفح موقع «تويتر» أن بعض الحسابات على الموقع تظهر بجوار أسماء أصحابها علامة (√) وحولها دائرة زرقاء بهذا الشكل، هذه الحسابات هي الحسابات المعتمدة أو الموثقة من «تويتر»، يعرفها «تويتر» نفسه بأن التحقق هو نظام للتحقق من صحة الهويات علي موقع «تويتر» وذلك لمنع الالتباس ويُمكن المستخدمين من اكتشاف مصدر المعلومات الحقيقي بسهولة، إلى جانب شعار التوثيق ستجد عبارة «Verified Account» أي حساب موثق.

وذكر موقع عالم التقنية أن «تويتر» بدأ اعتماد هذا النظام من عام ٢٠٠٩ وهو موجه أساسًا للشخصيات العامة والمشاهير لإثبات صحة حساباتهم والتحقق من الحسابات الحقيقية من المزيفة لمنع تقمص أو استعارة أسمائهم ونسب أشياء وتصريحات إليهم أو حتي لتشابه الأسماء، وبالتالي فبكل سهوله أنت كمستخدم عندما تبحث مثلا عن حساب الرئيس الأميركي باراك أوباما سوف تظهر حسابات كثيرة بهذا الاسم، ولكن الحساب الموجود بجانبه تلك العلامة هو الحساب المعتمد الحقيقي للرئيس الأميركي.

وطبقا للتصريحات الرسمية لشركة «تويتر» فإن نظام الحسابات المعتمدة لا يتعامل إلا مع الأشخاص ذوي الشهرة والموثوقية العالية والذين يعانون من تشابه الأسماء أو التدليس كشرط أولي للقبول مثل الرؤساء أو رؤساء المؤسسات الحكومية أو المنظمات الدولية أو السياسيين أو الفنانين أو المشاهير عامة من رياضيين أو كتاب أو مؤلفين وغيرهم من الشخصيات العامة بالإضافة إلى دفع مبلغ ١٥ ألف دولار لجعل حسابك معتمدًا.

أخيرًا هل تريد معرفة كل الحسابات المفعلة في العالم ومجمعة في مكان واحد؟ ادخل على هذا الحساب الخاص بدعم «تويتر»..

ستجد كل الحسابات المفعلة، وهي حتى الآن وصلت لما يساوي نصف مليون حساب حول العالم للمشاهير والحكومات والمؤسسات والشركات الكبيرة.

https://twitter.com/#!/verified/following

تابع جميع حساباتك وإيميلاتك من موقع واحد

يقدم موقع Alternion خدمة متابعة جميع حساباتك في الشبكات الاجتماعية والبريد الإلكتروني من مكان واحد، حيث يدعم الموقع أكثر من ٢٢٠ موقعًا وشبكة اجتماعية وأشهر خدمات البريد الإلكتروني، كل ما عليك هو التسجيل في الموقع بحساب «تويتر» أو «الفيسبوك» ومن ثم أضف حساباتك في الشبكات الاجتماعية الأخرى وإيميلاتك وتابعها جميعًا من هذا الموقع، ويوفر الموقع أيضًا صفحة خاصة لعرض الصور التي شاركها أصدقاؤك وصفحة أخرى للفيديو.

رابط الموقع : www.alternion.com

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم ومساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
aelbarbary@live.com

النص الرقمي في عصر الثورة الرقمية

التقنية الحديثة لم تعد خيارًا لدى المبدع هكذا يرى كثير من الأدباء والنقاد لاسيما المتحمسين منهم للثورة الرقمية، ومادامت التقنية الحديثة قد دخلت في خصوصيات المبدع الحياتية فإنه من عدم الانصاف أن نؤمن بأثر التقنية في حياتنا العامة ولا نلتفت إلى تأثيرها في الأفكار والرؤى، ولقد توقع بعضهم تقدم الأدب الرقمي على الساحة الأدبية بل وظهور أجناس أخرى من رحم الثورة الرقمية تبعًا لما يستجد على الساحة الالكترونية، فنحن في زمن الصورة والحركة واللون والإبهار وكل ذلك يجد رواجًا عند المتلقي فالكتاب الإلكتروني مثل الذي يقدم النص من خلال وسائط مصاحبة استقبله الكثير من القراء بالترحاب لأن عملية توظيف التكنولوجيا في عملية الكتابة يمكن الكاتب من بث حياة جديدة في نصوصهم من خلال استخدامهم للوسائط المصاحبة التي تمتع المتلقين وإذا كانت كل مجالات المعرفة قد استقبلت التقنية الحديثة بالترحاب الواسع فأولى بالأدب ألا يكون بمنأى عن التكنولوجيا والثورة الرقمية التي خلقت مجتمعًا افتراضيًا جديدًا يتشكل من خلال فضاء العالم الافتراضي والذي يطلق عليه العلماء (المجتمع الرقمي) وهو لاشك يختلف عن المجتمع الواقعي ليس في عالم التجارة الإلكترونية فحسب ولكن كذلك في العلاقات الإنسانية والعاطفية أيضًا وهذا التطور خلق منظومة من القيم والأخلاقيات الخاصة بالإنسان الافتراضي ولابد للأدب الرقمي أن يعبر عن هذا الإنسان ومجتمعه الذي يعيش فيه.

إن التاريخ الأدبي يقول إن ميشيل هويس هو أول من أصدر رواية تفاعلية في العالم بعنوان (الظهيرة) ١٩٨٦ ثم توالت بعده الروايات التفاعلية في الأدب الغربي، وعند إصرار الناقد الأردني محمد سناجله التنظيري في الواقعية الرقمية تحت عنوان (رواية الواقعية) وتلتها أعمال أخرى مثل شات– صقيع وغيرهما قوبلت أعماله برمتها للاستنكار والرفض وأصحبنا أمام إشكالية وجود الأدب الرقمي على الساحة الأدبية، فدعاة القدامة في العالم العربي متمسكون بالكتابة الورقية، ويكيلون الاتهامات لأصحاب النهج الجديد الذين جاءوا في نظرهم بأدب يقيض أركان قرون كثيرة من الكتابة الورقية ويصفون الأدب الرقمي بأنه أدب بلا مشاعر إنسانية.

• **محمد أحمد عبدالقادر محمد**

المحرر:

جزاكم الله خيرًا أخي محمد المدرس بالأزهر والخطيب بالأوقاف ولعلنا نحتاج لمثل هذه المساهمات التي تفتح نافذة أمام ما هو جديد في عالم الأدب والفكر.

«في رياض الذكر»

الذكر يبعث الرغد
حيي، هدى، حمى البشر
يسري فكم يروي أمنًا
يأسوا فكم يشفي ضرًا
أنس الديار الخالية
صحو النفوس الغافلة
نور الشموس الباهية
والروضات الناضرة
والنسمات الشادية
والرحمات النادية
بالنبضات الذاكرة

• **محمد دنيا**

المحرر:

الأخ الكريم محمد طلعت محمد دنيا وصلتنا مشاركتكم الشعرية وهي خمس قصائد ونشكرك عليها وسيتم نشرها تباعًا في هذا الباب لضيق المساحة في «المتن».

محاكاة

شرف الشعر العبري بما قدمه الشعراء في مدح الحبيب محمد ﷺ ليتقوا به ظمأ نفوسهم ونفوس المؤمنين في شتى بقاع الأرض، وهم في الحقيقة يسهمون بدور كبير في ربط المسلم برسوله الكريم ليتمكن من الاقتداء والتأسي.. من هنا اختلف الشاعر في مدح المصطفى عن الشاعر في مدحه إنسانًا آخر، لأن المدح في رحاب النبي موظف في مقصد آخر غير مقاصد الشعراء من مدحهم العام، كما اختلف الشعر نفسه، فشعر المديح الدائر حول النبي

المعاصي تزيل النعم

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (التوبة: ٤٦).

عندما قرأت هذه الآية تأسفت، نعم تأسفت يا إخوتي، تأسفت على حالنا اليوم، لقد تراءت لي الكثير من الصور في حياتنا اليومية، أين كان التثبيط عنواننا الأبرز؟

يا إخوتي، إن في الحياة امتحانات واختبارات، للأسف الشديد قد نفشل فيها، وقد نذل أمام أهوائنا، وأسفاه على هذا الحال.

لا أريد من خلال كلامي هذا أن أزيدكم تثبيطًا، إنما أردت التنبيه والاستيقاظ من الغفلة التي نحن فيها، هذا الدين عظيم جدًا، ومن الواجب علينا أن نكد ونعمل لنوفيه حقه..

حالنا اليوم يدل على غير ذلك، لكن من المواجب علينا إخوتي المحاولة، من الواجب علينا ذلك.

إن أردنا فعلًا النهوض بهذه الأمة، يجب علينا أولًا أن ننهض بأنفسنا، هل فهمتم قصدي؟

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١).

قال بعض السلف أذنبت ذنبًا فحُرمت قيام الليل سنة، وقال آخر أذنبت ذنبًا فحُرمت فهم القرآن، وفي مثل هذا قيل: إذا كنت في نعمة فارعها... فإن المعاصي تزيل النعم.

والله ثم والله ثم والله، إن المشاكل تكمن في كل واحد منا، إن سعينا لإصلاح مواطن العطب فينا، لكان ذلك بمثابة القوة التي تجذب قوى معها، فتتحول إلى مشروع كبير، مشروع هدفه إعادة مجد أمتنا.

كم نتمنى أن يتحقق هذا الأمل، كم نتمنى أن يتحقق هذا الحلم، ولكن!

وما نيل المطالب بالتمني.... ولكن تؤخذ الدنيا غلابًا العمل والمثابرة والثبات هي عناوين أي نجاح، فلنأخذ بها، فلنجسدها في واقعنا، فلنحاول، فإنه من أخذ بالأسباب وتوكل على رب الأسباب ما خاب بإذنه سبحانه وتعالى أبدًا.

في أمان الله

● **أسامة طبش**

المحرر:

مساهمتك مكتوبة بأسلوب رائق وصوت الحماسة ينبعث منها، وكذلك واضحة هي الغيرة على حال الأمة، نضم صوتنا إلى صوتكم أخي الكريم من الجزائر.

ـــــــاة بردة البوصيري

مختلف تمامًا عن شعر المديح حول غيره، وقد بدا ذلك الاختلاف منذ تقدم كعب بن زهير- بلاميته لسيدنا محمد مادحًا معتذرًا.. ومن أشهر ما قدمه الشعراء في مديحه مطولة الإمام البوصيري الميمية المسماة البردة، ما جعل الشعراء كلهم يتبارون ويحرصون على محاذاته فيها بالتشطير وبالتربيع وبالتخميس وبالمعارضة.. والشعراء في محاذاتهم للبوصيري لم يسلموا له قيادهم كاملًا، فقد كان لكل منهم مع رسول الله المصطفى وجهة فرضتها عليهم ظروفهم الخاصة، ودفعهم اليهم منطلقهم الخاص في معايشته وأغراهم بها ظلالهم الخاصة التي لازمتهم في أثناء مصاحبته الوجدانية على ضوء المسار البوصيري في قالبه الفني.

ومن أهم الشعراء الذين حاذوا بردة البوصيري: محمود سامي البارودي، أحمد شوقي، علي أحمد باكثير، ميشيل الله ويردى (عطيه الله).

● **مجدي إبراهيم**

المحرر:

الباحث الكريم الأخ مجدي إبراهيم جزاك الله خيرًا لم تتسع الساحة لنشر الدراسة كاملة ولعل المقدمة تكون سببًا في تتبعها خاصة أنكم أتقنتم العمل فشكرًا لكم.

اللغة العربية.. لغة القرآن

مما يؤسف له أننا نعيش في هوان للغتنا العربية فقد قل لها النصير وكأنها لغة أجنبية وهذا يشدنا إلى الخليفة الملهم عمر بن الخطاب وانتصاره للغة العربية.

رحم الله عمر بن الخطاب ﷺ حين أمر أحد ولاته بضرب كاتبه لأنه أخطأ في كلمة واحدة في رسالة موجهة من الوالي إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ تلك الغيرة المتدفقة منه على لغة القرآن الكريم ومن كلماته الخالدة «تعلموا اللغة العربية فإنها تثبت القلوب وتزيد في المروءة».

ذلك التوجيه العمري يعني أن تعلم اللغة العربية يحقق نتيجتين كلتاهما من أنبل وأجل الصفات الإنسانية والتربوية.

النتيجة الأولى: تثبيت القلوب والنتيجة الثانية: زيادة المروءة.

والقلب في اللغة بعامة وفي الاستعمال القرآني بخاصة يستخدم بمعنى العقل ويستخدم بمعنى الجانب الشعوري والعاطفي في الإنسان هذا زيادة على استخدامه بمفهومه العلمي بمعنى «العضلة الضاخة للدم».

أما المروءة ففسرها صاحب الصحاح بالإنسانية ونعود إلى ما سبق تكون النتيجة الأولى هي تثبيت النفس والشعور والعقل أما النتيجة الثانية فهي زيادة الملامح والصفات الإنسانية في الإنسان.

ولكن كيف يتم تحقيق هاتين النتيجتين عن طريق تعلم اللغة العربية والإجابة تتخلص بقدر فهمي في أن من يتعلم اللغة العربية ويتعمقها ويخلص الود لها بفروعها المختلفة ووجوهها المعنوية والجمالية سيكون همه منصرفًا إلى القرآن الكريم ببيانه المعجز وأبعاده الفكرية والروحية وقيمه الاجتماعية والنفسية يفهم كل ذلك بل يعايش كل ذلك فيكون تثبيت القلب وزرع الطمأنينة فيه.

كما أن تعمق اللغة العربية ومعرفة أسرارها ووجوهها الجمالية سيقود الانسان الى معايشة النماذج الشامخة النبيلة من الشعر والنثر.

وصدق رسول الله ﷺ إذ قال: إن من البيان لسحرًا وإن من الشعر لحكمة».

وقد أكد عمر بن الخطاب ﷺ هذا المعنى بقوله: «اروا الأشعار فإنها تدل على الأخلاق».

وكل أولئك سيؤدي إلى تهذيب الذوق وصقل النفس وتصفية الروح وزيادة المروءة.

وقد رأيت صدق مقولة عمر بن الخطاب ﷺ بنفسي وأنا كنت طالبًا في المرحلة الثانوية فقد كان أضلع أساتذتنا في اللغة العربية وأحرصهم على التزام الفصحى في الشرح والحديث هم أكرمهم أخلاقًا وأنبلهم عاطفة وأحياهم ضميرًا.

• محمد السيد عامر

المحرر:
إن تهذيب الذوق وصقل النفس وزيادة المروءة من الأسس التي يتربى عليها المسلم ونشكر لكم التركيز عن الوسائل التي تؤدي لذلك.

الشجرة..قصة قصيرة

تنتظم دقات عصاه على الأرض، تتوالى وهو يمضي والليل، يشق الظلمة متجهًا إلى مبتغاه، الأرض أسفلتيه سوادها يمتد بامتداد البصر، لوقع الارتطام المنتظم رنين يهز قلب الليل الغارب، يحدق في شجرة السدر ذات الفروع الكثيرة والأوراق الصغيرة وهي ملتحفة بالعتمة، واقفة كحارس على مدخل بيت «المجدور» الذي تاهت حدوده في طيات الظلمة فلم يبد منه إلا سواد هلامي لا حدود له.. تواصل العصا دقاتها وهو ينظر إلى الشجرة وثمارها الصغيرة الملقاة على الأرض التي افترشها ضوء اللمبة الأصفر الهابط من أعلى الباب الحديدي الباهت السواد، ينظر إلى الحبات الصفراء راغبًا فهي فاكهة فجره لكنه وعلى غير رغبته يواصل السير مديرًا وجهه عنها رغم أنه كان يوميًا يجمعها قبل الفجر مثل الآن فرحًا بكثرتها، قائلًا إن هذا ليس رزقه وحده بل رزق المصلين القلائل الذين يشاركونه القيام في هذا الوقت، يجمع النبق في كيس صغير، وحينما يصل المسجد يفتح الصنبور عليه ثم يوزعه على الموجودين مؤكدًا أنه علاج ناجع لمرض السكر وأشياء أخرى، يقولها مداعبًا الكبار وأصحاب اللحى البيضاء مثله، إلى أن جاءت مرة أقعى فيها أسفل الشجرة يجمع النبق كعادته وإذا به يرتعد في مكانه وترتجف نبضاته فزعًا وهو

يرى إلى جواره ظلًا أسود يطوى الفراغ صاعدًا لأعلى، وحاجزًا عن عينيه النور تمامًا وصوت حاد يحاصره: هذه سرقة.

رفع رأسه بالكاد إلى مصدر الصوت محاولًا لم شتات نفسه والتحكم في ارتجاف يديه ليجد «المجدور» أمامه يرميه بنظرات موبخة، اهتزت الحروف على شفتيه قليلًا قبل أن يتمكن من تجميعها متسائلًا: كيف؟

ويصمت قليلًا قبل أن يجد حروفًا أخرى وجدها ملائمة للموقف: لكنها على الأرض.. مشاع للمارة!

اعترض المجدور بحدة: بدون إذني؟

عاودت الحروف الانكماش على شفتيه وهو يشعر بساقيه المتهالكتين أصلًا تهددان بانهيار كامل، همس محاولًا التعلق بأي قشة تنجيه من بحر خجله هذا: وهل ترفض؟

قال الآخر بجفاء: نعم أرفض ومضى عنه.

يتذكر تلك الحادثة وهو يمضي يوميًا على ذات الطريق تدق عصاه الأرض الإسفلتية وسط الطريق بعيدًا عن بيت المجدور والشجرة وحبات النبق الصغيرة التي يلفها الضوء الأصفر بوشاحه فيصقل صفرتها أمام عينيه إلا أنه يدير وجهه عنه ويمضي، وحين يسأله أحدهم عن سبب انقطاع هداياه اليومية يكتفي بابتسامة صغيرة قائلًا إن الشجرة لم تعد تعطي قاصدًا أنها لم تعد تعطيه، إلى أن جاء اليوم ووجد المجدور أمامه بعد الصلاة، مد يده مسلّمًا واستعد للخروج غير أن الآخر اعتقل يده المعروقة بارتجافتها في باطن كفه وهو يهمس له: أذنت لك.

أدار عينيه نحوه محدقًا في وجهه محاولًا تفهم ما وراء كلماته، يرى نور المصابيح السماري في المكان ينهمر على ملامحه المجدورة من أثر مرض قديم ألم به في صغره وترك علاماته على وجهه مما جعل الناس يتركون اسمه الحقيقي شعبان وينادونه المجدور، بدت الرحمة رائقة الماء في أعماق عينيه بينما على شفتيه ملامح اعتذار على هيئة ابتسامة خجلي.. افلتت اليد المعروقة من باطن اليد الأخرى في رفق وقد أدرك ما هناك وهو يسأل: ما لأمر؟

أحنى المجدور رأسه هامسًا: لم تعد الشجرة تعطي ثمرًا.

● **محمد عباس داود**

ردود سريعة

● الأستاذ الدكتور أحمد يحيى علي- كلية الألسن- جامعة عين شمس، سعدنا بدراستكم القيمة عن رواية «شاعر ملك» على الجارم ولكننا نظرًا لضيق المساحة في دورية مثل الوعي الإسلامي- نعتذر عن نشرها مع كامل احترامنا وإعجابنا- بها ولعل القارئ الكريم يتابعها على صفحات مواقع أو دوريات متخصصة في النقد الأدبي.

● الدكتور إبراهيم طرابية نشكرك على مساهمة «ظاهرة هبوط المساكن» وتفسيركم لقوله تعالى الآية ٧٤ من سورة البقرة ويسعدنا متابعة حلقاتكم عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم على ملتقى الدارين عبر الشبكة العنكبوتية كل اثنين في العاشرة مساء بتوقيت القاهرة كما ذكرت في رسالتك.

● الكاتب شريف قاسم وصلتنا مقالتكم عن «مجريات الأحداث في أقطار العالم الإسلام» ونشكر حسكم الوطني الواضح فيها، لكنها «للأسف» لا تناسب سياسة المجلة من حيث الابتعاد عن مواطن الخلاف السياسي.

● المهندس أيمن عبدالفتاح جهدكم واضح في وضع الأسئلة الخاصة بمسابقة «لنعش مع القرآن» وسيتم دراستها قريبًا بإذن الله تعالى.

● الكاتب محمد أحمد شقرون مقالكم في جوف الكعبة سبق نشره في موقع «الألوكة»، وتبعًا لسياسة التحرير لا يمكن إعادة نشره في «الوعي الإسلامي» نرجو مزيدًا من المساهمات حصريًا للمجلة.

● الأستاذ فتحي موسى محمود بعد مراجعة بحثكم المرسل إلى المجلة بعنوان «شاركهم في الأجر» ٢٠ خصلة من خصال الخير تعدل ثواب الحج والعمرة، اتضح أنه سبق نشره في موقع «إسلام أون لاين» بما يخالف سياسة التحرير ولذلك رفض نشره، راجين ألا يتكرر إزدواج النشر.

● الباحث أحمد مصطفى علي حسين، وصلنا مقالكم «المتعصبون.. بشر في عجينة الشيطان» وفيه مخالفات شرعية تمنع من نشره بالمجلة، نشكركم وفي انتظار مساهمات أخرى يمكن نشرها.

القراء الافاضل: لم يتسع المقام للتعقيب على كل ما وصل المجلة من مساهمات واقتراحات ونأمل في الأعداد المقبلة الإشارة إلى ما تيسر منها إيماناً من إدارة التحرير بأن كل حرف يخطه قارئ «الوعي الإسلامي» له به علينا حق الرد مع الشكر والامتنان دوماً.

من غرر الحكم

هذه مجموعة من الحكم، بل من درر الحكم وغرر الكلم تخيرتها من شتات تراثنا العربي والإسلامي العريق، وقد جمعت هذه الحكم بين جزالة اللفظ وفخامته، وبين شرف المعنى وسموه، ولو كان هناك كلام يؤتدم به لكانت هذه الحكم مما يؤتدم بها، وكأن الجاحظ- رحمه الله- عنى أمثال هذه الحكم النيرة بقوله: «وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة، وغشّاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله، فإذا كان المعنى شريفًا بليغًا، وكان صحيح الطبع بعيدًا عن الاستكراه، ومنزّهًا عن الاختلال مصونًا عن التكلف، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة، ونفذت من قائلها على هذه الصفة، أصحبها الله من التوفيق ومنحها من التأييد، ما لا يمتنع معه من تعظيمها صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة» . وقد سقت هذه الحكمة كيفما اتفق دون ترتيب معين، كحال اللؤلؤ المنثور، راجيًا أن يعم نفعها والعمل بمقتضاها.

بشار بكور

الرافعي: «إنما النّكبةُ مَذْهبٌ من مذاهب القَدَر في التّعليم، وقد يكون ابتداءُ المصيبةِ في رَجلٍ هو ابتداءَ الحكمةِ فيه لنفسه أو لغيره، وما من حزين إلا وهو يشعر في بعض ساعات حُزْنه أنه قد غُيِّبَتْ فيه أسرارٌ لم تكن فيه، وهذا مِن إبانة الحقيقة عن نَفْسِها وموضِعِها كما لألأ في سَيف بَريقُهُ».

وحي القلم ٢/ ١٠٦.

- مَنْ ذاقَ طعْمَ المعرفة وجد طَعْمَ المحبّة.

جاء في «صيد الخاطر» لابن الجوزي: «إنّ الرضى من جملة ثمرات المعرفة، فإذا عرفته (أي: الله) رضيتَ بقضائه، و قد يجري في ضمن القضاء مراراتٌ يجد بعض طعمها الراضي. أما العارف فتقلّ عنده المراراتُ لقوة حلاوة المعرفة. فإذا ترقى بالمعرفة إلى المحبة،

صارت مرارةُ الأقدار حلاوةً». ص ٩٥.

الجاحظ: - «اعلمْ أنّك متى تفرّدتَ بعلمك استرسَلْتَ إليه، ومتى ائتَمنتَ على نفسكَ نَوَاجِمَ خَوَاطرك، فقد أمكنت العدوّ من رِبْقَةِ عُنُقِكَ، وبنيةُ الطّبائع وتركيبُ النُّفوس، والذي جرت عليه العادةُ، إهمالُ النفس في الخَلا، واعتقالها في المَلا».

رسائل الجاحظ (رسالة الوكلاء) ٤/ ٩٧.

«العلْم كالغَيْث ينزل من السّماء حُلْوًا صَافيًا فتَشْرَبُه الأشجارُ بعروقها فَتُحَوّله على قَدْرِ طُعُومها فيَزْدَادُ المُرُّ مَرارةً والحُلْوُ حَلاوةً؛ فكذلك العلْم تَحْفَظُه الرّجَالُ فَتُحَوّله على قَدْرِ هِمَمِها وأَهْوائها فيزيدُ المُتَكَبّرُ كِبْرًا والمتواضِعُ تَوَاضُعًا».

إحياء علوم الدين ١١/ ٢٦.

-يحيى بن خالد لأولاده: «انظروا في سائر العلوم، فإنّ مَنْ جهل الشيء عاداه، وأكره أن تكونوا أعداءً لشيء من العلوم».

المصون في الأدب، ص ١١٣.

-مَنْ عُرِفَ بالحكْمَة لاحَظَتْهُ العُيونُ بالهَيْبَة.
-الحِلْمُ مَطِيّةٌ وَطِيئةٌ تُبَلِّغُ رَاكِبَها قَاصِيَةَ المَجْدِ، وتُمَلِّكُه نَاصِيَةَ الحَمْدِ.

نهاية الأرب ٦/ ٥٠.

-مَرارة الدُّنيا حَلاوةُ الآخرة، وحلاوةُ الدُّنيا مَرارةُ الآخرة.
-ذكرُ الله أعذَبُ ما طرح إلى الأفواه، يا سَعادةَ من شُغِفَ به لسانُه، واشتفّتْه شفتاه.
-إنّ البَلاءَ كلّ البلاءِ أن يكونَ الرّأي لمن يملكُه دون مَنْ يُبْصِرُه.

البيان والتبيين ١/ ٢٥٣.

-بإجالة الفِكْرِ يُستَدرُّ الرّأي المُصيب.
- رأيُ الشيخِ خيرٌ من مَشْهَدِ الغُلام. المراد: أن خبرةَ وتجربة الكبير في السِّنّ مقدّمةٌ على رؤية الشاب.
-على العاقلِ أن يَجْبُنَ عن المُضيّ على الرّأي الذي لا يجدُ عليه مُوافقًا وإنْ ظنّ أنّهُ على اليقين.

الأدب الصغير، ص ٢٢-٢٣.

-مَرارة الدُّنيا حَلاوةُ الآخرة، وحلاوةُ الدُّنيا مَرارةُ الآخرة.
-ذكرُ الله أعذَبُ ما طرح إلى الأفواه، يا سَعادةَ من شُغِفَ به لسانُه، واشتفّتْه شفتاه.
-إنّ البَلاءَ كلّ البلاءِ أن يكونَ الرّأي لمن يملكُه دون مَنْ يُبْصِرُه.

البيان والتبيين ١/ ٢٥٣.

-إذا أملقْتَ فتاجِرِ اللهَ بالصّدقة.
-رُبّ صدقة من بَين فَكّيْكَ خيرٌ من صدقةٍ من بطنِ كَفّيْكَ.
-ربّما كان السكوتُ جَوابًا.
-الصّمت حكمةٌ وقليلٌ فاعلُه.
-عجبًا لمَنْ عُومِلَ فأنصفَ كيف يَظْلِمُ، وأعْجَبُ مِنْهُ مَنْ عُومِلَ فَظُلِمَ إذا عَامَلَ كيف يَظْلِمُ!

البصائر والذخائر٣/ ٣٥.

-ليكنْ أصدقاؤك كثيرًا، وصاحبُ سرّك واحدًا من ألف.
-إذا قصّرَتْ يدُك بالمكافآت، فأطِلْ لِسانَك بالشُّكر.
-ابن عطاء الله السكندري: «إذا علمتَ أن الشيطان لا يَغْفُل عنك فلا تغفلْ أنتَ عمّنْ نَاصِيتُك بيده».

الحكم العطائية، ص ١٥٦.

- الشّعبيّ: «العلْم ثَلاثَةُ أَشْبَارٍ فَمَنْ نَالَ مِنْهُ شِبْرًا شَمَخَ بِأَنْفِه وَظَنّ أَنّهُ نَالَهُ، وَمَنْ نَالَ الشّبْرَ الثّانِيَ صَغُرَتْ إِلَيْه نَفْسُهُ وَعَلِمَ أَنّهُ لَمْ يَنَلْهُ، وَأَمّا الشّبْرُ الثّالِثُ فَهَيْهَاتَ لَا يَنَالُهُ أَحَدٌ أَبَدًا».

أدب الدنيا والدين، ص ٨٤.

-صحبةُ الأخيار تورث الخيرَ، وصحبةُ الأشرار تورث الشرّ، كالريح إذا مرّتْ على المُنْتِن حملتْ نتنًا، وإذا مرّتْ على الطّيّب حملتْ طِيبًا.

الصداقة والصديق، ص ٥٤.

- سهل بن هارون: «النّاس مُوَكّلُون بتعظيم الغريب، واستطراف البعيد، وليس لهم في الموجود الرّاهن، وفيما تحتَ قُدرتهم من الرّأي والهوى، مِثْلُ الذي لهم في الغريب القليل، وفي النادر الشاذّ، وكلّ ما كان في ملك غيرهم، وعلى ذلك زَهِدَ الجيرانُ في عالمِهم، والأصحابُ في الفائدة من صاحبهم، وعلى هذا السّبيل يستَطرفون القادمَ عليهم، ويرحَلُون إلى النّازح عنهم، ويتركون مَن هو أعمّ نفعًا وأكثرُ في وجوه العِلْم تَصَرُّفًا، وأخفّ مَؤُونةً وأكثرُ فائدة».

البيان والتبيين ١/ ٩٠.

-مَنْ عُدِمَ فَضيلةَ الصّدْقِ في مَنْطِقِه فقدْ فُجِعَ بأكْرَمِ أخْلاقِه.

البصائر والذخائر١/ ٩٤.

- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «العِلْم أكثرُ مِنْ أن يُؤتى على آخره، فَخُذوا من كلّ شيءٍ أحْسَنَه».

الإعجاز والإيجاز، ص ٤٤.

أزمة النخب

في باحة الوادي الفسيح حيث آلاف المصلين جلسوا يكبرون الله تعالى في يوم العيد، منتظرين الصلاة، وشاكرين الله عز وجل أن أتم عليهم نعمة الصيام، أقبلت صاحبتنا الطبيبة اللامعة في ثيابها الأنيقة كالعادة وبشرتها البيضاء الصافية لتشهد معنا الصلاة.. إننا نكاد لا نراها في الصلاة الجامعة إلا في هذا الموسم السنوي، حيث أقبلت ممتعضة من ضجيج الأطفال وزحام الناس، وفرشت سجادة الصلاة التي كانت تحملها حيث أرادت أن تجلس، وكأنها خائفة من تلوث الميكروبات التي ربما تحملها بسط المساجد. لكمن صاحبتنا آثرت أن تصلي ركعتين قبل أن تجلس، فأخذت أرمق صلاتها، فوجدتها لا تحسن الركوع ولا السجود، ولا تكاد تنتصب قامتها بينهما إلا بالنذر اليسير، فتعجبت من كبرها وجهلها، وهي التي ملأت شهرتها الآفاق في طبها، والتبحر في علوم تخصصها.

هل وجدت صاحبتنا الطبيبة المرموقة صعوبة- وهي القارئة النهمة لمراجع الطب الضخمة- في أن تطالع في وقت فراغها كتابًا عن صفة الصلاة؟! أم أنها بالأحرى تفتقد لترتيب أولوياتها في يومها بل وفي عمرها، أم أنها لا تدرك أبعاد رسالتها على الأرض التي خلقها الله لها؟ إنها فعلًا أزمة النخب الذين يستغرقون أعمارهم في دنيا مؤثرة، ويستنزفونها في شهرة معجبة، دون أن يقيموا وزنًا لشمولية الإنسان في الحياة كحرفي ماهر، وعابد متضرع، وتائب منيب، وورع فقيه، واجتماعي تواصلي له العديد من الحقوق، وعليه الكثير من الواجبات. طبيب قد خاض في بحور العلم ولا يحسن الصلاة، ومهندس نحرير لا يتحرى الحلال من الحرام، ومدرس شغوف بالمادة أكثر من شغفه برسالته، ومحام مولع بثغرات القانون أشد من ولعه بإنصاف المظلوم.. إنها نماذج - وما أكثرها- عن نخب باهتة، قد أعطت للجموع الغفيرة من حولها انطباعًا في غاية المرارة، عندما رسخت في الأذهان أن العلم للدنيا وليس للقيمة التي أشاد الله بها في محكم كتبه، والعقلاء في مدحهم للعلم وأهله على مر الزمان.

إن العلم وجد ليعطي للإنسان قيمة ملائكية تزخر بالفضائل، حتى يصير صاحبه شامة بين الناس، ونبراسًا لأتباع الحق، وقدوة للباحثين عن الوضاءة في حياتهم، وهذا هو الذي أعطى للعلماء رونقهم وبهاءهم ووجاهتهم بين الناس في الدنيا والآخرة.

وعندما يتحول العلم من قيمة إلى وسيلة للكسب الجزيل ولدر الربح الوفير فقط لا غير، حيث المنصب الرفيع والسلطة المرموقة.. عندها تكون الطامة الكبرى، والكارثة المحققة، لأن الوجاهة العلمية في الدنيا إن خلت من فضائلها صارت مرتعًا للجشع والابتزاز والانتهازية.. وكم سمعنا ورأينا أمثال هؤلاء ممن يطببون الناس ولا يعرفون للرحمة سبيلًا، ومن يعلمون الخلق ولكن علمهم لمن يدفع أكثر، ومن يوجهون سلطاتهم لمن ينتفعون من ورائهم.. سمعنا عن سرقة الأعضاء البشرية، وعدم احترام حقوق الملكية الفكرية، والفتاوى المأجورة.. وغيرها من تصرفات نخب لا ترقب في أنفسها ولا مجتمعها إلًا ولا ذمة. إن أمثال هذه النخب المادية- لا الربانية- تترك في المجتمع جروحًا غائرة، وتبعث رسالة للناس في غاية السوء عن العلم وأهله، وينظر إليهم الجميع ليس على أنهم الصفوة والقدوة، ولكن على أنهم حرفيون شأنهم شأن أي حرفة أخرى، إلا أنهم يحترفون العلم لا أكثر ولا أقل.

هنا تغيب عن العلم قيمته الدفينة في تهذيب النفس، ويصير في مخيلة الخلق وسيلة من وسائل الكسب ورغد العيش، وساعتها كبّر على الأمة أربعًا، وعدها من أصحاب القبور.

فمتى يعود- مثلًا- للفريق الطبي شعار ملائكة الرحمة، ويسترد المعلم هيبته وشموخه وريادته التي أولاها له العلم، ونجد في النخب ضمائر حية تزامنًا مع مهارة مهنية؟

متى يسترد العلم دوره في حياة النخب، ونرى منهم: اللمسة الحانية، والعطف على الضعيف، وإيثار شرف المهنة على ربحها، والتعالي عن سفاسف الأمور؟

منى السعيد الشريف
باحثة مصرية

إدارة الإفتاء تهديكم

مجلة

منبر الإفتاء

- المذهب الحنفي
- فتاوى الإمام النّووي
- أدب المفتي والمستفتي
- هل يقع الطلاق المعلق؟
- مجموعة الفتاوى الشرعية

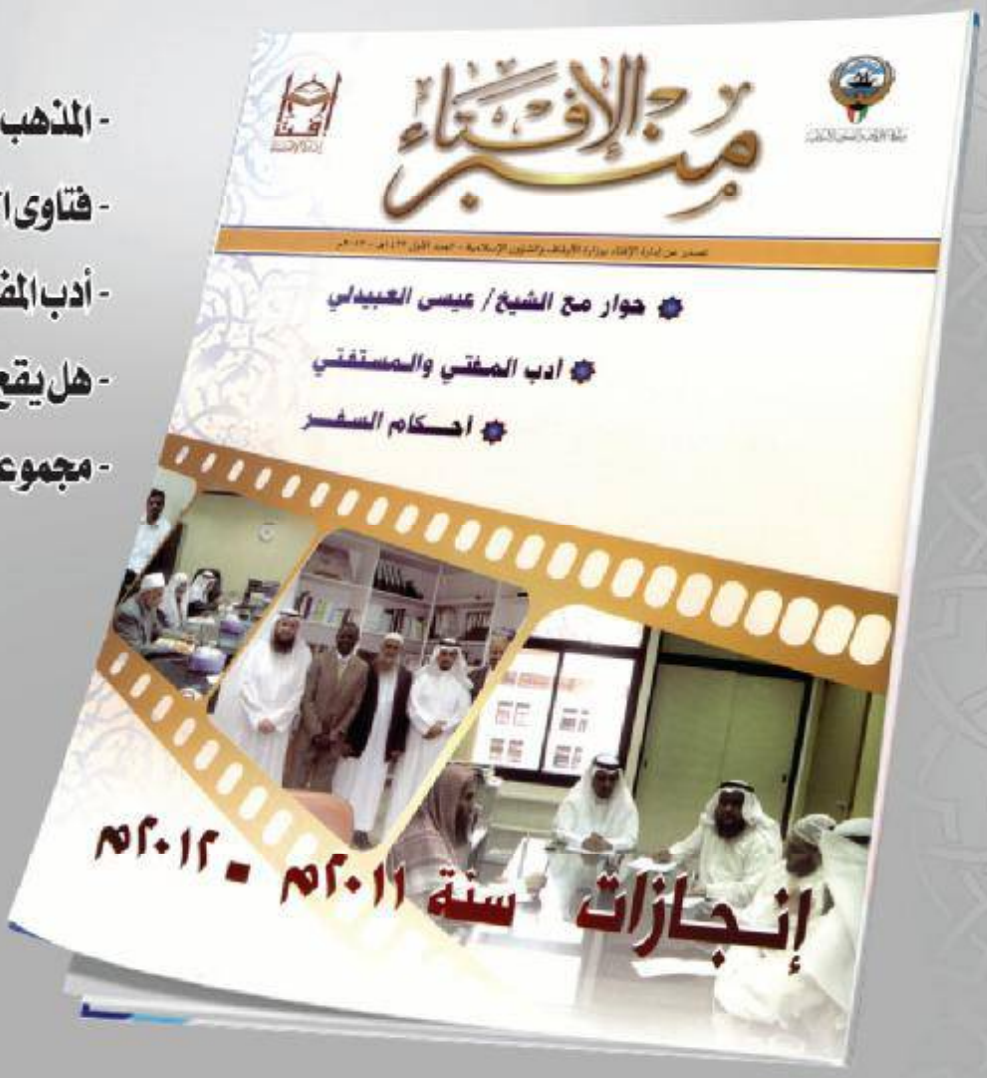

تصدر عن إدارة الإفتاء بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الإفتاء - ص- ب ١٣ الصفاة ١٣٠٠١ - الكويت - هاتف: ٢٢٤٨٧٤٨٢ - ٢٢٤٨٧٤٨٤ فاكس: ٢٢٤١٨٧٢٣
إميل: eftaa@islam.gov.kw - الموقع الإلكتروني: www.islam.gov.kw/aftaa

اقرأ في العدد الأول من

الوعي الشبابي

www.shabab.alwaei.com

- الفتية الذين آمنوا بربهم زادهم هدى .
- جرائم الإنترنت على مقاس الشباب .
- أجازة سعيدة بصحة أفضل .
- كيف تضع قدمك على أعتاب النجومية .
- في عطلة الصيف أتفرغ لمهاراتي .

والمزيد من الموضوعات والتحقيقات ..

الوعي الشبابي مجلة شبابية إلكترونية تصدر عن «الوعي الإسلامي»

رئيس التحرير : فيصل يوسف العلي

للتواصل زوروا موقعنا

www.shabab.alwaei.com

البريد الإلكتروني

info@shabab.alwaei.com